

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

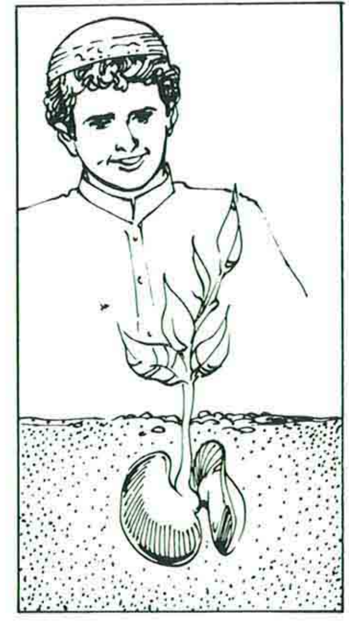
غير مخصص للبيع

ISSUE 99 - NINTH YEAR - JUNE 1985.

العدد (٩٩) ـ رمضان ١٤٠٥هـ ـ السنة التاسعة ـ حزيران (يونيو) ١٩٨٥م.

بـــذرة ، فـنـبـتــة ، فـشـجـرة







عزيزي الأب .. عزيزتي الأم ..

تفاهمكما الكامل هو الطريق لأن تصبح البذرة شجرة يانعة تؤتي أطيب الثمار لكما ولوطنكما .





سابك للخدمات التسويقية — سافكو — الرازي — ابن سينا — بتروكيميا — سماد — حديد — صلب — غاز — ينبت — صدف — كيميا — شرق — ابن حيان — سابك للتسويق

بسم الله الرحمن الرحيم



ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE — مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 99 - NINTH YEAR - JUNE 1985.

العدد (٩٩) ـ رمضان ١٤٠٥هـ ـ السنة التاسعة ـ حزيران (يونيو) ١٩٨٥م.

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

All Correspondence To:

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O.BOX 3
RIYADH 11411-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027, TELEX 202600 DRFATH SJ

المراسلات :

مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣)
الرياض ١١٤١١ . المملكة العربية السعودية
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس : ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

EUROPE - AMERICA - ASIA

Country	Currency	Price	Country	Currency	Price	Country	Currency	Price
Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150 Others : S.R.250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

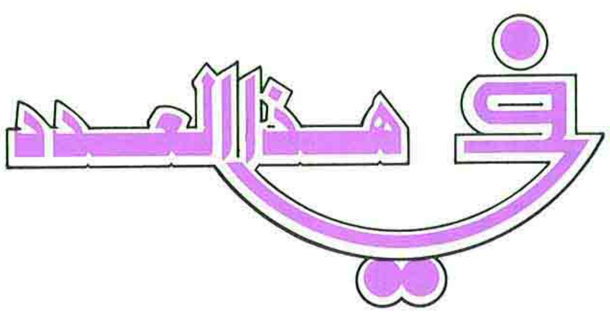
البلد	السعر	البلد	السعر	البلد	السعر
المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج . ع . اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠٠ مليم	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠ قرشاً	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

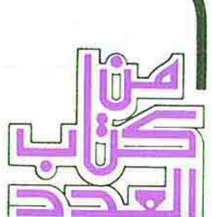
● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

طبع في : شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة)
ص . ب ٦٤٦٣ ـ الرياض ، هاتف ٤٦٣٣٤٥٢ ، العمارية ٤٦٥٨٩٩٠







د. ضيف الله يحيى الزهراني

★ من مواليد (بلاد زهران) بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٧٤ هـ.

★ الدكتوراه في الحضارة الإسلامية ـ تخصص اقتصاد.



★ له كتاب «الموارد المالية في العراق».

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً بقسم الحضارة والنظم الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

★ نشرت له عدد من البحوث والدراسات في عدد من الدوريات السعودية.

★★

د. أحمد عزت عثمان صالح



★ من مواليد أسيوط ـ مصر عام ١٩٣٦م.

★ دكتوراه في فلسفة التربية.

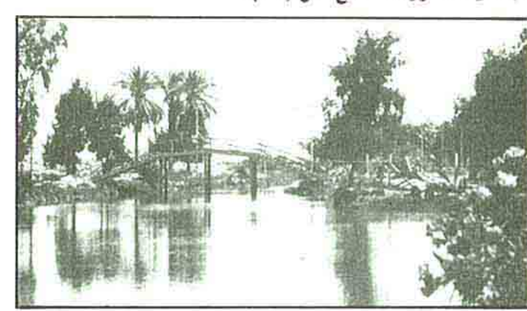
★ يجيد الإنجليزية والفرنسية.

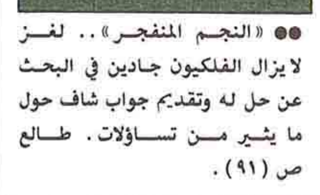
★ عمل مدرّساً، فمديراً لدار المعلمين بأسيوط، فمديراً بالإدارة التعليمية، ثم مشرف تربية بكلية التربية.

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً بقسم التربية وعلم النفس بالكلية المتوسطة بالمدينة المنورة.

★ له دراسات مختلفة في التربية والتعليم، وعدد من المقالات

●● البصرة .. مدينة عربية إسلامية ، كانت مركزاً إدارياً وفكرياً كبيراً في صدر الإسلام ، وفي عهد الأمويين والعباسيين . والبصرة اليوم مدينة كبيرة ، تتخللها شوارع فسيحة ، وتقطعها حدائق واسعة ، وتخترقها الأنهار والقنوات ، مما جعل منها «بندقية الشرق» . طالع ص (٢١) .



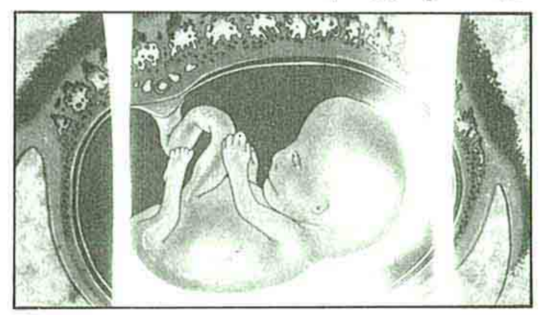


●● «النجم المنفجر» .. لغز لا يزال الفلكيون جادين في البحث عن حل له وتقديم جواب شاف حول ما يثير من تساؤلات . طالع ص (٩١) .

●● عبد الكريم الخطيب .. مفكر إسلامي كبير ، ألف أكثر من ستين كتاباً ، وله آراء في تفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه ، وفي السيرة النبوية ، والسياسة المالية في الإسلام . طالع ص (٥١) .



●● «الجنين» .. نظريات عدة ناقشت تكوينه ، وأساليب تكاثره .. غير أن لرحلة الجنين في ضوء الإسلام جوانب وأبعاد وآراء . طالع ص (١١٤) .





●● «مهرجان الطبول» .. يقام ، منذ ثلاثمائة عام في «كوتابهارو» ، عاصمة ولاية «كيلانتان» الماليزية .. وهو يتلق روافده من عناصر موضوعية تماماً . طالع ص (٣١) .

التي نشرتها الصحافة .

★ عضو الجمعية الفلسفية المصرية .

★★



★ من مواليد نزلة باقور ـ أبوتيج ـ مصر عام ١٩٤٣م .

★ الإعدادية .

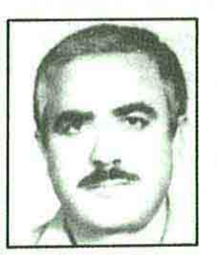
★ عمل خطاطاً بمجلس مدينة أبوتيج ، والقوات المسلحة ، كما عمل سكرتير إدارة ؛ فرئيساً لقلم الفهارس ومحفوظاتها .

★ يعمل حالياً مشرفاً ثقافياً في قصر ثقافة أبوتيج ـ محافظة أسيوط .

★ له مجموعتان قصصيتان مطبوعتان ، وكتاب ، وعدد من القصائد والمقالات .

★★

نافع خليل يوسف



★ من مواليد زرعين ـ الأردن عام ١٩٣٦م .

★ ليسانس آداب لغة عربية ، ودبلوم تربية .

★ عمل مدرساً للغة العربية .

★ يعمل حالياً مشرفاً لمادة اللغة العربية في إحدى المدارس المتوسطة .

★ له مجموعة من القصائد الشعرية ، وبعض المقالات .





مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

يطالع القارئ في هذا العدد استطلاعاً مصوراً بالألوان عن «معرض الفن الإسلامي» الذي أقامه «مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية»، هذا المركز الذي يعد من أهم وأبرز إنجازات «مؤسسة الملك فيصل الخيرية» الحضارية إلى جانب «جائزة الملك فيصل العالمية» بفروعها الخمسة (خدمة الإسلام ـ الدراسات الإسلامية ـ الأدب العربي ـ الطب ـ العلوم).

ومركز الملك فيصل هذا سوف يكون في المستقبل من أبرز وأهم المراكز في الشرق الأوسط، وسوف يسد فراغاً كبيراً في حياة أمتنا الحضارية بما يقدمه من خدمات جليلة وعظيمة للدارسين والباحثين الذين يجدون عنتاً في الوصول إلى حقائق الحضارة الإسلامية ومراجعها ومصادرها الهامة.

فالمركز إلى جانب ما سيقوم به من دراسات وأبحاث عن الحضارة الإسلامية بمختلف عطاءاتها، سوف يقوم بتشجيع الباحثين والدارسين في مختلف مجالات المعارف الإنسانية عموماً، والحضارة الإسلامية خصوصاً، وذلك بما يوفره من الوسائل والإمكانات والخدمات المتمثلة في الكتب والمخطوطات والنشرات في مناخ يساعد على البحث والتنقيب، ذلك لأن المركز سوف يستخدم لتحقيق أهدافه النبيلة التقنية الحديثة (التكنولوجيا) في مجال الاتصالات بالمراكز المختلفة، وفي مجال التوثيق والميكروفيلم والميكروفيش.

والمركز يقوم بتجميع المخطوطات الإسلامية النادرة وترميمها والمحافظة عليها وتدريب العاملين للقيام بهذا الواجب على الطرق الحديثة.. إلى جانب ترجمة الدراسات والبحوث الهامة إلى اللغات الأجنبية للتعريف بمعطيات الحضارة الإسلامية فكراً وعلماً وفلسفة وفناً.

ومن أهم مشروعات المركز المخطط لها، التي ستنفذ في المستقبل القريب جداً:

١ ـ مكتبة عامة تضم ما يقارب المليون كتاب مطبوع.
٢ ـ مكتبة أخرى للمخطوطات تضم ـ حالياً ـ أكثر من أربعة آلاف مخطوط.
٣ ـ مكتبة للأطفال.
٤ ـ قسم للدوريات والمجلات والصحف والمنشورات.
٥ ـ قسم للمكفوفين، وآخر للسمعيات والبصريات.
٦ ـ قسم للمعلومات والتوثيق الإسلامي.
٧ ـ قاعة للحضارة الإسلامية، ومن معطياتها الأولية معرض الفن الإسلامي الذي تنشر المجلة عنه استطلاعاً في هذا العدد.
٨ ـ قاعة للمخطوطات والوثائق النادرة.
٩ ـ قاعة الملك فيصل ـ يرحمه الله ـ تحتوي على وثائق هامة عن حياته، وتاريخه السياسي، وإنجازاته العالمية والإسلامية والمحلية.

هذا، إلى جانب قاعات المحاضرات والندوات ومعامل مختلفة للطباعة والتجليد والتصوير، وقسم للحاسب الآلي.

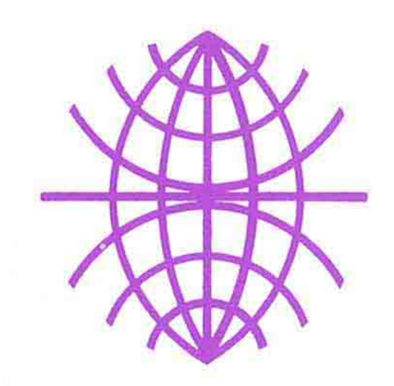
هذه لمحة سريعة عن «مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية» الحضاري واحد من معطيات المؤسسة العالمية الكبيرة «مؤسسة الملك فيصل الخيرية».

وهذه اللمحة إذا كانت تضيء بعض الأضواء على جوانب من إمكانات المركز، ودوره في خدمة حضارتنا بأسلوب علمي، إلا أن هذه الإضاءة لا تلم بكل آمال وأهداف وطموحات المركز، وما خطط له ليكون في المستقبل مرجعاً عظيماً للباحثين والدارسين، مرجعاً يوفر المعاناة التي تصادف الباحث خلال دراسته وبحثه.

وسوف يكون المركز معلماً حضارياً من معالم مملكة العلم والنور والإيمان إلى جانب معالمها التي لا تخفى على كثير ممن زارها أو سمع عنها.

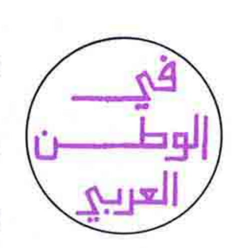
وعند استكمال المركز كل تجهيزاته العظيمة سوف تقدم هذه المجلة استطلاعاً موسعاً للتعريف به من خلال الكلمة والصورة..
والله الموفق.

رئيس التحرير

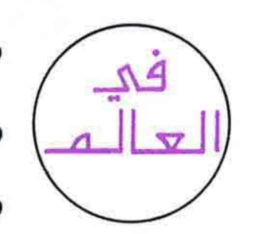


** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة.. وندوات.. ومؤتمرات.. ومعارض.. ومناسبات.. وأحداث ثقافية.. وادبية.. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية.. والتربوية.. والفنية.. الى جانب الأدباء.. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء.. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا، والله الموفق **



- ندوة المنتدى الفكري العربي في الرياض.
- معرض للخرائط الأثرية في مدينة الجوف بالمملكة العربية السعودية.
- متحف دائم للخط العربي في مصر.
- وفاة عميد الصحفيين التونسيين.
- مجلات دورية جديدة في الوطن العربي.
- ملتقى ابن رشيق في الجزائر العاصمة.



- العثور على عمل أدبي جديد للشاعر بايرون.
- ندوة دولية عن الزكاة في باكستان.
- مجسم جمالي سعودي في مدينة طليطلة الإسبانية.
- كشف أثري في نيبال.
- كتب جديدة.



السعودية :

المنتدى الفكري العربي

عقدت في مقر الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي بالرياض ندوة تحت عنوان «**المنتدى الفكري العربي**»، حضرها عدد من المسؤولين والشخصيات السياسية والفكرية والاقتصادية في الوطن العربي.

وقد كونت لهذا المنتدى عدد من اللجان أهمها:

- لجنة السياسة والإعلام.
- لجنة التربية والعلم والتكنولوجيا.
- لجنة التنمية (بما في ذلك الأمن الغذائي).

وكل لجنة من هذه اللجان تقدم مقترحاتها، وبالتالي تناقش من قبل الأعضاء المشاركين.

وكان رئيس الهيئة العامة لهذه الندوة سمو الأمير الحسن بن طلال ولي عهد الأردن.

معرض للكتاب والفن

بمناسبة تسليم جائزة الدولة التقديرية في الأدب عن عام ١٤٠٤هـ، للأدباء الفائزين بها وهم:

الشاعر الأمير عبد الله الفيصل.

الشاعر طاهر زمخشري.

الأديب أحمد عبد الغفور عطار.

فقد أقامت الأمانة العامة لجائزة الدولة التقديرية في الأدب المعرض الثاني للكتاب السعودي، وكذلك المعرض الثاني للفن التشكيلي السعودي، وذلك بقاعة الملك فيصل للمؤتمرات.

هذا، وقد أقيم معرض الكتاب بالتعاون مع **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض**، حيث ضم أكثر من ١٢٠٠ عنوان بمشاركة العديد من دور النشر المحلية.

ندوة فكرية

عقدت في رحاب جامعة الملك عبد العزيز بجدة خلال شهر رجب الماضي عام ١٤٠٥هـ، **الندوة الفكرية الثانية لرؤساء ومديري الجامعات في الخليج العربي**، وذلك بالتعاون مع مكتب التربية العربي للدول الأعضاء في مجلس التعاون.

نوقشت في الندوة عدة موضوعات منها:

★ تبادل وجهات النظر بين المسؤولين في جامعات المنطقة.

★ التعرف على برامج الجامعات المختلفة، والتنسيق فيما بينها.

كلمة

اللغة الحاوسية لغة إفريقية ذات وحي واستلهام عربي

اللغة الحاوسية (**أو الهاووسا**) **Haoussa** من اللغات الإفريقية المكتبة التي حملت الثقافة العربية ونشرتها عبر قنواتها في إفريقيا الغربية، وتتبع هذه اللغة حسب التقسيمات اللغوية لقارة إفريقيا زمرة **اللغات النيجيرية ـ التشادية**، ويتكلم بها عدد كبير من الأفارقة بين **نهر النيجر وبحيرة تشاد**، ويتجلى انتشارها بشكل مكثف في النيجر ونيجيريا الشمالية، بينما تتفرع إلى لغات ولهجات محلية حول بحيرة تشاد من أهمها «**الكانوري**».

وقد كانت هذه الأجزاء من **إفريقيا الغربية** التي تعم فيها هذه اللغة قبل دخولها في حوزة **بريطانيا وفرنسا**، تشكل دولة إسلامية عاصمتها مدينة **سقطو** (**Sokoto**) الشهيرة، ولذا تسمى هذه اللغة أيضاً (**لغة سقطو**)، وهي مزيج من أصلين زنجي وعربي مع مؤثرات وطوابع بربرية، ويتخاطب بها عدة ملايين غير **شعوب الحاوسة** التي هي من أكبر شعوب إفريقيا اليوم، وعددها يقرب من (٤٠) مليون نسمة.

واسم هذه اللغة آتٍ من قبيلة الحاوسة، التي كانت تعيش فيما يطلق عليه الآن نيجيريا الشمالية والقسم الجنوبي من النيجر، وقد أتاها الإسلام واللغة العربية منذ القرن الحادي عشر الميلادي عن طريقين، الأول شرقي عن طريق تشاد، والثاني عن طريق الدول الإسلامية والتجّار من غرب إفريقيا، وقد أدت الحاوسة دوراً هاماً في تاريخ نيجيريا، فأنشأت عدة إمارات إسلامية تشع بالثقافة العربية حول بعض المدن بين **الحوض الأدنى لنهر النيجر وبحيرة تشاد**، وعلى الرغم من أن قبائل الحاوسة لا تجمع جنساً قائماً بذاته، فإن لفظة (الحاوسة) تبقى اصطلاحاً لغوياً يطلق على جميع الشعوب التي تتحدث بلغة الحاوسة.

ويقال إن اسم هذه اللغة محرف عن كلمة (**الخاصة**) العربية، لأن الحاوسة كانوا يعدون أنفسهم من (الخاصة) الذين أوكلت إليهم مهمة نشر **الدعوة الإسلامية والثقافة العربية في إفريقيا**، ومن هنا جاءت تسمية هذه اللغة في بعض المصادر العربية بلغة الخوصة أو الخواصة.

واللغة الحاوسية كانت اللغة الوحيدة المكتوبة من بين لغات إفريقيا شمال خط الاستواء عدا **العربية والأمهرية**، لذلك فإنه جرى استخدامها في المراسلات التجارية والمعاملات المالية والإدارية منذ وقت طويل، وقد ظلت تكتب حتى عهد قريب بالحروف العربية بالنوع المعروف **بالخط السوداني أو التمبكتي** المتفرع عن **الخط المغربي**، وهو خط غليظ وثقيل، وغالباً ذو زوايا أكثر مما هو مستدير، وقد حفظ الحرف العربي تراث هذه اللغة من تواريخ وقصص ودواوين شعر وأمثال وألغاز ونصوص دينية.

وبما أن احتكاك الحاوسة بالثقافة العربية يرجع إلى عهد موغل في القدم، فإن تداخل اللغة العربية وتأثيرها العميق في اللغة الحاوسية كان بعيد الغور، فقد كانت تغرف منها غرفاً، إذ ليست الحروف هي عربية فقط، بل إن كثيراً من الكلمات والمصطلحات من سنخ عربي، ولا يمكن للفرد من الحاوسة أن يتكلم جملة واحدة دون أن يستعير عدة كلمات من العربية، فهم يستعملون مثلاً كلمة (**سركاشانه**) بدلاً من سكرتير، وهي كما لا يخفى من أصل عربي (**سر شأنه**)، وهم يقولون (**ما لم**) في معلم، و (**سلاما**) في السلام، و (**صوابا**) في الصواب، و (**أمينو**)، في أمين، وهكذا فإن أكثر الكلمات من أصل عربي. هذا مع ملاحظة أن التأثير الأوروبي على هذه اللغة يعتبر ضئيلاً للغاية إذا ما قورن بالتأثير العربي والإسلامي.



ولم يقتصر النقل والاقتباس في اللغة الحاوسية على امتصاص كثير من الألفاظ العربية والمصطلحات الإسلامية واصطناع الحرف العربي في الكتابة بل تعداه إلى احتذاء أوزان الشعر العربي بحيث صرنا نجد في دواوين الحاوسة المسماة **«قصايد» الأوزان الخليلية والقافية الموحدة وبعض الفنون البديعية**.

ومن المفيد أن نشير إلى أن لغة الحاوسة على الرغم من كونها **لغة تنغيمية (tone Languages)** يتغير فيها معنى الكلمة حسب طريقة تلفظها، فإنها وفق جميع المعايير اللغوية بعيدة عن أن تعتبر لغة بدائية، إذا أردنا بهذا الاصطلاح أي معنى من معاني البساطة في التركيب أو الدلالة، ناهيك عن أن تراث هذه اللغة المدون يرجع إلى بضع مئات من السنين خلت.

وقد اهتمت كل من بريطانيا وفرنسا بأمر هذه اللغة، عندما كانت الأولى تحتل (نيجيريا)، والثانية تحتل (النيجر)، فعملت كلتاهما على طمس الحروف العربية، وتشجيع اتخاذ الحروف اللاتينية، فقامت أحرف الكتابة بها في نيجيريا على أساس **الأصوات الكلامية الإنكليزية وعلاماتها**، وأما في النيجر فعلى أساس **الأصوات الفرنسية**، ومن جراء ذلك نرى أنه على الرغم من أن سكان الدولتين يتكلمون بلغة واحدة، فالمطبوعات من الكتب والصحف الصادرة في إحدى الدولتين صعبة الفهم والقراءة لمواطني الدولة الأخرى.

وهكذا بعد أن كانت الحروف العربية توحد شعوب الحاوسة، أدى اصطناع الحروف اللاتينية بالنظامين الإنكليزي والفرنسي إلى تكريس الانفصال وشارك في بلبلة أصوات لغتها، إذ من المعلوم أن صعوبات النطق بين الألفاظ الإنكليزية والفرنسية تتجسم في بعض الحروف كما تتجسم في **الحروف الصائتة** عند مواضع الإمالة والإشمام على نحو يسهل تداركه فيما يكتب بالحروف العربية.

ومن الواجب أن نومئ هنا إلى أن عوامل السياسة والاقتصاد هي التي حدت ببعض شعوب الحاوسة إلى اختيار **الحروف اللاتينية**، ولم يكن سبب هذا الاختيار نقصاً عسير العلاج في أصول الكتابة العربية، ولولا عوامل السياسة والاقتصاد لما اختار فريق من الحاوسة حروف الإنكليزية، واختار فريق آخر حروف الفرنسية على حسب العلاقات بين **البلد الحاوسي** وبين إحدى هاتين الدولتين.

وفي الوقت الحاضر إذ تتجه النية إلى أن يوضع بمساهمة خبراء **اليونيسكو** نظام جديد لأحرف الكتابة مشترك بين البلدين، من واجب محافل اللغة العربية تشجيع الأطراف المعنية على العودة إلى استخدام الحروف العربية لدعم التواصل بين حاضر هذه اللغة وتراثها المكتوب بالخط العربي، الذي لا يزال يكتب به على نطاق معين، ولتقوية الروابط العربية الإفريقية.

ولا شك أن مستقبلاً زاهراً ينتظر لغة الحاوسة في إفريقيا الغربية خاصة وأن الاتجاه الإفريقي لإحياء **لغات إفريقيا الوطنية واستعمالها في المجالات الرسمية بدلا من اللغات الأوروبية سينتصر في النهاية وأن لغات إفريقيا التي تقارب من (٨٠٠) لغة ستتوحد يوماً ويموت الضعيف منها وتبق أربع لغات، وهي العربية في الشمال والأمهرية في الحبشة والحوسية في الغرب والسواحلية في الشرق**.

هذا ويمكن للعرب المعاصرين أن يقربوا للإفريقيين اللغة العربية، ويقدموا لهم ثقافتهم عبر قنوات اللغة الحاوسية، ويجعلون منها أداة تواصل ثقافي وضخ حضاري تماماً كما كانت عليه قبل مجيء الأوروبيين إلى القارة.

إحسان جعفر

هذا، وقد صاحب الندوة إقامة معرض لمطبوعات الجامعات المشاركة.

أسبوع للكتاب الزراعي

أقامت كلية الزراعة التابعة لجامعة الملك سعود بالرياض، معرضاً للكتاب الزراعي بمشاركة العديد من دور النشر المحلية.. وقد عرضت فيه عناوين مختلفة، شاملة الجديد والقديم في مجال الزراعة.

معرض للخرائط الأثرية

أقيم في مدينة الجوف معرض للخرائط الأثرية، وذلك تحت إشراف وتنظيم **دار الجوف للعلوم بالتعاون مع المجلس الثقافي البريطاني بالمملكة**.

ضم المعرض إحدى وتسعين خارطة أثرية لمناطق مختلفة من المملكة.. وحضر المعرض وشاهده العديد من المهتمين والزوّار.



★ د. يوسف عز الدين ★ ★ د. صلاح الدين المنجد ★

كتب جديدة

● «**في ضمير الزمن**»، **ديوان شعر للدكتور يوسف عز الدين**، صدر عن **دار أمية للنشر بالرياض في طبعته الثالثة**.

● «**ألحان**»، **مجموعة شعرية للدكتور يوسف عز الدين**، صدرت في طبعة ثانية عن **دار أمية للنشر بالرياض**.

● «**منية العقول في تفضيل الرسول محمد عليه الصلاة والسلام**»، تأليف **عز الدين بن عبد السلام**، تحقيق **د. صلاح الدين المنجد**، صدر في **جدة**.

● «**بوابة في شكل الوطن**»، ديون شعر للشاعر **محمد عبد الإله العصار**، صدر في **الرياض**.

صدرت الكتب التالية عن «**دار المريخ**» **بالرياض** ضمن «**سلسلة البراعم**»:

★ «**أنا ألعب**».

★ «**أنا أتعلم**»، جزءين.

★ «**أنا أقرأ وأكتب**»، جزءين.

● «**خطة بناء قائمة المفردات الشائعة بين أطفال المرحلة الابتدائية**»، تأليف **الدكتور حسن أحمد الغرباوي**، صدر عن **جامعة أم القرى بمكة المكرمة**.

● «**تاريخ الحركة الرياضية في المملكة العربيّة السعودية**»، تأليف **الدكتور أمين ساعاتي**، صدر في **جدة**.

● «**اتجاهات نفسية وتربوية**»، تأليف



فخري حسين عزي والدكتور لطفي بركات أحمد ، صدر عن تهامة ضمن مطبوعاتها .

● «طلائع الفكر والأدب» ، جـ ١ ، تأليف هاشم محمد سعيد دفتردار المدني ، صدر عن دار الشروق بجدة .

● «الطب النبوي ... والطب القديم» ، إعداد الدكتور محمد بشير حقي ، صدر عن نادي أبها الأدبي ضمن سلسلة «ألوان ثقافية» .

● «مبضع الجراح» ، تأليف المرحوم الشريف إبراهيم العياش ، صدر عن نادي المدينة المنورة الأدبي والثقافي .

كما صدرت مجموعة القصص التالية للأطفال عن تهامة :

★ «جدة الحديثة ١ و ٢» ، بقلم يعقوب محمد إسحق .

★ «الكتكوت المتشرد» ، رسوم وإعداد عمار بلغيث .

★ «صلاة الاستسقاء» ، بقلم يعقوب إسحق .

★ «الحصان الذي فقد ذيله» ، نقله للعربية عزيز ضياء .

● «حروف على أفق الأصيل» ، ديوان شعر للشاعر حمد الزيد ، صدر عن نادي جدة الثقافي الأدبي .

● «اغتيال القمر الفلسطيني» ، مجموعة شعرية للشاعر أحمد مفلح ، صدر عن نادي جدة الثقافي الأدبي .

● «من أوراقي» ، تأليف محمد سعيد العامودي ، صدر عن تهامة ضمن سلسلة «الكتاب العربي السعودي» .

● «رفع الحرج في الشريعة الإسلامية : ضوابطه وتطبيقاته» ، تأليف الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد ، صدر عن مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

● «عمر بن أبي ربيعة» ، تأليف المرحوم إبراهيم هاشم فلالي ، صدر عن تهامة ضمن سلسلة «الكتاب العربي السعودي» .

● «المسح على الجبيرة والعصابة» ، تأليف يعقوب محمد إسحق ، صدر عن تهامة في سلسلة «التربية الإسلامية» كتاب تهامة للأطفال .

● «لن تُلحد» ، تأليف أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري ، صدر عن تهامة ضمن سلسلة «الكتاب العربي السعودي» .

● «الشروح والتعليقات على كتب الأحكام» السفر الأول ، تأليف أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري ، صدر في الرياض .

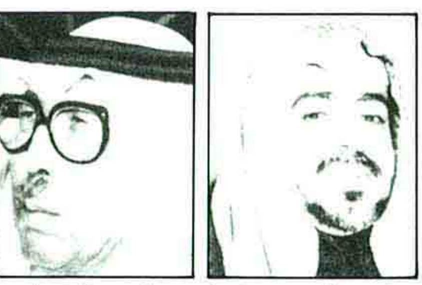
● «الذخيرة من المصنَّفات الصغيرة» ، تحقيق أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري ، السفر الأول ، صدر في الرياض .

● «الاستقامة» ، تأليف أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ـ ابن تيمية ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، صدر الجزء الأول عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

● «الذهب المسبوك في وعظ الملوك» ، تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي ، تحقيق أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري والدكتور عبد الحليم عويس ، صدر في الرياض .

● «المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي» ، تحقيق ودراسة نايف بن هاشم الدعيس ، صدر عن تهامة ضمن سلسلة «رسائل جامعية» .

● «الخدمات الصحية بمدينة مكة المكرمة ـ دراسة في الجغرافيا الاجتماعية» ، أعدها الدكتور عبد الله الصنيع ، صدرت عن مركز البحوث التربوية والنفسية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ضمن سلسلة «الدراسات والبحوث» .


★ أبو عبد الرحمن بن عقيل ★ ★ عزيز ضياء ★

● «إفادة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» ، تأليف عبد الرحمن الجطيلي ، صدر عن دار اللواء .

● «التعبير الدرامي ـ دراسة نصية ، كيف تكتب مسرحية» ، تأليف الدكتور سعد أبو الرضاء ، صدر عن دار عكاظ بجدة .

كما صدرت الكتيبات التالية عن دار المريخ بالرياض ، وتعد المجموعة الأولى من سلسلة «تبسيط المواد العلمية للأطفال» ، من تأليف فارس خليل ، ورسوم فريدة عويس ، والمجموعة تمثل ثماني قصص وهي :

★ «الأميرة والفوانم الثلاثة» .

★ «متعوس ومنحوس» .

★ «اللص الظريف» .

★ «الأميرة والمسخ» .

★ «شلضم والخرساء» .

★ «ذكاء ووفاء» .

★ «حادي بادي» .

★ «نوادر عم مبروك» .

● «المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية» ، تأليف الدكتور علي مصطفى صبح ، صدر عن تهامة ضمن مطبوعاتها .

● «المدخل إلى البحث العلمي الجغرافي المعاصر» ، بحث أعدّه الدكتور عبد الله الصنيع ، صدر في كتاب بمكة المكرمة .

● «علم اللغة المبرمج ـ الأصوات والنظام الصوتي مطبقاً على اللغة العربية» ، تأليف الدكتور كمال إبراهيم بدري ، صدر عن

عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود بالرياض .

● «الدليل إلى كتابة البحوث والرسائل» ، تأليف ل . سميث ول . ج بيكفورد ، تعريب الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ، صدر عن تهامة .

● «الماء ... ومسيرة التنمية في المملكة العربية السعودية» ، تأليف مصطفى نوري عثمان ، صدر عن تهامة ضمن مطبوعاتها .

● «هل يكون الغد يوماً آخر ... ؟» ، تأليف عبد الكريم عبد الله نيازي ، صدر عن نادي مكة المكرمة الثقافي .

● «وحدة الفن الإسلامي» ، كتاب صدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات بالرياض .

● «احذر أن ينكسر قلبك» ، تأليف عبد الله باجبير ، صدر عن دار «أبو حسن للنشر والتوزيع بجدة» .

الجزائر :

ملتقى ابن رشيق

أقيم في مدينة الجزائر في شهر شعبان الماضي ملتقى فكري كبير حول الناقد العربي ابن رشيق القيرواني ، حضره عدد من الناقدين والمهتمين ، ونوقشت فيه أمور عديدة تتعلق بذلك الناقد الفذ ، من تلك الأمور التي كانت موضع المناقشة :

★ تقييم ابن رشيق وآثاره ، بالإضافة إلى موضوعات أخرى ذات علاقة بالفكر النقدي الحديث ، وإشكاليات الكتابة الأدبية الحديثة .

مهرجان لشاعر جزائري

أشرف اتحاد الكتّاب الجزائريين على تنظيم مهرجان محمد العيد آل خليفة الشعري الرابع في مدينة بسكرة جنوب شرقي مدينة الجزائر في الفترة من ١٨ إلى ٢١ مارس (آذار) ١٩٨٥ م .

وتضمّن برنامج المهرجان قراءات شعرية ودراسات ومحاضرات أدبية ونقدية تمحورت حول النزعة الوطنية في شعر آل خليفة والتجربة الشعرية في المغرب العربي وتيارات الشعر العربي المعاصر ، كما عقدت في اليوم الرابع والأخير من المهرجان ندوة بعنوان «أزمة الثقافة في الوطن العربي» .. شارك في هذا المهرجان عدد كبير من الشعراء والأدباء الذين قدموا من مختلف أنحاء العالم العربي .

مقدمة ابن خلدون إلى البلغارية

فرغ الدكتور محمد نور الدين والبلغاريين الأستاذ يوردان بييف أستاذ التاريخ العربي الإسلامي في جامعة صوفيا ، وبيتا براتوييفا التي تحمل شهادة الماجستير في الفلسفة من القسم العربي في جامعة صوفيا من ترجمة مقدمة ابن خلدون إلى اللغة البلغارية ، وهذا في إطار الجهود التي تبذلها وزارة الثقافة البلغارية

في دائرة الضوء

● الكتاب :
القصة في القرآن

● المؤلف :
فتحي رضوان

هذا الكتاب على الرغم من قلة عدد صفحاته ، وحجمه الصغير ، واقتصاره في البحث على القصة في القرآن ، إلا أنه يقدم موقفاً فكرياً متكاملاً يستند أساساً على النظرة العلمية . أول ما يلفت القارئ في هذا الكتاب ظاهرة الاختصار والإيجاز الشديدين ، التي يقول عنها مؤلف هذا الكتاب :

«الاختصار هنا ليس مجرد هدف ، وإنما هو اختيار محكم لألفاظ قليلة غاية القلة ، بسيطة غاية البساطة ، ولكنها مؤدية للمعنى ، محفوفاً ومشمولا بكل ملابساته العاطفية والوجدانية» .

ويبرع المؤلف فتحي رضوان عندما يقرن ظاهرة التلخيص والإيجاز بمفهوم التجريد الذي انعكس فيما بعد على فن المسلمين في البناء والرسم والتصوير والنقش والزخرفة حتى أضحى الفن الإسلامي والعمارة الإسلامية الرائعة نسيجاً فريداً بين الفنون .

يتميز هذا الكتاب بمحاولة أهلية تتجاهل المراءاة المفتعلة بين العلم والدين ؛ فهو يقدم لنا بحثاً فنياً في القصة القرآنية كواحدة من الأساليب التي استعملها القرآن الكريم في تحقيق قصده وإتمام غرضه .

إن القصة في القرآن لا تهدف إلى السرد التاريخي ، ولا تحاول إقامة شخصية أو حبكة أو صياغة موقف ، لكنها تضع نصب العين الغرض والقصد ، الحكمة والعبرة التاريخية والمعنى المطلوب .. فتقود القارئ عبر كلمات معجزة في قلّتها ، معجزة في إبانتها وفصاحتها ، إلى لُبّ القضية وبيت القصيد .

وهكذا نجد القرآن ككل كتاب عقيدة وهداية ، وكل ما فيه من كلام معجز يتناغم ويتناسق لتحقيق أهدافه والوصول إلى غاياته .

وقد كرر مؤلف الكتاب أكثر من مرة خصائص القصة القرآنية ، وأولى هذه الخصائص الإيجاز المعجز المصحوب بالبرهان والحجة ، مع استيفاء المعنى ، وثانية هذه الخصائص أن القصة التاريخية في القرآن لم تأت لغاية تاريخية ، إنما جاءت للهداية والإرشاد ، فتجردت من ذكر الزمان والمكان والتأريخ وأسماء الأبطال وتسلسل الحوادث ، وثالثة هذه الخصائص هي الانتقال من مرحلة إلى مرحلة بغير مقدمات إطلاقاً ، ورابعتها أن الرواية أو القصة كلها من البداية إلى النهاية في خدمة الغاية الأسمى ألا وهي : دعوة الناس إلى عقيدة التوحيد .

والملاحظ أن المؤلف قد أفرد لُبّ الكتاب كله لمتابعة قصة سيدنا موسى عليه السلام ، حيث قدم فقرات قرآنية معلقاً عليها ومفسراً ما ورد في الكتب السماوية المقدسة الأخرى ، كما أورد أقوال المفسرين والشراح الذين عنوا بتفسير القصص القرآني . ومن المعلوم أن مؤلف الكتاب كذلك اعتمد على مراجع مهمة .

أحمد المكينسي
الرباط ـ المغرب



لترجمة الأعمال العربية والإسلامية إلى اللغة البلغارية .

نشاط مركز البحث الوثائقي

عاد **مركز البحث والإعلام الوثائقي للعلوم الاجتماعية لجامعة وهران** إلى مزاولة نشاطه مؤخراً بعد توقف دام نحو سنة ونصف ، وكان قد أنشئ عام ١٩٨٢ م ، وتتضمّن مهمته امتلاك ومعالجة ونشر مواد وثائقية حول إنتاج أدوات البحث والتنشيط العلمي والثقافي . ومما يجدر ذكره في هذا الشأن هو النشاط الكبير الذي ميّز نشاطات هذا المركز إذ نظم مائة لقاء علمي وثقافي على المستويين الجزائري والدولي ، ويمتلك ثمانية آلاف كتاب وحوالي ألف أطروحة جامعية والعديد من الدوريات والمجلات . ويسعى المركز إلى تطوير التعاون مع المراكز الأجنبية والجامعات ومعاهد التوثيق .

مهرجان دولي لمسرح الأطفال

نظمت لجنة الحفلات لمدينة الجزائر بين الثاني والعشرين من شهر مارس (آذار) والثالث من شهر أبريل (نيسان) ١٩٨٥ م ، **المهرجان الدولي الأول لمسرح الأطفال** برمجت خلاله سبع مسرحيات ثلاث منها جزائرية وأربع قدمتها **فرنسا ويوغوسلافيا وبلغاريا** .

كتب جديدة

● « **آدم يهبط إلى المدينة** » ، مجموعة قصصية للقاص **أحمد أبو دشيشة** ، صدرت عن **المؤسسة الوطنية للكتّاب بالجزائر** .

● « **ما بعد الطوفان** » ، مجموعة قصصية للقاص **عمار يزلي** ، صدرت في **الجزائر** .

● « **ديوان الأطفال** » ، ديوان شعر للأطفال للشاعر **محمد الأخضر السائحي** ، صدر عن **دار الكتاب الجزائري** .

كما صدر ضمن **سلسلة « الدراسات الكبرى »** التي تصدرها المؤسسة الوطنية للكتاب :

★ « القطاع التقليدي في الزراعة بالجزائر ، تحديده ونظام دمجه في الثورة الزراعية » ، تأليف **محمد بلقاسم حسن بهلول** .

★ « الجزائر منذ نشأة الحضارة » ، ثلاثة أجزاء ، تأليف **محمد الطاهر عدواني** .

★ « بان الصبح » ، رواية ، تأليف **عبد الحميد بن هدوقة** .

★ « الغصن المكسور » ، مجموعة قصصية ، تأليف **عبد الحميد تابليت** .

★ « المرث » ، رواية من تأليف **رشيد بوجدرة** .

★ « في ذكرى الأمير » ، تأليف **الدكتور صالح خرفي** .

★ « نهاية المطاف بيديك » ، رواية من تأليف **جيلالي خلاص** .

★ « حين يعلو البحر » ، رواية من تأليف **شنّوفي محمد** .

★ « الظلال الممتدّة » ، رواية من تأليف **زهور ونّيسي** .

★ « توزه » ، مجموعة قصص من تأليف **مرزاق بقطاش** .

★ « الضحية » ، رواية من تأليف **خدّوس رابح** .

★ « صرخة قلب » ، مجموعة مقالات ، تأليف **الحبيب بنّاس** .

★ « الإنكار » ، رواية من تأليف **رشيد بوجدرة** .

★ « الدروب الوعرة » ، رواية بالفرنسية من تأليف **مولود فرعون** ، ترجمة **الدكتور حنفي بن عيسى** .

★ « الشهداء يعودون هذا الأسبوع » ، مجموعة قصص من تأليف **الطاهر وطّار** .

★ « البرق » ، مجموعة قصص من تأليف **عزي بوخالفه** .

وصدرت عن المؤسسة الوطنية للكتاب ضمن « **سلسلة الدراسات الكبرى** » ، الطبعة الثانية من كتاب :

★ « النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي » ، تأليف **الدكتور محمد مصايف** .

اليمن :

كتب جديدة

صدرت الكتب التالية عن مركز الدراسات والبحوث اليمني :

★ « **ثلاث وثائق عربية عن ثورة عام ١٩٤٨ م** » ، تأليف **الفضيل الورتلاني ، ومصطفى الشكعة ، وراشد البداوي** .

★ « **ديوان جمال الدين الوصابي الملقب بأبي عبد الله** » ، تحقيق **محمد بن علي الأكوع** .

★ « **الأدبيات اليمنية** » ، تأليف **كارل بروكلمان** ، ترجمة **صالح بن الشيخ** .

المغرب :

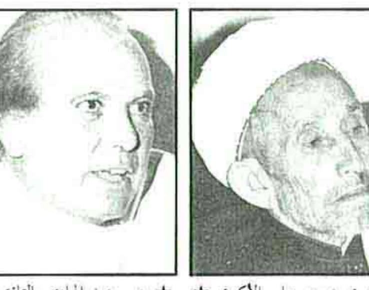
فهارس مغربية

اسم دورية مغربية جديدة متخصصة في الببليوغرافيا ، تهتم بفهرسة وضبط الإنتاج الفكري المنشور في الدوريات المغربية وما تنشره الدوريات الأجنبية عن المغرب .

هذا ، وقد صدر من هذه الدورية عددها الأول محتوياً على جرد محتويات **مجلة « تطوان »** المتخصصة في الدراسات المغربية الأندلسية .

وقد وضعت هذه الدورية خطتها المستقبلية للأعداد القادمة ، حيث ستتطرق لجرد محتويات الدوريات التالية : السلام ، الثقافة المغربية ، الباحث ، القضاء والقانون ، آفاق ، البيئة ، البحث العلمي ، مجلات كليات الحقوق والآداب ، رسالة الأديب ، نشرة معهد الدراسات المغربية العليا ، الوثائق المغربية ، الفكرة ، الوثائق البربرية ، نشرة جغرافيا المغرب .

ولعل من المفيد أن نذكر أن **الأستاذ محمد بن محيي** يدير تحرير هذه الدورية المتخصصة .


★ محمد بن علي الأكوع ★ ★ د. عبد الهادي التازي ★

كتب جديدة

● «المسرح في الإذاعة والتلفزيون»، تأليف **عبد الله شقرون**، صدر في **الرباط**.

● «**الموجز في تاريخ العلاقات الدولية المغربية**»، تأليف **الدكتور عبد الهادي التازي**، صدر عن **معهد البحث العلمي بالرباط**.

● «**المغرب عبر التاريخ**»، تأليف **الدكتور إبراهيم حركات**، صدر منه **الجزء الثالث**.

● «**تاج المفرق في تحليله علماء المشرق**»، تأليف **خالد بن عيسى البلوي**، **تحقيق الحسن بن محمد السائح**، صدر في **جزءين** عن **وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية**.

● «**ترتيب المدارك في أعلام مذهب مالك**»، تأليف **القاضي عياض**، **تحقيق سعيد أحمد أعراب**، صدر **الجزء الثامن والأخير** عن **وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية**.

● «**الوافي بالوفيات**»، **لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي**، صدر عن **شركة الفجر العربي للإنتاج والتوزيع في ١٢ مجلداً**.

● «**أحكام الشفعة والصفقة**»، **للقاضي سليمان الحمزاوي**، صدر ضمن **منشورات جمعية تنمية البحوث والدراسات القضائية** التابعة **للمعهد الوطني للدراسات القضائية بالرباط**.

● «**سعيد حجي** ـ دراسة عن حياته ونشاطه الثقافي والسياسي وبعض إنتاجه»، **الجزء الثاني**، تأليف **أبي بكر القادري**، صدر ضمن سلسلة «**صفحات من تاريخ الحركة الوطنية والثقافية بالمغرب**».

محاضرات

● «جذور الفن العراقي»، محاضرة ألقاها جبرا إبراهيم جبرا في المركز الثقافي العراقي بلندن.

● «علم الوراثة في المجتمع»، محاضرة ألقاها الدكتور نبيه عبد الرحمن باعشن بجدة.

● «الإسلام عقيدة وشريعة وإيمان»، محاضرة ألقاها مصطفى محمد أحمد بكلية البنات بتبوك.

● «أضواء على الأمراض النفسية»، محاضرة ألقتها الدكتورة سلوى عبد الباقي بكلية تربية البنات بتبوك.

● «مشكلة الأطفال التربوية والسلوكية»، محاضرة ألقتها زينب عبد العال بكلية تربية البنات بتبوك.

● «الرسول ... قدوة»، محاضرة ألقاها محمود عبد الحميد بكلية تربية البنات بتبوك.

● «بين المضعف والمعتل في الأفعال»، محاضرة ألقاها الدكتور عبد الرحمن إسماعيل بمكة المكرمة.

● «الإسلام وأسس التفكير العلمي»، محاضرة ألقاها الدكتور زغلول النجار بالرياض.

● «الغزو الفكري ـ وسائله ومظاهره»، محاضرة ألقاها الدكتور مانع الجهني بكلية الزراعة بالرياض.

● «الفلك ... وتقويم الأوقات»، محاضرة ألقاها الشيخ عبد الله بن إبراهيم السليم ببريدة.

● «الجندي ... أعلى مراتب التربية»، محاضرة ألقاها الأستاذ محمد قطب بكلية الملك فيصل الجوية بالرياض.

● «المرأة المسلمة»، محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ صالح الفوزان بمقر الجمعية الخيرية النسائية بمكة المكرمة.

● «الأقمار الصناعية ... ومستقبل الاتصالات»، محاضرة ألقاها معالي الدكتور محمد عبده يماني بجدة.

● «حقوق المرأة وواجباتها في الإسلام»، محاضرة ألقاها الشيخ محمد بن صالح العثيمين بالرياض.

● «تربية الأهل والأبناء على ضوء الكتاب والسنّة»، محاضرة ألقاها الشيخ إبراهيم بن عبد الله الغيث ببريدة.

● «كيف يستفيد الطالب من المصادر والمراجع الحديثة»، محاضرة ألقاها الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد بالمدينة المنورة.

● «العقم في الجنسين ... وطرق علاجه»، محاضرة ألقاها الدكتور علي إبراهيم بمستشفى الملك عبد العزيز بمكة المكرمة.

● «العرب في الفكر الصهيوني»، محاضرة ألقاها الدكتور حسن ظاظا بجامعة الملك سعود بالرياض.

● «الشباب والتنمية»، محاضرة ألقاها الدكتور حامد عبد المقصود بجامعة الملك سعود بالرياض.



● «تحت ظلال القرآن والسنّة»، تأليف **عبد الحي العمراني**، صدر في **الرباط**.

● «**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**»، للقاضي **أبي محمد عبد الحق الأندلسي**، تحقيق **المجلس العلمي بفاس**، صدر **الجزء التاسع** عن **وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط**.

تونس

وفاة عميد الصحفيين

انتقل إلى رحمة الله تعالى السيد «**الهادي العبيد**» **عميد الصحفيين التونسيين، وأول رئيس لتحرير صحيفة «الصباح» التونسية**، وذلك عن عمر ناهز السبعين عاماً.

ويعد العبيد الذي دخل في مجال العمل الصحفي عام ١٩٢٧م، من بين المناضلين بالقلم في تونس من أجل الحفاظ على عروبة وحضارة وثقافة بلده، إذ كان يدعو في مقالاته التي كانت تنشر في الصحف التونسية إلى النضال من أجل تحرير تونس من الاستعمار الفرنسي، والتمسك بالقيم العربية الإسلامية.

وإلى جانب عمله الصحفي، فقد كان له نشاط في المجال المسرحي حيث كتب وترجم عدة مسرحيات.

رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جنانه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فضاءات مسرحية

أصدرت وزارة الثقافة التونسية مجلة فصلية جديدة تعنى **بشؤون المسرح تحت اسم «فضاءات مسرحية»**، وذلك بهدف خدمة الحركة المسرحية ومحاولة دفع عملية الإنتاج نحو الأمام.

الجدير بالذكر أنه قد صدر العدد الأول منها حيث جاء مشتملاً على عدة موضوعات منها:

★ إشكالية لغة الكتابة المسرحية خلال الحرب العالمية الثانية.

★ مسرح عز الدين المدني والتراث.

★ المسرح الوطني – الواقع والآفاق.

★ قراءات تحليلية لثلاث مسرحيات تونسية هي: «أنا الحادثة»، و«من أين هذه البلية»، و«التربيع والتدوير».

كتب جديدة

● «**وسائل الإعلام والدول المتطورة**»، تأليف **فرنسيس بال**، ترجمة **حسين العودان**، صدر عن **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «الكسو»**.



أسبوع ثقافي عماني

أقيم في العاصمة الأردنية أسبوع ثقافي عماني تضمن:

★ معرضاً للكتاب.

★ أمسيات شعرية.

★ عرضاً لفرق الفنون الشعبية.

★ عرضاً للمنتجات الوطنية العمانية.

حضر المعرض العديد من المسؤولين في البلدين والمهتمين وراغبي الاطلاع.

مهرجان ثقافي مصري

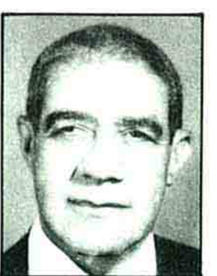
أقيم في العاصمة الأردنية خلال الفترة من ٢٤ أبريل (نيسان) إلى ٢ مايو (أيار) ١٩٨٥م، **أسبوع ثقافي مصري** حيث تم فيه:

★ إقامة معرض للفنون التشكيلية والشعبية.

★ إقامة معرض دائم للكتاب المصري.

★ إقامة أمسيات شعرية وقصصية.

حضره العديد من المهتمين والأدباء والفنانين.



★ د. عبد المنعم خفاجي ★

كتب جديدة

● «**الغزو المغولي – أحداث وأشعار**»، **إعداد وجمع مأمون فريز جرار**، صدر عن **دار البشير بعمّان**.

● «**الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث**»، تأليف **مأمون فريز جرار**، صدر عن **دار البشير بعمّان**.

● «**شهادات حب**»، **المجموعات الشعرية الثانية للشاعر راشد عيسى**، صدرت في **عمّان**.



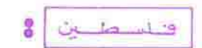
معرض للكتاب الجامعي

بهدف إطلاع أعضاء هيئة التدريس على المؤلفات الجامعية في مجالات الأدب والفكر والثقافة والعلوم والبحث، فقد أقيم في الدوحة **معرض للكتاب الجامعي الخليجي الأول**، وذلك بمشاركة جامعات قطر والمملكة العربية السعودية والكويت.

ضم المعرض مجموعات من الكتب الجامعية الخليجية تمثل حصيلة الإنتاج الفكري والثقافي في الجامعات المشاركة.

كتب جديدة

● «**التراث والمعاصرة**»، تأليف **الدكتور أكرم ضياء العمري**، صدر ضمن سلسلة «**كتاب الأمة**».



كتب جديدة

● «**دراسات في عدد من أعمال الشاعر**

سميح القاسم ـ لستة عشر ناقداً »، إعداد **أنطوان شلحت**، صدرت ضمن **منشورات الأسوار بعكا**.

مصر:

متحف للخط العربي

تحت إشراف **المركز القومي للفنون التشكيلية بالقاهرة**، سوف يقام متحف دائم للخط العربي، تعرض فيه نماذج من الفنون الخطية في مقدمتها، فنون الخط في كتابة القرآن الكريم.

كتب جديدة

● « **رحمة الله ـ دراسة فكرية في القرآن والسنّة** »، تأليف **عبد اللطيف الجوهري**، صدر عن **دار الدعوة بالإسكندرية**.

● « **النظام الاقتصادي الاجتماعي الإسلامي** ـ وإنقاذ الاقتصاد العالمي »، تأليف **عبد الغني سعيد**، صدر في **القاهرة** عن **مكتبة الأنجلو المصرية**

● « **الحركة الفكرية في العراق** »، تأليف **الدكتور يوسف عز الدين**، صدر عن **الهيئة المصرية العامة للكتّاب**.

● « **المسرحيات المجهولة** »، إعداد **فؤاد دواره**، الجزء الأول، صدر ضمن سلسلة « **مسرح توفيق الحكيم** ».

● « **فن المسرح عند تشيكوف وقراءة جديدة لطائر البحر** »، تأليف **ماجد يوسف**، صدر ضمن سلسلة « **فن المسرح** »، عن **المكتبة الثقافية**.

● « **الكلاب .. وصلت المطار** »، **مسرحية**، تأليف **علي سالم**، صدرت ضمن سلسلة « **روايات الهلال** ».

● « **الحياة الأدبية في مصر في العصر المملوكي والعثماني** »، **للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي**، صدر عن **مكتبة الكليات الأزهرية**.

● « **العربية ... لغة الإعلام** »، تأليف

رسائل جامعية

●● « **ظاهرة التناقض في النحو العربي** »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية تربية البنات بالرياض، تقدمت بها السيدة **جوهرة ناصر حمد الراشد**.

●● « **البحتري ـ حياته من شعره** »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية اللغة العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقدم بها السيد **أحمد حمود الغثيان**.

●● « **أبو الأعلى المودودي وآراؤه في مجال السياسة الشرعية** »، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بالمعهد العالي للقضاء التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها السيد **محمد علي مصطفى**.

●● « **البحث البلاغي عند ابن قتيبة** »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية اللغة العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها السيد **محمد بن علي الصامل**.

●● « **تأثير الشقوق على الاتزان المستقر المرن في الأعمدة والهياكل** »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية العلوم الهندسية بجامعة البترول والمعادن بالظهران، تقدم بها السيد **ناصر عبد الرحمن الشائع**.

●● « **تقييم اختبارات تغيير النظام المروري وسط المدينة باستخدام نماذج المحاكاة** »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة البترول والمعادن بالظهران، تقدم بها السيد **حسن مساعد الأحمري**.

●● « **قوة الطين الجيري المعامل بالإسفلت المستحلب للاستعمال في أساسات الطرق** »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة البترول والمعادن بالظهران، تقدم بها السيد **طاهر سالم عربيات**.

●● « **أداء العوازل الكهربائية في المناطق الملوثة** »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة البترول والمعادن بالظهران، تقدم بها السيد **خالد يوسف الصوفي**.

●● « **حبوب الوادي الثقيلة كأداة مؤثرة للاستكشاف الجيوكيميائي** »، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية علوم الأرض بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، تقدم بها السيد **محمد عيسى الذكير**.

●● « **تصور تطبيقات تربوية ملائمة لنظرة الإسلام للإنسان** »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدمت بها السيدة **نبيهة مصطفى**.

●● « **أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية** »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية العلوم الاجتماعية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها السيد **عبد الله بن عبد الرحمن الربيعي**.

●● « **محاولات حديثة في تيسير النحو** »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية آداب جامعة البصرة، تقدم بها السيد **قاسم عبد الرضا كاصد**.

●● « **ابن دريد وجهوده في اللغة** »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية آداب جامعة البصرة، تقدم بها السيد **عبد الحسين عبد الله محمود**.



الدكتور **عبد العزيز شرف**، صدر عن **دار الكتاب المصري بالقاهرة**.

● «**الروائع من الأدب العربي - العصر الجاهلي**»، ج ١، **موسوعة** صدر الجزء الأول منها عن **المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة** بإشراف **الدكتور يوسف خليف**.

● «**رفاعة الطهطاوي في الدراسات اللغوية الحديثة**»، تأليف **الدكتور البدراوي زهران**، صدر عن **دار المعارف بمصر**.

عمان

التحديات الحضارية والغزو الفكري

عقدت في مسقط ندوة تحت عنوان «**التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربية**»، حضرها عدد من المسؤولين في مجلس التعاون ومكتب التربية العربي لدول الخليج والمهتمين.

الكويت

كتب جديدة

● «**في تراثنا العربي والإسلامي**»، تأليف **الدكتور توفيق الطويل**، صدر ضمن سلسلة «**عالم المعرفة**».

● «**القواعد الدولية للسلام في الإسلام**»، تأليف **الدكتور محمد عبد العزيز أبو سخيلة**، صدر في **الكويت**.

● «**جمهرة النسب**»، **لابن الكلبي**، **تحقيق المرحوم عبد الستار فراج**، صدر عن **وزارة الإعلام الكويتية**.

● «**بيان فضل علم السلف على علم الخلف**»، **لابن رجب الحنبلي**، تحقيق وتعليق وتخريج **محمد بن ناصر العجمي**، صدر عن **دار الأرقم بالكويت**.

سورية

كتب جديدة

● «**رايات**»، **مجموعة شعرية للشاعر غسان زقطان**، صدرت عن **دار آفاق للدراسات والنشر**.

● «**قصائد مشرفة على السهل**»، **مجموعة قصائد** للشاعر **صقر عليشي**، صدرت عن **وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية**.



كتب جديدة

● «**مداخل ومخارج ومشاركات نقدية**»، تأليف **أحمد بيضون** صدر عن **المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ببيروت**.

● «**معجم الغزالي**»، تأليف **فريد جبر**، صدر ضمن **منشورات الجامعة ببيروت**.

● «**بستان الواعظين ورياض السامعين**»، تأليف **أبو الفرج القرشي التيمي**، راجعه وقدم له **السيد الجميلي**، صدر عن **دار الكتاب العربي ببيروت**.

● «**مسرحيات قصيرة**»، **مجموعة قصائد مسرحية**، تأليف **عصام محفوظ**، صدرت عن **دار أبعاد ببيروت**.



أسبانيا

مجسم جمالي سعودي

بمناسبة الاحتفال بإعلان مدينة (طليطلة) مدينة توأماً لمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية، يعد الفنان التشكيلي السعودي **عبد الحليم رضوي** مجسماً جمالياً يرمز للتآخي بين الحضارتين العربية الإسلامية والإسبانية، حيث سيتم تركيبه في أحد الأماكن البارزة في المدينة، وذلك بعد أن تلقت **الرئاسة العامة لرعاية الشباب** بالمملكة العربية السعودية خطاباً من أرنستو جينيز رئيس جمعية التعاون الثقافي والاقتصادي بين السعودية وإسبانيا بالموافقة والمساعدة في بناء المجسم.

اليونان

أحدث الكتب

● «**الوصول إلى مدينة أين**»، **رواية للشاعر سزكون بولص**، صدرت ضمن **منشورات سارق الغار بأثينا**.



كشف أثري

عثر فريق من الأثريين على بقايا أثرية يعتقد أنها لمدينة قديمة يرجع تاريخها إلى القرن الأول الميلادي، وذلك خلال عمليات تنقيب قاموا بها على موقع على بعد عشرين كيلومتراً شمالي «**كاتماندو**».

وقبل اكتشاف هذه البقايا، فقد تم العثور على أدوات نادرة مصنوعة من الحجر، ورؤوس سهام، وأساور من البرونز، وتماثيل صغيرة من



★ عبد الحليم رضوي ★

الطين .. وذلك في منطقة (دوميكيل) مما يدل على أن هناك مجتمعاً قد مرت عليه السنون، وأنه كان يسكن وادي (كاتماندو)، ولعل هذه البقايا هي بقايا مدينة كانوا يسكنونها.

الباكستان :

الزكاة في المجتمعات الإسلامية

عقدت في كراتشي ندوة دولية حول «**إدارة الزكاة في المجتمعات الإسلامية الجديدة**»، وذلك تحت إشراف وتنظيم **المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية ومعهد تنمية البنوك في باكستان**.

شارك فيها عدد من كبار المسؤولين في وزارات الاقتصاد والأوقاف والهيئات المهتمة بالزكاة في البلدان الإسلامية، وعدد من كبار الفقهاء في العالم الإسلامي.

هذا، وقد عقدت الندوة خلال شهر شعبان ١٤٠٥ هـ، أبريل (نيسان) عام ١٩٨٥ م.

بريطانيا :

العثور على عمل أدبي

عثر في لندن على **عمل أدبي للشاعر البريطاني (لورد بايرون)**، وذلك في قبو. هذا العمل يحتوي على هجاء نثري عن سياسة **(تيمورلنك ـ حاكم سمرقند)**، ذلك الإمبراطور المغولي الذي اجتاح معظم أجزاء الشرق.

أحدث الكتب

● «**أرتيريا ... لن تركع أبداً**»، تأليف **ستوارت هولاند وجيمس فايربريس**، صدر **في لندن**.

أخبار الغد

●● التعاون ●●

ذلك هو اسم **المجلة الفصلية** التي ستصدرها **الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية**، حيث ستعنى بقضايا منطقة الخليج، وما يتعلق بدوله في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

إضافة إلى ذلك سوف تحتوي على جزء خاص بالتقارير والوثائق واليوميات وعرض الكتب والببليوغرافيا المتعلقة بنطاق اهتمامها.

هذا، وقد دعت الأمانة العامة المفكرين والمثقفين والمختصين للمشاركة في إعداد وكتابة البحوث التي ستقدم للمجلة لنشرها وذلك ضمن شروط أهمها:

★ أن يتراوح حجم المادة المقدمة للنشر ما بين (٥٠٠٠) إلى (١٥٠٠٠) كلمة.

★ الاعتماد على الطرق المتبعة في البحوث العلمية ومنهجها وبخاصة في التوثيق والإشارة إلى المصادر إلى غير ذلك مما يعرفه الباحثون من متطلبات البحث.

★ تقديم خلاصة للمادة المقدمة في حدود (٥٠٠) كلمة.

★ أن تكون المادة المقدمة جديدة كل الجدة.

●● ندوة للشباب الإسلامي ●●

ستعقد خلال الفترة من ٨ ـ ١٢ من شهر شوال عام ١٤٠٥ هـ، أعمال «**المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي**»، وذلك **بمدينة الخرطوم**، حيث سيحضرها ممثلون عن المنظمات الشبابية الطلابية الإسلامية المنتشرة في القارات الخمس، ونخبة من كبار العلماء والمفكرين والدعاة في العالم الإسلامي، وبلدان الأقليات الإسلامية المنتشرة في جميع أنحاء العالم.

سيدور محور هذه الندوة حول «الأقليات المسلمة في العالم .. ظروفها، آمالها، وكيفية الارتقاء بها لتحقيق الذات الإسلامية في مجتمعات غير إسلامية» على أن هناك عدة موضوعات ستطرح بالإضافة إلى هذا، ومن أهمها:

★ دراسات إحصائية عن الأقليات المسلمة في العالم.

★ حقوق الأقليات المسلمة في العالم.

★ وضع الأمة العربية في أوساط الأقليات المسلمة.

★ استراتيجية الدعوة الإسلامية في دول غير إسلامية.

★ برامج وخطط الأقليات المسلمة في العالم.

الجدير بالذكر أن هذه الندوة **قد عقدت أربع مرات من مؤتمراتها العالمية في (الرياض) بالمملكة العربية السعودية**، والخامسة قد عقدت في (نيروبي) بكينيا، حيث نوقشت فيها موضوعات تتعلق بالمنظمات الطلابية، وقضايا الفكر الإسلامي المعاصر، والإعلام الإسلامي، والعلاقات الإنسانية، والإسلام والحضارة، ودور الشباب المسلم، والدعوة الإسلامية.

●● كتب جديدة ●●

● «**فتحية تختار موتها**»، **مجموعة قصصية للقاصة ليلى عثمان**، ستصدر في الكويت.



الضباب الحامض

لقياس حامضية أي سائل أو غاز ، هناك اختبار يطلق عليه اسم اختبار PH علماً بأن معدل الحامضية يزداد كلما نقص هذا الرقم . وبكلمات أخرى ، نقول إنه كلما صغرت قيمة PH ارتفع تركيز الحمض في السائل .

وقد أجريت ، ضمن الأبحاث التي يقوم بها معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا في باسادينا (الولايات المتحدة) بإشراف الدكتور م. هوفمان ، اختبارات عديدة حول تلوث البيئة ، وذلك لتحديد معدل حموضة المطر ومقارنتها ، مع معدل حموضة غازات الهواء (الضباب) . وقد أتت نتائج الاختبارات منذرة بالخطر ومحذرة منه .

وقد تبين للباحثين أن حموضة الضباب أكبر بحوالي ١٠٠ مرة من حموضة المطر . ويبين التقرير الذي نشر في العدد ٢١٨ من مجلة « العلم » (١٩٨٢م) أن PH قطيرات الضباب وصل حتى ٢,٢ بينما بلغ ٣ في أسوأ حالات المطر الحامضي .

تطالب النقاشات الجارية حالياً بخفض كميات غازات العادم في الولايات المتحدة ، وهي تطالب بشكل خاص بخفض كمية ثاني أكسيد الكبريت SO_2 المنطلقة شرقي الميسيسيبي من ٢٦ مليون طن حالياً إلى ٨ ملايين طن في سنة ١٩٩٥ م .

الحاسب يدخل الحقيبة

ابتكرت شركة « هيوليت باكارد » الأميريكية حاسباً إلكترونياً « محمولا » وحجمه أكبر بقليل من لوح « الشوكولا » ولا يزيد طوله عن ٢٥ سنتيمتراً ، وهكذا يمكن حمله في الجيب ، وهو يتميز بذاكرة تتسع لـ ١٦ ألف رقم ثنائي (بايت) . وبذلك يتمكن هذا الحاسب من معالجة كمية كبيرة من المعلومات .

زود الحاسب الجديد بشاشة عريضة تتسع لـ ٣٢ سطراً ، يحتوي كل سطر فيها على ٩٦ رمزاً ، ويمكن وصله عند استخدامه في المكاتب ، مع تجهيزات إضافية مثل الأجهزة التلفزيونية والآلات الكاتبة الإلكترونية وأجهزة تسجيل الكاسيت كذاكرة إضافية خارجية .

بمقدور الحاسب تنفيذ ١٤٧ أمراً من الوظائف ، ويمكن تغذيته ببرامج جاهزة اقتصادية ، وتكنولوجية واستثمارية وتجارية ورياضية وإحصائية ، ويمكن استخدام الحاسب أيضاً للأغراض المنزلية أيضاً .

★ ★

هل يدور الكون ؟

توصل « بول بيرش » من جامعة مانشستر استناداً إلى قياساته باستخدام مرصد « غوردل ــ بانك » إلى النتيجة المحيرة التالية : الكون ككل يدور حول نفسه . . . !! وتبين نتائج قياساته المنشورة في مجلة « الطبيعة » (العدد ٢٩٨ لعام ١٩٨٣ م) أن استقطاب المنابع المزدوجة في النصف الأول من الكون موجب ، بينما هو سالب في النصف الآخر . وأحد التفسيرات الممكنة هو أن الكون يدور حول نفسه مرة واحدة كل 6×10^{13} سنة (أي الرقم ٦ وأمامه ١٣ صفراً) . وهذا الاكتشاف سيلقي بالعديد من النظريات الحالية في سلة المهملات .

على أن ما يسمى بـ « الكوسمولوجيا » الآن تنطلق فكرتها من أن الكون متجانس homogeneous ، وخواصه غير متعلقة بالاتجاه (أي ايزوتروبي) ، بعكس الفرضية التي انطلق منها بيرش الآن حول التأثر بالاتجاه . لكن بعضاً من أشهر علماء الفلك لا يزال يعتقد أنه من السابق لأوانه استخلاص مثل هذه النتائج الآن ، ولا بد أن يتم تدقيق ما إذا كان الكون يتمدد باستمرار ، وهل هو محدود ؟ . . أي فيما إذا كان سينكمش مرة أخرى .

ونتيجة الاستفتاء الذي قامت به مجلة نيوساينتيست البريطانية ، تبين أن العلماء لا يزالون متحفظين حيال هذه النتيجة ، وقد أعرب جون بارنو من جامعة سوسكس عن رأيه أن هذه المعطيات تؤكد أكثر فرضية تمدد الكون .


يجب علينا "حفظ" حقوق الإنسان.. وخصوصًا في العالم الثالث..
!!



●● «عرب يقتربون من مدينة Arabs Approaching a City» ●●

الشرق .. في عيون الغرب

جوليو روساتي ● المدرسة الإيطالية ● رسم بالألوان المائية ● ١٨٥٨/١٩١٧م ●



مدينة وتاريخ

البصرة.. بندقية الشرق

★ منظر من البصرة .. بندقية الشرق ★

بقلم: عبد الجبار محمود السامرائي

البصرة مدينة عربية إسلامية إحدى مدن العراق الشقيق ، وهي ذات ماض تليد عريق ، أسسها (عتبة بن غزوان) عام ١٦ هـ - ٦٣٧ م ، بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه .

وكان للبصرة شأن كبير ، إذ كانت مركزاً إدارياً من الولايات الإسلامية ، ومدينة بمثل هذه الأهمية ، كان لا بد أن يتزايد السكن فيها . وقد بلغت أوج ازدهارها في العصر العباسي ، حيث كانت هي وضاحيتها الأبلّة مركز تجارة العرب البحرية التي بلغت الصين .



★ «المشاحيف» واسطة النقل النهرية البدائية ، وهي راسية على مياه شط العرب ★

لقد كانت البصرة مركزاً فكرياً مهماً حيث تحدثت كتب التاريخ عن مكتباتها العامة ومساجدها ، وقد أنجبت فطاحل العلماء والأدباء **كالحسن البصري ، والحريري** ، صاحب المقامات المشهورة ، **وابن سيرين وابن الجوزي** ، وعالم الفيزياء **الحسن بن الهيثم** .

تقع البصرة على الضفة الشرقية من **شط العرب** على بعد حوالي ٦٧ كلم من **الخليج العربي** ، و ٥٠ كلم عن الحدود العراقية الكويتية ، و ٥٤٩ كم إلى الجنوب الشرقي من بغداد .

وبفضل ما كان للبصرة من دور في تأريخ العرب المسلمين ، وما تحويه اليوم من آثارهم ، أصبحت محط اهتمام السائحين من العرب والأجانب ، الذين يحرصون دائماً على أن تكون البصرة في مقدمة برامج زياراتهم لمدن العراق التاريخية .

تسمية البصرة

ذكر صاحب القاموس وصاحب لسان العرب ، أن معنى البصرة الأرض الغليظة الرخوة الضاربة إلى البياض أو فيها بياض .

قال **ياقوت** في معجم البلدان : إنما سميت البصرة للحجارة البيضاء التي في المربد . وقال **أبو علي الغالي :**

سقى الله البصرة الوسمي من حبها
فإن بهامتي صدى لا يريمها

وقيل إن سبب تسميتها بالبصرة ، أن **(عتبة بن غزوان)** كتب إلى الخليفة **عمر بن الخطاب** رضي الله تعالى عنه ، يستأذنه في تمصيرها ، فوصفها له بقوله : إني أرى أرضاً كثيرة القضة في طرف البر إلى الريف ودونها منافع ، فيها ماء وفيها فضاء . فقال عمر : هذه أرض بصرة قريبة من المشارب والمرعى والمحتطب .

وليس من الغريب أن تكون البصرة تكبيراً لاسم القرية الآرامية التي عرفت هناك قبل الفتح الإسلامي باسم «**البصيرة**» كما أشار ياقوت .

وذكر **الشرقي بن القطامي** أن المسلمين حين وافوا مكان البصرة للنزول بها ، نظروا إليها



★ صياد يبحث عن السمك في مياه شط العرب ★

من بعيد وأبصروا الحصى عليها فقالوا : إن هذه بصرة ، يعنون حصبة ، فسميت بذلك .

وهناك أسماء أخرى عديدة أُطلقت على البصرة ، من بينها : خزانة العرب ، والثغر الباسم ، والفيحاء ، والعجوز النجراء . وكان **الحجاج بن يوسف الثقفي** يقارن بين البصرة والكوفة ، فقال : « الكوفة بكر حسناء ، والبصرة عجوز نجراء ، أوتيت من كل حلي وزينة ! » .

وسميت كذلك بـ (الرعناء) ، بسبب رطوبة هوائها وتقلبه لقربها من البحر على مشارف الصحراء . وكان **الفرزدق** أول من لقبها بالرعناء ــ سامحه الله ــ إذ قال منشداً في مربدها :

لولا أبو مالك المرجو نائله
ما كانت البصرة الرعناء لي وطنا

ما قبل الإسلام

كان النشاط التجاري الذي يتمركز في **فُرضة الأبُلّة** يجذب القوافل التجارية العربية إلى هذه البقعة التي عرفها العرب قبل الإسلام .

ومن المرجح أن بداية سوق البصرة الشهير بـ (**المربد**) ترجع إلى فترة مبكرة . وكون هذه السوق تقع على طرف الصحراء غربي البصرة ، قد يقوم شاهداً على نمو هذه السوق مستقلاً عن المدينة وسابقاً لنشأتها .

ومن الجائز أن السلطات الفارسية المحتلة في سعيها لدرء خطر هؤلاء المقيمين من العرب وإبعادهم عن الاتصال المباشر بالمناطق المأهولة ، قد حدد مكان السوق على طرف الصحراء بهذه الكيفية ، ومن ثم عرفت المربد بـ (**باب البادية**) .

لقد كانت منطقة البصرة تضطلع بدور مهم في حياة شبه جزيرة العرب قبل الإسلام ، فقد كانت إغارات الأعراب في صحرائهم المجاورة متصلة على القرى والمسالح والحاميات الفارسية . ولقد اتخذت تلك الإغارات شكلاً منظماً ، خاصة بعد الانتصار العربي الكبير الذي حققه **بنو بكر بن وائل في معركة ذي قار** (حوالي سنة ٦١٠ م) ، حين هزموا

القوات الساسانية في ميدان المعركة، وراحوا يغيرون من بعد على الأطراف الغربية للإمبراطورية الساسانية.

صدر الإسلام

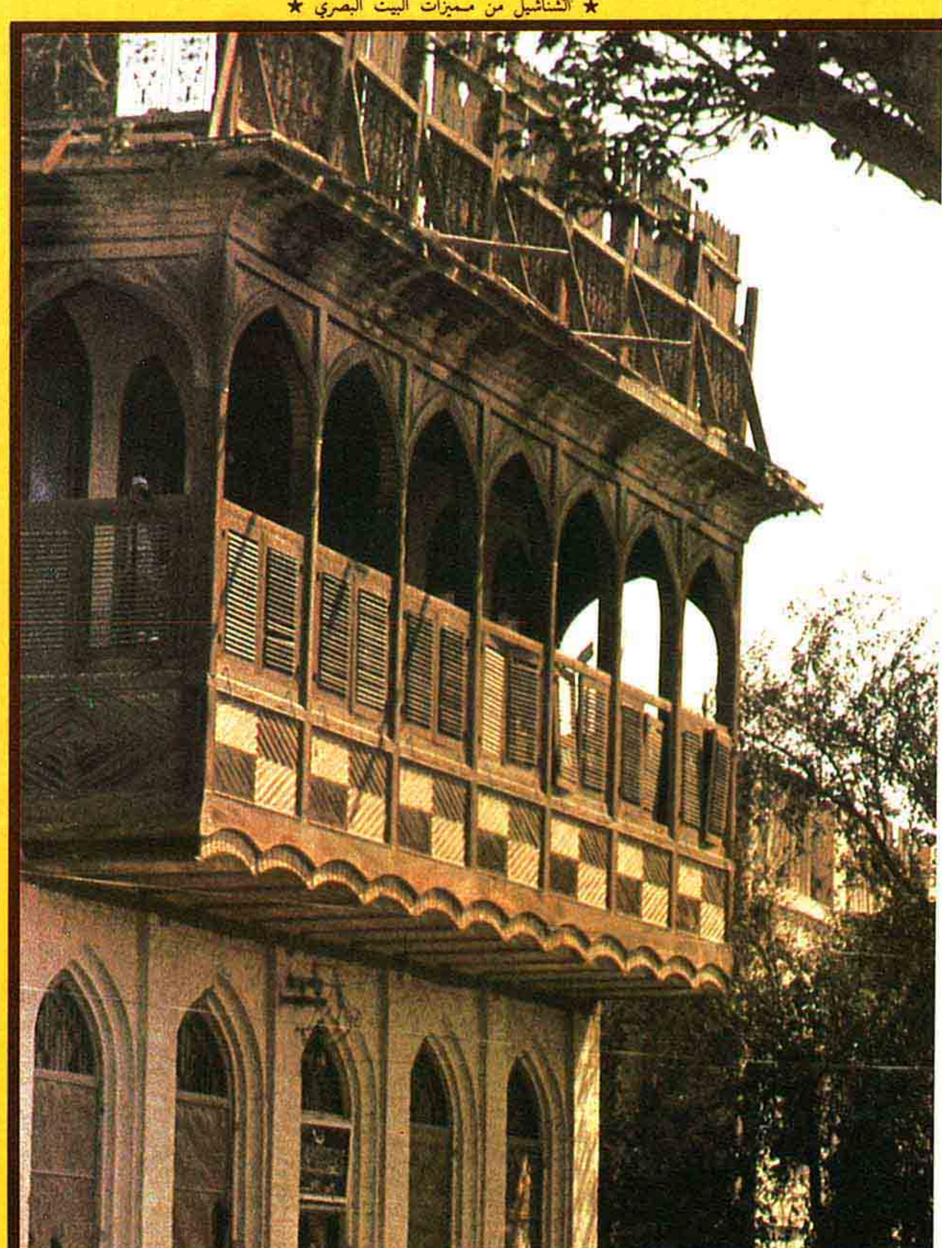
ولا بد أن العرب المجاورين للفرس، وبخاصة بني بكر بن وائل، كانوا لخبرتهم الطويلة في الإغارة على أطراف الإمبراطورية الفارسية أسرع من غيرهم في مهاجمة الإمبراطورية. وقد واصلوا تلك الإغارات على المناطق القريبة منهم، بعد أن أخلى **خالد بن الوليد** هذه المناطق وذهب إلى **الشام**، وكان قائد تلك الإغارات **سويد بن قطبة العجلي**. وقد جلبت حركات سويد هذه أنظار **الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه**، فأرسل **شريح بن عامر** ليكون ردءً ـ أي احتياطياً ـ له. وقد انضم شريح إلى قوات سويد، وظل يكافح حتى قتل بـ (**دارس**) في إحدى إغاراته على **الأحواز**.

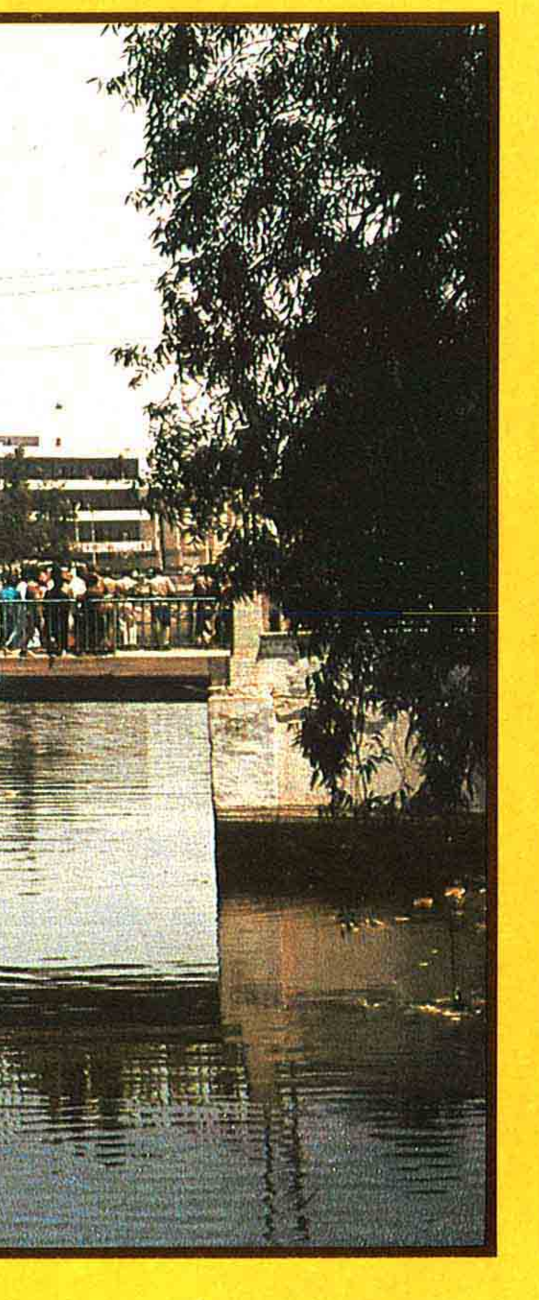
وعندما بلغ الخليفة مقتل شريح وما آل إليه أمر المنطقة من الفوضى، رأى أن يوليها لقائد عرف بالقوة والإدارة هو **عتبة بن غزوان** في ربيع الأول سنة ١٤ هـ، ليقود الحركات العسكرية في تلك المنطقة.

وكان في المنطقة ثلاثة منازل هي: الخريبة والزابوقة وبني تميم، ففرق (عتبة) أصحابه فيما نزل هو بالخريبة، وكانت مسلحة للأعاجم، لكنها خالية منهم منذ أن فتحها خالد بن الوليد في سنة ١٢ هـ، فأخبر (عتبة) الخليفة بذلك، فكتب إليه يأمره أن يتخذ لهم موضعاً قريباً من الماء والمرعى ولا يفصله عنهم بحراً أو نهراً. فأقبل إلى موضع البصرة فاختطه، وكانت البصرة تسمى يومذاك (أرض الهند).

ويتضح لنا من ذلك، أن العوامل الأساسية في إنشاء مدينة البصرة، كانت

★ الشناشيل من مميزات البيت البصري ★





عسكرية محصّنة ، تمثلت في رغبة السلطة بانتقاء العوائق الطبيعية بين العاصمة (المدينة المنورة) والمصر الجديد ، فأريد لهذا المصر أن يكون قاعدة تموين وعدة وإمداد ، وظهيراً لحملات تحرير العراق من براثن الفرس ، فقد تحكمت الضرورات العسكرية في اختيار الموقع وما تلاه من خطط ، وكان هدف العرب الأول هو محاصرة القوات الساسانية ، في المنطقة ومنعها من الإمداد إلى الشمال ، والتي كانت تواجه زحف العرب المسلمين الكبير على مواقعها .

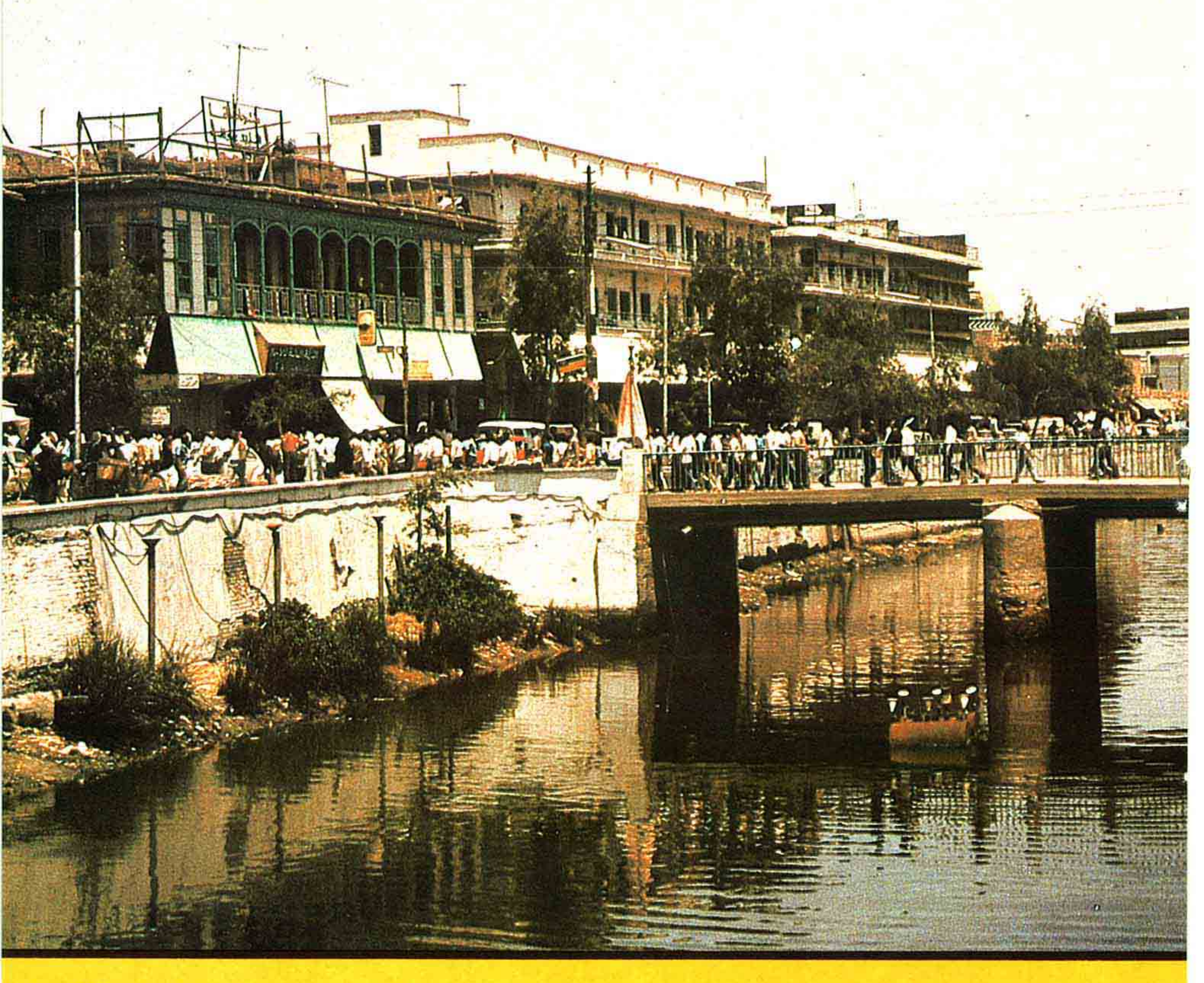
كما كان واضحاً أن موقع البصرة على أطراف الصحراء أضمن للسلامة إن دعت الضرورة للانسحاب ، في الاتصال السريع بداخل الجزيرة العربية لمواجهة أي خطر فارسي داهم على ساكني البصرة .

ويلاحظ أنه بعد انتصار العرب المسلمين السريع في شمال السواد (العراق) أي في **واقعة القادسية والمدائن وجلولاء** على التوالي ، قد استأنفت القوات الإسلامية التي كان يقودها عتبة بن غزوان مهاجمة حاميات الفرس على نهر دجلة شمال الأبلة ، من معسكر البصرة ، وأجبرت المدافعين عن **ميسان ، ودست ميسان وأيرقباذ** ، على الفرار .

ولما توفي عتبة بن غزوان في عام ١٦ هـ ، ولى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، **المغيرة بن شعبة** على البصرة . ولكن تطور البصرة الحقيقي حدث في ولاية **أبي موسى الأشعري** سنة ١٧ ـ ٢٩ هـ ، (٦٣٨ ـ ٦٥٠ م) ، وقد استوطن أشراف العرب في المنطقة .

لقد كانت غاية هذا التطور خدمة الأغراض الحربية للجيوش العربية الإسلامية التي انطلقت من جزيرة العرب لتحرير العراق من سيطرة الفرس . ومن الواضح أن قسماً كبيراً ممن استقروا بالبصرة شرع منذ البداية في إقامة أسس ثابتة لمجموعة حضرية مستقرة لا تؤثر عليها

★ جانب من مدينة البصرة ★





★ أقدم الأشجار في مدينة البصرة ★

تحركات الجيوش . ومع أن البصرة ظلت تحافظ في طبيعتها ووظيفتها العسكرية لأكثر من قرن ، إلا أن هذا القسم المستقر من السكان ، هو الذي ترك أثره الواضح على تاريخ الإسلام في تلك المرحلة التكوينية .

عهد الأمويين

اهتم الأمويون بالبصرة كثيراً ، لخطورة موقعها الاستراتيجي ، ولكونها وسطاً بين سورية والحجاز وبين النهرين (**دجلة والفرات**) وفارس ، ولذلك اتخذوها في بعض الأحيان مقراً لإمارة العراق . فازدحمت بألوف التجار وأهل الصناعة والمعارف ، وطار صيتها في الآفاق حتى عظم شأنها ، وأصبحت من أعظم بلاد العروبة والإسلام في عهدهم ، واشتهرت بالسعة والعمران وكثرة الخيرات . وظل السعد يخدم البصرة حتى سماها العرب (خزانة العرب) .

وكانت البصرة في هذا العهد مهداً للعلوم والفنون والآداب ومركزاً للتجارة والصناعة ومجتمعاً لكبار العلماء والفقهاء والفلاسفة والشعراء .

عهد العباسيين

وعندما قامت دولة بني العباس في ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ ، واتخذ **أبو العباس السفاح** مدينة الكوفة مقراً له ، بعث في السنة ذاتها عساكره لأخذ البصرة من الأمويين ، فانسلخت منهم على يد القائد **سفيان بن معاوية بن يزيد بن الملهب** ، بعد معركة دامت سبعة أيام .

وفي عهد الخليفة **هارون الرشيد** ، وصلت البصرة إلى أرقى درجات الرقي ، وصارت من أكبر مدن الإسلام ، وزادت عمارتها وكثرت ثرواتها .

وبعد أن ضعفت الدولة العباسية ، بدأت البصرة بالانحطاط ، وخاصة في عهد **بني بويه** الفرس ، وأيام **السلاجقة** ، وفي العهد العباسي الأخير ، حتى أصبحت في القرن السابع الهجري ، لا تزيد على ثلاثة محلات ! .

ثم توالت النكبات على البصرة ، فقد أغار عليها **الخوارج** حتى اضطر من بقي من أهلها إلى الهجرة ، فتركت وخربت عام ٧٠١ هـ ، عن آخرها ، وكان سبب خرابها : ظلم الولاة

واستبدادهم فيها ، وهجمات الأعداء عليها .

الفترة المظلمة

وبعد أن مات الخليفة العباسي **الظاهر في** سنة ٦٢٣ هـ ، وجلس مكانه **المستنصر بالله** على دست الحكم ، اجتاح **المغول** بغداد حاضرة الدولة العباسية ، بقيادة السفاح **هولاكو** ، سنة ٦٥٦ هـ ، (١٢٥٨ م) ، وقضى على الدولة قضاءً تاماً . فتخربت البصرة مثلما تخربت بغداد ، وفر أهل البصرة من المذابح ، ولم تبق إلا دور قليلة .

وبعد غزوة **سليمان الأول التركي** لبغداد عام ٩٤١ هـ ـ ١٥٣٤ م ، انتقلت البصرة إلى الحكم التركي ، واستطاع **أفراسياب** أن يكوّن أسرة مستقلة بالبصرة ، وهو من أهلها الأقوياء ، وذلك منذ القرن السابع عشر الميلادي .

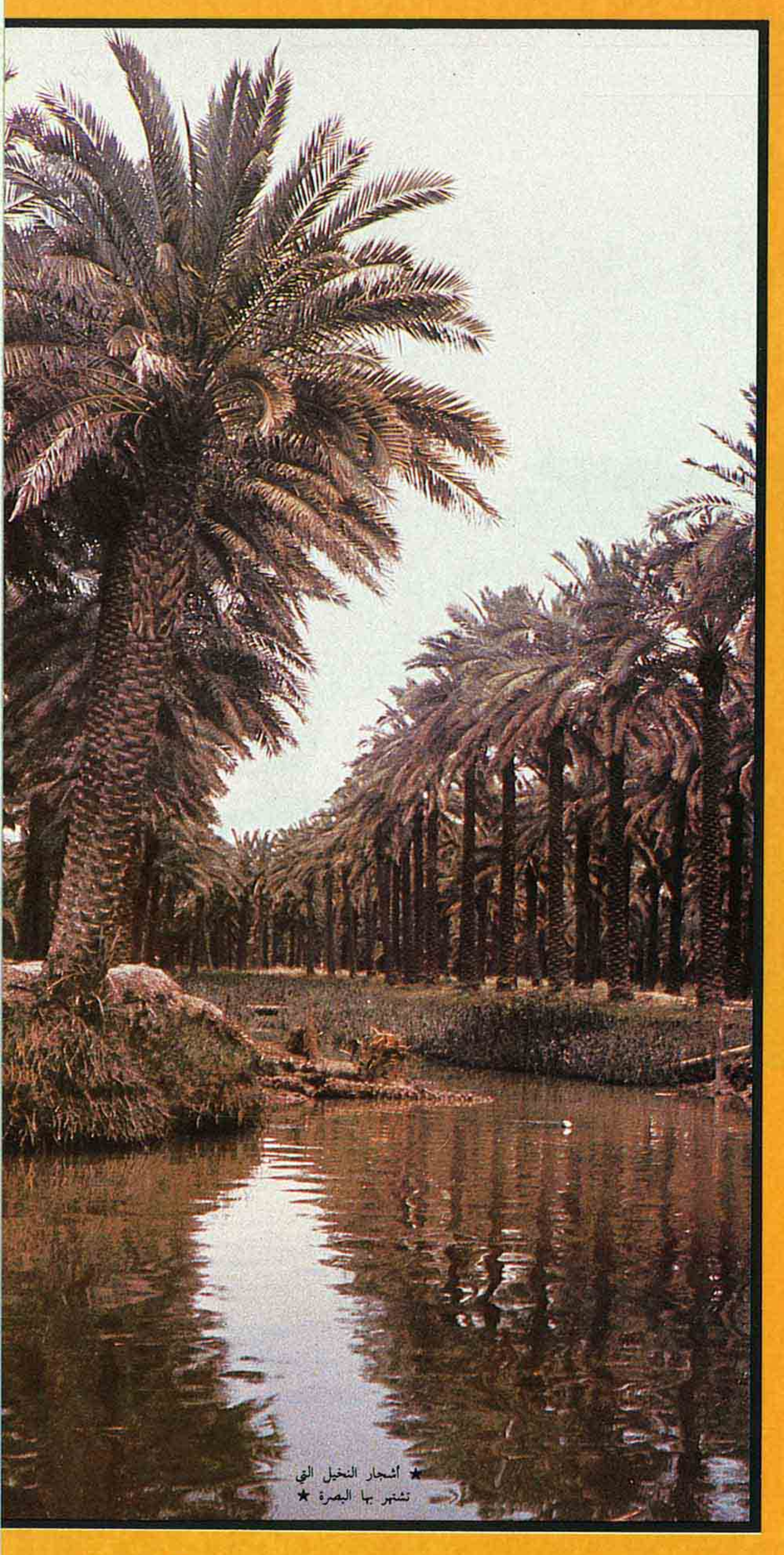
وفي عهد تلك الأسرة وتحت حمايتها ، فتحت البصرة ميناءها للتجارة الأوروبية .

وظلت البصرة بيد الترك ما عدا الفترة التي احتلها فيها **محمد علي باشا** من عام ١٨٣٢ م ، إلى عام ١٨٤٠ م .

ولقد كابدت البصرة في عهد السلطنة العثمانية من التأخر والجهل طويلاً ، وبقيت مهملة ، قليلة السكان ، شحيحة الرزق ، شأن أخواتها مدن العراق ، التي كانت ترزح تحت نير الحكم العثماني . وقد لاقى أهل البصرة صنوف الاضطهاد والتعسف على أيدي الولاة والحكام والقادة العثمانيين .

وتعرضت البصرة في هذا العهد إلى غزو الفرس مراراً وتكراراً ، ثم استعادها العثمانيون .

وفي أواخر الحكم العثماني ، أولت (**بريطانيا**) البصرة اهتماماً خاصاً لأهميتها الاستراتيجية ، وابتدأ الصراع الخفي بينها وبين **ألمانيا** ، انتهى برجحان كفة الإنجليز ، وبتغلغل نفوذهم ، بفضل قربها من **الهند** ، وموقعها الجغرافي المتاخم لـ (**عبادان**) وإمارات الخليج العربي . وانتهت تلك الأطماع



★ أشجار النخيل التي تشتهر بها البصرة ★



★ منظر من شط العرب ★

أخيراً ، باحتلال البصرة من قبل الجيوش البريطانية سنة ١٩١٥م ، تمهيداً لاحتلال العراق كله فيما بعد .

البصرة اليوم

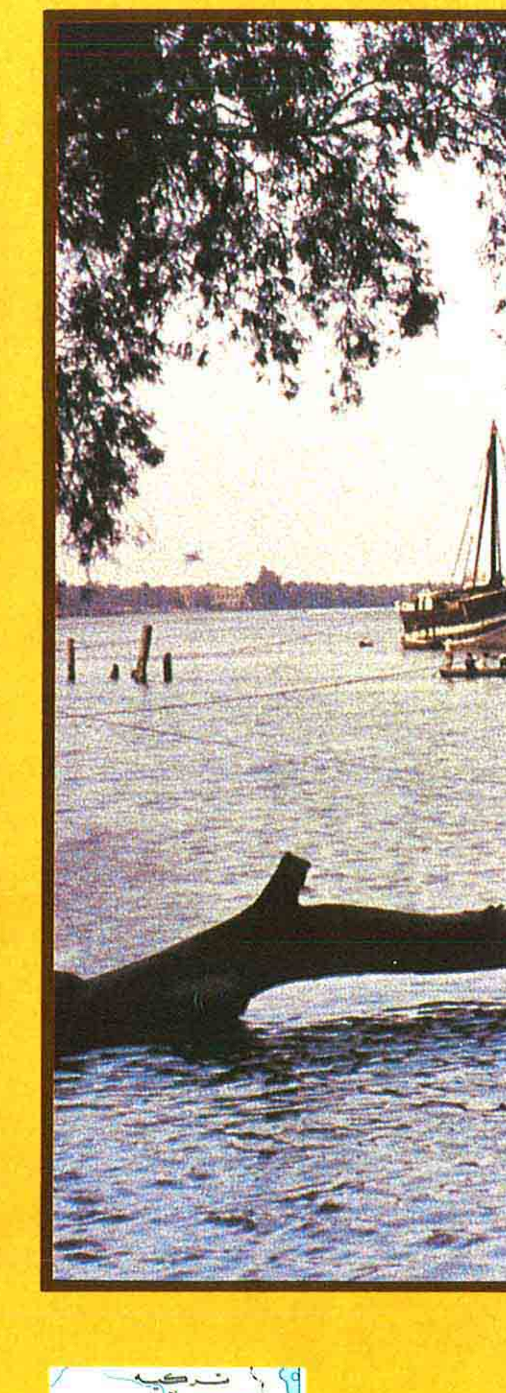
أما البصرة اليوم ، فهي مدينة ضخمة تتخللها شوارع فسيحة ، وتقطعها حدائق واسعة وتخترقها الأنهار والقنوات ، مما أكسبها بحق اسم (**بندقية الشرق**) . وهي تقسم إلى ثلاث مناطق سكنية هي : **البصرة** ، **العشار** ، **المعقل** .

والبصرة ببنائها الهندسي القديم شرقية الطراز ، وبعمرانها الحديث غربية . ولكن توسع العمران فيها فرض الطراز الحديث .

ومدينة البصرة الحديثة ، وسط حزام من النخيل ، ويصلها بشط العرب القناة المعروفة بـ « **نهر العشار** » ، وهي التي أطلق عليها الأوروبيون اسم القناة الكبيرة لمدينة البندقية العربية .

وتلعب البصرة اليوم دوراً هاماً في اقتصاد العراق كله . . فهي ميناء العراق ومنفذه على البحر . وكان العراق ـ قبل الحرب مع إيران ـ يصدر منتجاته عن طريق ميناء البصرة إلى جميع أنحاء العالم ، وكان يستقبل السلع التي يحتاجها من مختلف دول الشرق والغرب .

وتشتهر البصرة بالتمور على مختلف أصنافها ، وتنتج حوالي (١٣٠) ألف طن سنوياً ، وإن هذا الرقم أكثر من نصف إنتاج العراق كله من التمور على مدار السنة . **وقدروا عدد أشجار النخيل في البصرة ، فوجدوها تزيد على أربعة عشر مليون نخلة من مجموع عدد النخيل في العراق كله ، والبالغ حوالي (٣٠) مليون نخلة .**





★ الصناعات الشعبية (الفولكلورية) في منطقة القرنة ★

جزيرة السندباد

وهي من المناطق السياحية الرائعة في البصرة. تقع وسط شط العرب، مقابل فندق شط العرب في (**المعقل**)، وترتبط بضفتي الشط بجسر السندباد. فيها حدائق واسعة مزينة بنافورات جميلة وأشجار باسقة، وفيها منشآت لراحة الزائر، منها كازينو سياحي ودور سياحية للإقامة. هذا بالإضافة إلى الفندق العائم الراسي قرب الجزيرة والكازينو الواسع الذي أنشئ في الطرف الجنوبي من الجزيرة.

أهم آثار البصرة

إن أهم ما ينبغي ذكره من الآثار في البصرة، بقايا مدينة البصرة القديمة والمسجد

الجامع الذي يعرف باسم **جامع الإمام علي**، أنشئ في السنة الرابعة للهجرة . . إلى جانب بعض المعالم التاريخية .

شناشيل البصرة

تتميّز البصرة ، وخاصة مبانيها القديمة ، بالشناشيل ، والشناشيل هي النتوءات والبروزات التي تظهر في الطابق الأول فقط ، لغرض تصحيح شكل الطابق الأرضي غير المتجانس إلى شكل متجانس ذي زوايا قائمة ، وبالتالي غرف الطابق نفسه إلى غرف ذات أضلاع متوازية ومتعامدة ، وهذا مما جعل بعض هذه البروزات ذات أشكال غريبة مثل أسنان المنشار . ومهمة هذه الشناشيل ، حفظ جدران الطابق الأرضي من أشعة الشمس الحارة في الصيف .

تصنع الشناشيل من الخشب ، وذلك لتخفيف الوزن على الجدران المعقودة في الطابق الأرضي . لذا نرى أن الشناشيل من الخارج توازنها ممرات بارزة (على شكل بالكون) عن الجدار مطلة على الفناء التي لها عمل الشناشيل نفسها في الصيف ، أما في الشتاء ، فتحافظ على الغرف وشبابيكها المطلة على الفناء من أشعة الشمس والمطر .

أما شبابيك الشناشيل ، فتكون عادة من النوع المنزلق عمودياً ، وذلك لتلافي تبذير قسم من الغرفة ، ولصعوبة فرش الغرفة ، وخاصة بجانب الشبابيك نفسها ، والتي كانت المنفذ الوحيد لنظر نساء الدار ، وهذا مما جعلها ذات زخارف مشبكة لمنع المارة في الطريق من التعرف على الشخص الناظر أو الجالس بالقرب منها .



●● أهم المراكز الحضارية في البصرة ●●

التسلسل		سنة التأسيس	المعلومات
١	جامعة البصرة	١٩٦٤ م	أنشئت هذه الجامعة تلبية لاحتياجات المنطقة الجنوبية من العراق ومنطقة الخليج العربي إلى التعليم العالي .
٢	مركز دراسات الخليج العربي	١٩٧٤ م	أُنشئ لغرض تعزيز وتنمية الدراسات المتعلقة بمنطقة الخليج العربي وتوفير المراجع والمصادر المتعلقة بهذه المنطقة . ويصدر مجلة نصف سنوية ويطبع كتباً خاصة .
٣	متحف التأريخ الطبيعي	١٩٧٢ م	لدراسة النواحي البيولوجية الخاصة بالمنطقة الجنوبية والخليج العربي وتنميتها .
٤	مركز علوم البحار	١٩٧٥ م	لدراسة واستغلال المياه الداخلية للبلاد ومياه الخليج العربي . ويقدم الخدمات الجيولوجية وإبداء المشورة والعون العلمي والتكنولوجي للمؤسسات المختصة .
٥	القُبة السماوية	١٩٧٧ م	لدراسة كل ما يتعلق بعلوم الفلك والكون وما يحتويه من مجرات إضافة إلى مجرتنا (درب التبانة) التي تقع ضمنها مجموعتنا الشمسية والكواكب السيّارة . وكذلك دراسة الظواهر الطبيعية كالخسوف والكسوف .

★ المراجع المعتمدة ★

١ ــ مصطفى عباس الموسوي : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ــ بغداد/ ١٩٨٢ م .

٢ ــ دائرة المعارف الإسلامية ، الجزء الثالث ، الترجمة العربية ، مادة (بصرة) .

٣ ــ سليمان فيضي : البصرة العظمى ، (عني بنشره الدكتور عبد الحميد فيضي) .

٤ ــ حامد البازي : البصرة في الفترة المظلمة ، (منشورات البصري) ، بغداد ١٣٨٩ هـ .

٥ ــ السيد عبد الرزاق الحسني : العراق قديماً وحديثاً ، مطبعة العرفان ــ صيدا ، الطبعة الثالثة ١٣٧٧ هـ ــ ١٩٥٨ م .

٦ ــ المؤسسة العامة للسياحة : العراق ــ دليل سياحي ، طبع بلغراد ١٩٨٢ م .

٧ ــ منير نصيف : البصرة ــ مدينة التمر والنفط ، مجلة (العربي) ، العدد ١٤٠ ، يوليو (تموز) ١٩٧٠ م ــ الكويت .

٨ ــ العديد من المجلات والصحف والنشرات العراقية .

٩ ــ المعلم بطرس البستاني : كتاب دائرة المعارف ، مادة (البصرة) .

١٠ ــ الدكتور أحمد شلبي : التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، الجزء الأول ، الطبعة الخامسة ــ القاهرة ١٩٧٠ م .





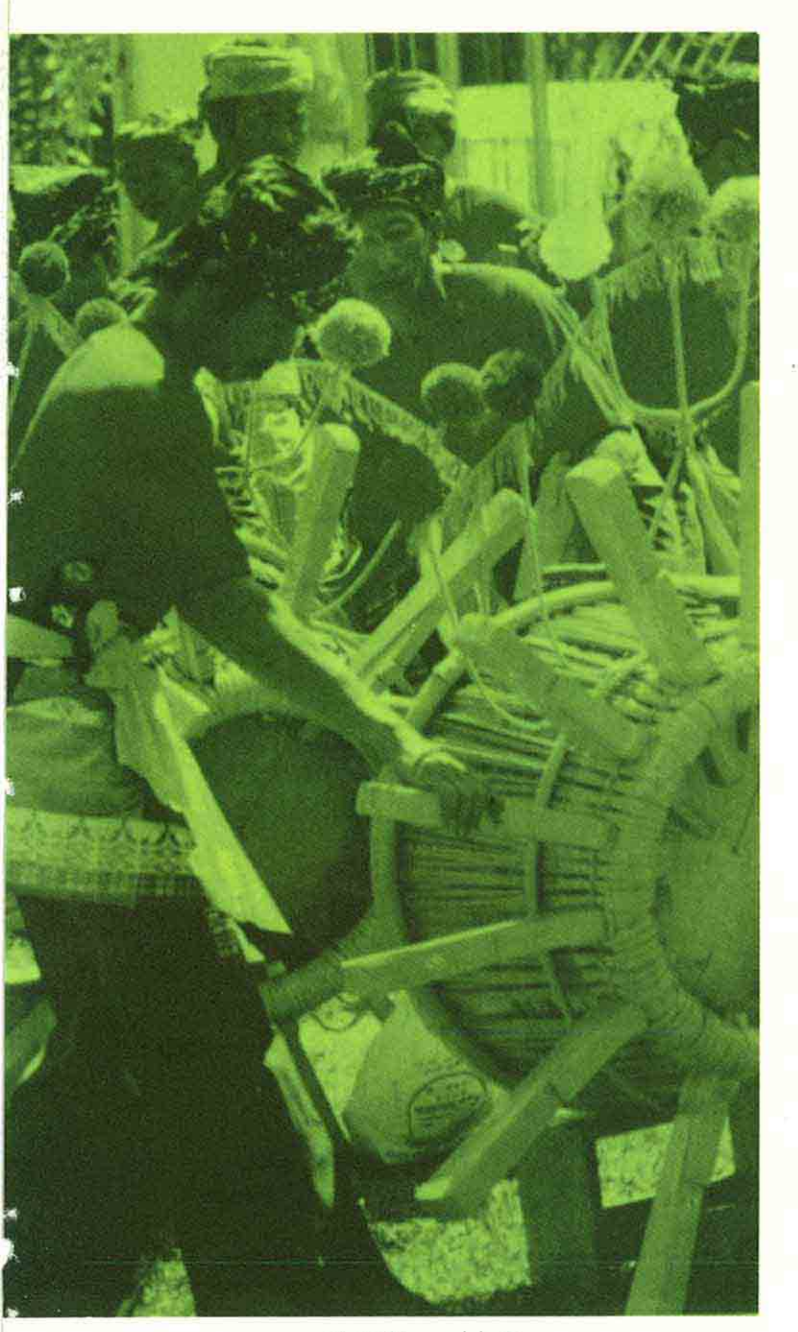
مهرجان الطبول في ماليزيا

إذا كان اكتشاف الإنسان للصوت قديماً، فإن دارسي الأنثروبولوجيا والفولكلور، يردون إبداع الإنسان للطبول بصفتها مصدراً لطاقة صوتية تتجاوز الصوت البشري كثيراً وتجترح اختراق المسافات، إلى مرحلة زمنية لا تتجاوز ستة آلاف عام.

إعداد:
كامل يوسف حسين

ومنذ البداية كانت للطبول عشرات الاستخدامات انعكست على أشكالها وعلى الخامات المستخدمة في صنعها، وطرق التعامل معها واستعمالها، لكنها تمحورت

★ الاستعداد للمهرجان يبدأ بالتأكد من سلامة الطبول وتجانس إيقاعاتها علواً وانخفاضاً ★



★ طبول .. ومشاركون ★



★ الاستعداد بارتداء زي المهرجان ★



★ انسجام كامل مع الإيقاع ★

جميعها حول وظيفتين محددتين هما الوظيفة الاتصالية والوظيفة الاحتفالية ، فدوي الطبول يحقق تجاوز المسافات لإيصال رسالة محددة ومفهومة ، تندرج في إطار ما يمكن أن نسميه بلغة خاصة للتفاهم بين المرسل والمستقبل . هكذا استخدمت الطبول للتحذير

من المخاطر ، ولخلق حالة التأهب لمواجهة العدو أو لإصدار الأوامر للجيوش والأساطيل ، وفي الوقت نفسه جرى استعمالها للإعلان عن الأفراح والمآتم وللاحتفال بالمواسم والأعياد ولتكريم الضيوف ، الأمر الذي يعكس أنه مع تبلور كل وظيفة بذاتها لم تنقطع

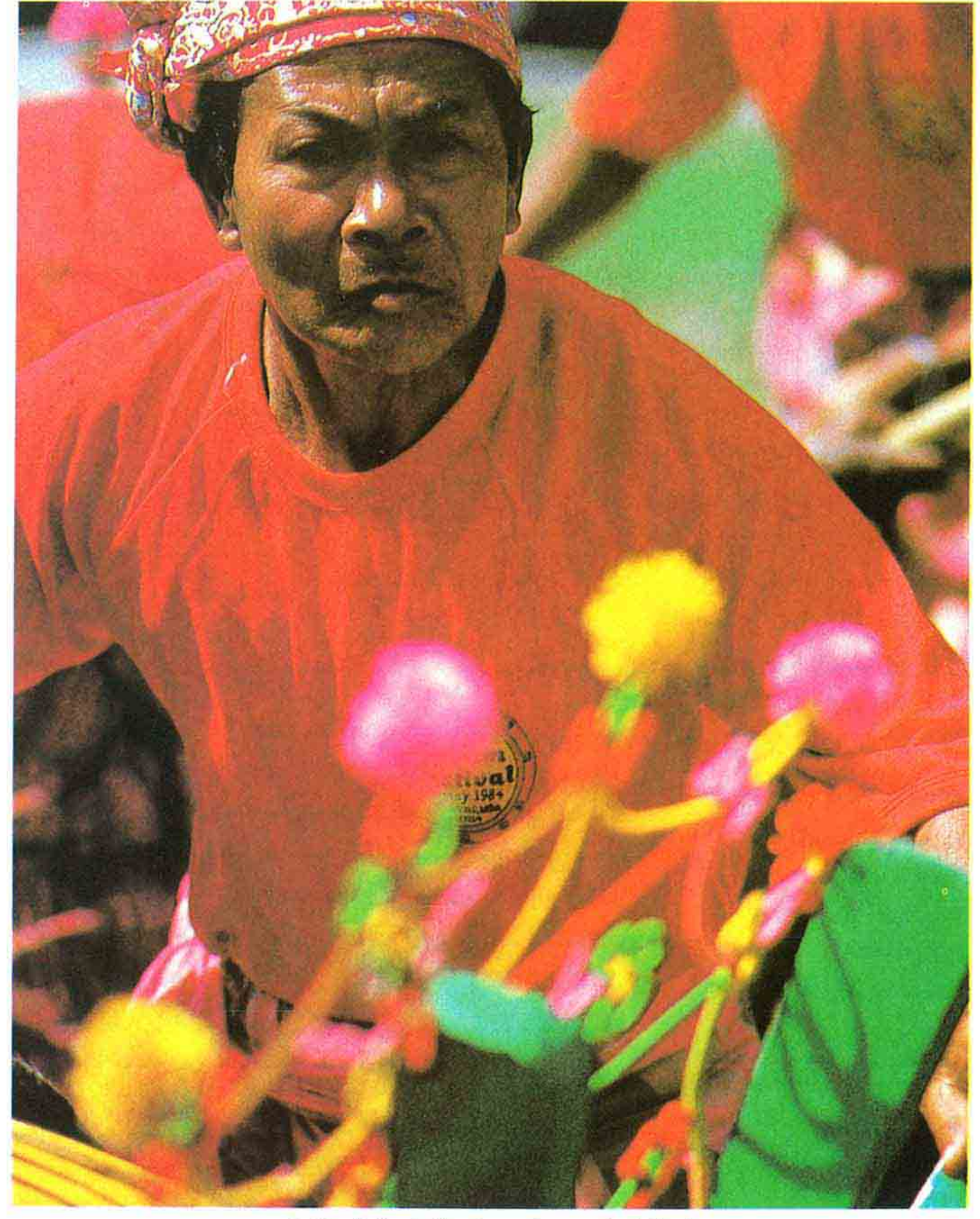
الصلة تماماً بين الاتصال والاحتفال .

ومع ثورة الاتصالات التي حققها العلم احتلت المخترعات الحديثة معظم أو كل المسافة التي كانت تحتلها تاريخياً الوظيفة الاتصالية للطبول ، لكن الوظيفة الاحتفالية صمدت عبر القرون وما تزال .

مهرجان الطبول

وفي ماليزيا ارتفعت الوظيفة الاحتفالية باستخدام الطبول إلى مرتبة الفن الرفيع . وفي مدينة **« كوتا بهارو »** عاصمة ولاية كيلانتان الماليزية يتجدد كل عام مهرجان سنوي للطبول يفاخر بتاريخ يمتد إلى أكثر من ثلاثمائة عام لم ينقطع المهرجان خلاله أبداً .

وليس هذا التاريخ الطويل لمهرجان **طبول كيلانتان** بالمعجزة التي تضرب أسبابها في عالم المجهول ، وإنما هو يتلقى روافده من عناصر موضوعية تماماً . فمدينة كوتا بهارو مدينة ساحلية عتيقة ، تقع عند مصب **نهر كيلانتان** في بحر الصين الجنوبي على بعد أميال قليلة من حدود **تايلاند** ، هكذا يقدم النهر ملاذاً لجموع المحتفلين بالمهرجان من المناخ الرهيب الذي يشمل المنطقة ، كما أنه بمثابة الطريق الرئيسي الذي يجتذب تجارة الداخل إلى الساحل فتتحول المدينة إلى ملتقى أو إلى سوق هائل يجذب أبناء مئات القرى المجاورة ، ورغم ذلك فالأسعار في المدينة لم تفسدها المضاربة أو الأطماع ، والشواطئ



★ علامات التصميم على وجه أحد المشتركين في المهرجان ★

الرملية البيضاء ما تزال على نقائها لم تفسدها هجمات السيّاح .

والمقر الحقيقي لـ « ريبانا أوبي » أو الطبول ، كما يدعونها في الولاية ، هي القرى المجاورة للمدينة أو « **الكامبونج** » كما يطلقون على القرى هنا . وعمد القرى لا يمتلكون طبول قراهم بل ليسوا قائمين على أمورها ، فهي ملكية جماعية للقرية ، وكل ما هنالك أن العمدة بحكم وضعه التقليدي في القرية لديه أكبر المخازن التي يمكن للقرية أن تودع طبولها فيها . ومع ذلك فإنها موضع فخاره ولا يتردد في دعوة أصدقائه لإخراجها سواء للعناية بها أو للتدريب عليها ، فلكل قرية فريقها أو فرقتها أو جماعتها من الطبالين . والفرقة تتألف من اثني عشر شخصاً يتولى كل اثنين منهم أمر طبلة واحدة ، حيث تشارك كل قرية في المهرجان بستة طبول .

ومن الواضح أن لا مجال للمرأة في فريق كهذا ، ذلك أن الطبول هنا يزيد وزن الواحد منها على مائة كيلوجرام ويبلغ قطره ما لا يقل عن متر كامل . فطبل كيلانتان في حد ذاته عمل فني بديع يشبه في شكله العام قدح الشاي الصيني (دون المقبض بالطبع) يصنع من إطار خشبي

محكم يشد عليه جلد جاموس الماء الذي ينتقى خصيصاً من مخزون كامل تحتفظ به القرية لهذا الغرض ، وينبغي أن يتميّز الجلد بنسيج وشكل وحجم يعد من الأسرار التي تتوارثها العائلات هنا .

في أعياد الحصاد

منذ البداية اقترنت الطبول بالمهرجان واقترن هذا ببلوغ موسم الحصاد قمته . وكان المهرجان يقام تقليدياً بعد إخلاء الأرض من كل آثار **موسم الأرز**، حيث يجتمع القائمون بالحصاد مع القادمين من القرى المجاورة في الحقول للاحتفال بثمرة الكد الطويل في زراعة الأرض . هكذا اقترنت الملابس التقليدية بالبهجة وبقرع الطبول لتخلق من قلب العناء والتعب عيداً للفرح . ولكن مع نظام الدورات الزراعية والري المتتابع لم تعد الأرض تترك للجفاف قط ، وانتقل المهرجان إلى مدينة كوتا بهارو عاصمة الولاية ذاتها .

لكن الأمر ليس بهذه البساطة ، فالمهرجان تسبقه استعدادات ليست بالقليلة ، وربما تبدأ في « الكامبونج » أو القرى المحيطة بالمدينة قبل يوم المهرجان بشهر ونصف الشهر على الأقل . فلا بد من تجديد طلاء الطبول وإعادة تزيينها ، ولا بد من اختيار الفرقة التي ستمثل القرية في المهرجان وإعادة تدريبها والوصول بأدائها إلى الصورة المنشودة .

هنا نقطة مهمة لا بد أن تلفت انتباهنا ، فالطبول كما سبق



★ صورة من صور تقاليد المهرجان ★

لنا القول مملوكة للقرية ملكية جماعية ، ومن حق الجميع صغاراً وكباراً استخدامها ، ولكن الكبار والبارزين من أبناء القرية هم وحدهم الذين يتألف منهم الفريق الذي سيمثل القرية ، ويتم اختيار أعضاء الفريق بمزيج رهيف من التنحي عن طواعية ومن ثقل رأي الأغلبية وذلك في إطار من الوداعة والمحبة التي تعكس مدى تجذر الإسلام في هذه القرى ونزعه للأحقاد من القلوب وغرسه المحبة والتواد بدلا منها .

وفي الوقت نفسه تبرز روح المنافسة الشريفة بين القرى حيث تطمح فرقة كل منها إلى ما يجلبه لها الفوز في مهرجان الطبول من شهرة وتكريم فضلاً عن جائزة المهرجان النقدية الأولى وقدرها ٥٠٠ دولار ماليزي أو غيرها من الجوائز الأقل قيمة والتي تدفع

نقداً من جانب إدارة المهرجان ، ولكن الإجماع قائم على أن الرمز الحقيقي للفوز هو **الكأس** التي يحق للقرية الفائزة العودة به من المدينة ظافرة ، وهي العودة التي غالباً ما تقترن بولائم تذبح فيها الماعز وتقام الولائم التي يشهدها الفقير والغني على السواء دونما تمييز .

أما في اليوم الأخير من الاستعدادات فيحرص الجميع قبل بدء الأداء على أداء الصلاة في مسجد القرية ، ثم يقوم أعضاء الفرقة بالترتيبات الأخيرة فتجذب مشدات الطبول إلى أن تتقارب حدة أصواتها إلى أقصى درجة ممكنة ، ويتم الأداء تماماً كما لو كان يجري في المهرجان وقد يستمر ذلك حتى منتصف الليل .

وفي فجر اليوم التالي ، وبعد أداء الصلاة ، يتم استخدام بخور طيب الرائحة في مجامر خاصة لتبخير الطبول وزخرفتها وتزيينها ، ويحرص منظمو المهرجان على إتاحة مدة ساعتين أمام المشاركين في المهرجان للوصول إلى كوتا بهارو ، وجرى العرف على ألا يلمس أحد من زوّار المدينة الطبول لدى وصولها إلى المدينة .

وتقسم الفرق المشاركة وتوزع على أماكن متعددة لبدء مسابقة الضحى التي هي بمثابة تصفية قاسية لا يجتازها إلا الأقوى والأكثر استعداداً والأشد مهارة ، ويعكف أعضاء الفرقة على قرع طبولهم باستخدام اليد ـ لا العصي ـ بينما يعهد إلى عدد من الكبار المحنكين بمهمة **التحكيم**، وهي مهمة شاقة لا تقتصر على تقويم الأداء النغمي للطبول وإنما كذلك على مدى جمالها وبراعة الفرقة في الأداء الجماعي وأناقة الزي التقليدي الذي يرتديه أعضاؤها .

إيقاعات متعددة

ولكي نتصور طبيعة المهمة الشاقة التي يتعيّن على الفرقة القيام بها علينا أن نتذكر أن **هناك أربعة عشر إيقاعاً ينبغي أن تؤديه الطبول**، ولكن نادراً ما يتجاوز أي فريق أداء خمسة أو ستة إيقاعات على الأكثر ، وكل إيقاع منها يستخدم في مناسبة أو احتفال مختلف تماماً عن الآخر ، فهناك إيقاع الزفاف ، الحرب ، الترحيب ، الهدهدة . . . إلخ . ومن الطبيعي أن إيقاع الحرب يلقى استجابة أكبر من جانب الجمهور الذي لا يتردد في المشاركة بالرقص على هذا الإيقاع .

وفي الفترة التي تتلو انتصاف النهار لا تصبح الحركة النشطة موضع ترحيب من أحد ، ولكن على أعضاء فرقة الطبول ألا يخمد حماسهم فعيون حكّام المسابقة لا تعرف الطريق إلى القيلولة حتى في هذا المناخ الاستوائي الذي يكاد يغلق الأجفان غلقاً .

ومع غروب الشمس يعلن عن الفرقة الفائزة والفرق التي تليها وتوزع الجوائز وسط مظاهر الفرح والابتهاج ، وينتهي واحد من أغرب مهرجانات آسيا رغم تعدد عجائب هذه المهرجانات .

المرجع

– Let De Drums by william Kendall – London – 1982 – Groom Helm.

الترشيد الشرعي للبنوك القائمة

بقلم: د. محمد شوقي الفنجري

حين نتكلم عن الترشيد الشرعي للبنوك القائمة ، لا نفرق في ذلك بين بنوك إسلامية وبين بنوك لا إسلامية . فالبنوك الإسلامية وإن كانت قد خطت الخطوة الكبرى في مجال الالتزام الشرعي ، إلا أنها ما زالت في حاجة إلى مزيد من الترشيد الشرعي ، وهو ما سنبينه فيما يلي :

بالنسبة للبنوك اللاإسلامية

إن الدور الأساسي الذي تقوم به أغلب البنوك القائمة ، هو أنها تأخذ أموال غير المحتاجين التي تتمثل لديها في الودائع تحت الطلب أو الحسابات الجارية التي تمثل المورد الغالب للبنوك ، فتقوم بإقراضها للمحتاجين سواء لغرض استهلاكي أو استثماري ، وذلك بفائدة ربوية تعود بأسوأ النتائج على الاقتصاد خاصة والمجتمع عامة .

حقيقة البنوك اللاإسلامية القائمة

لا ينكر أحد أن البنوك اللاإسلامية سواء كانت وطنية أو أجنبية ، تقوم بعمليات مقبولة شرعاً كعمليات الصرف وفتح الاعتماد وتأجير الخزائن وحفظ الأوراق المالية . . إلخ . ولكن الدور الأساسي والغالب الذي تقوم به هذه البنوك هو عمليات الإقراض الربوي ، التي ورد فيها قوله تعالى ﴿ **وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله** ﴾ (سورة البقرة ، الآيتان ٢٧٨ ، ٢٧٩) .

إن الثابت واقعياً ، أن نسبة كبيرة من موجودات البنوك ، هي ودائع جارية تحت الطلب يضعها أصحابها لدى البنوك بدون أية فائدة وذلك للسحب منها في أي وقت عند الاحتياج . وإن الثابت واقعياً أيضاً ، أن نسبة السحب من هذه الودائع محدودة ، بما يمكن البنوك أن تحتفظ بنسبة سيولة لا تتجاوز بحال من الأحوال ٣٠٪ من الودائع تحت الطلب لديها ، لتقرض الباقي وهو نسبة ٧٠٪ بفوائد ربوية .

ومؤدى ذلك أن حقيقة البنوك القائمة أنها مجرد وسيط بين طرفين :

(١) طرف غير محتاج يأتمنها على أمواله دون أن تعطيه عادة أية فائدة .

(٢) وطرف محتاج تقرضه أموال غير المحتاجين وذلك بفائدة ربوية ترهقه وتستنفده .

فهي والحال كذلك وسيط مستغل لكلا الطرفين ، إذ تنتهز فرصة الودائع لديها تحت الطلب التي لا فضل لها فيها ولا تعطي عنها أية فائدة ، فتستفيد منها لصالحها فقط وبصورة بشعة للمحتاجين من المقترضين . فهي بدلا من أن تكون وسيطاً نافعاً متعاوناً بين الذين لا يحتاجون من أصحاب الودائع الجارية والذين يحتاجون من طالبي القروض ، نجدها قد تحولت إلى وسيط طفيلي مستغل بغير حق لكلا الطرفين .

كيف تصحح مسار البنوك اللاإسلامية

لقد آن الأوان للكشف للعالم أجمع عن الوجه القميء للبنوك القائمة ، ودورها المدمر للاقتصاد والمجتمع ، وبالتالي العمل على ترشيد عملياتها مستهدين في ذلك بالشرع الإسلامي الذي يقفل كلية باب الإقراض الربوي فيحرمه بتاتاً بالنسبة للجميع ويجرمه بأشد العقاب . ومن ثم لا يكون أمام هذه البنوك ، إلا أن تستثمر الأموال المتجمعة لديها في أوجه غير الإقراض الربوي ، أي استثمارها في مشروعات تنمية حقيقية وذلك إما بمعرفتها مباشرة أو بالمشاركة مع آخرين .

ومتى استبانت حقيقة البنوك اللاإسلامية القائمة ، وأنها وسيط مستغل مدمر للاقتصاد والمجتمع ، **فإنها تصبح حينئذ مسؤولية الحاكم في كل بلد إسلامي أو غير إسلامي ، وذلك بتصحيح مسارها وترشيد عملياتها ، بإصدار نظام أو قانون يحرم عليها الإقراض الربوي الذي أذن فيه الإسلام منذ أربعة عشر قرناً بحربه من الله ورسوله وجرمه بأشد العقاب .**

وليس في ذلك أي مساس بحقوق مكتسبة لهذه البنوك ، وإنما هو مجرد ترشيد لعملياتها . وذلك لأن هذه البنوك لا فضل لها فيما تحصل عليه من ودائع تحت الطلب ولا تلتزم إزاءها بأي عائد مثل الودائع لأجل الاستثمارية .

الترشيد الشرعي للبنوك القائمة

كما أنه يقفل باب الإقراض الربوي أمامها بقوة القانون ، لن يكون أمامها لاستثمار أموال المدخرين لديها سوى أوجه أخرى مشروعة مما يؤدي إلى زيادة الإنتاج وإلى التنمية الحقيقية .

إننا لا نقول بمصادرة أو إلغاء البنوك القائمة ، ولكننا نطالب فقط ، وهذه مسؤولية الحاكم وحده ، بتصحيح مسارها وترشيد عملياتها ، بحيث تصبح كما يجب أن تكون وسيطاً متعاوناً ونافعاً ، لا كما هو حاصل اليوم وسيطاً مستغلاً ومضراً . وذلك وضع يمكن تصحيحه إعمالا لشرعنا الإسلامي ، ودون المساس بأية حقوق خاصة مشروعة ، وإنما تحقيق مصالح خاصة وعامة مؤكدة ، مما سيكون خطوة رائدة سيتبعنا فيها عن اقتناع وتقدير العالم أجمع .

إلزام البنوك بتقديم القرض الحسن

وإذا كنا قد انتهينا إلى تحريم الإقراض بفائدة كبرت أم صغرت ، لا فرق في ذلك بين بنوك إسلامية وبين بنوك لا إسلامية . فليس معنى ذلك امتناع البنوك عن الإقراض ، وهي حاجة ضرورية لا غنى عنها للمجتمع سواء كان القرض لغرض استهلاكي أم استثماري .

بل لا بد من إلزام كافة البنوك قانوناً بتخصيص نسبة مئوية (الثلث مثلاً) ، تزيد أو تنقص حسبما تمليه ظروف كل مجتمع ويقدره ولي الأمر ، وذلك من حساب الودائع تحت الطلب لديها ، التي ليس لها فيها أي حق مكتسب حيث لا تعطي عنها فائدة ولا يطلبها أصحابها ، فتقدم البنوك في حدود هذه النسبة وبالشروط والضمانات المقررة ، قروضاً حسنة أي بدون أية فائدة سوى مصاريفها الإدارية ، يستوي في ذلك ، إذا كان مقدار القرض كبيراً لغرض استثماري أم صغيراً لغرض استهلاكي . الأمر الذي سيشيع من ناحية روح التكافل بين أفراد المجتمع ، ومن ناحية أخرى ييسر للمستثمرين الحصول على ما يحتاجونه من أموال دون أعباء أو فائدة ربوية ، فلا يحملونها إنتاجهم وتنخفض بذلك أسعار المنتجات وتتوافر السلع ويتلاشى التضخم . . . إلخ ، من المصالح والمنافع التي استهدفها الشرع الإسلامي منذ أربعة عشر قرناً حين استلزم القرض الحسن وجعل القرض الربوي من أكبر الكبائر وجزاء من يمارسه جهنم معذباً فيها أبداً .

وإننا بذلك لا نلقي على البنوك ، سواء كانت إسلامية أم غير إسلامية ، بعبء جديد أو نكلفها بخدمات خيرية ليست من وظيفتها . ذلك أن البنوك أياً كانت إسلامية أو غير إسلامية تحصل على الودائع الجارية أو تحت الطلب ، وهي التي تمثل موردها الأساسي وتبلغ البلايين أوالمليارات من العملات ، دون أن تعطي لأصحابها غير المحتاجين لديها أية فائدة ، ومن ثم فإنها بالمثل تلتزم أن تعطي من هذه الودائع الجارية أو المدخرات الفائضة لديها للمحتاجين إلى الاقتراض ، سواء لغرض استهلاكي أو استثماري ، ودون أن تتقاضى منهم أية فائدة سوى مصاريفها لخدمة وتحصيل الدين ، والتي لا تتجاوز بأي حال نسبة ٢/١١٪ من قيمة القرض باعتبار حساب أيضاً تكاليف الضمان أو التأمين عليه .

حقاً إنه لا أمن ولا تنمية حقيقية ، بل ولا إصلاح ولا أخلاق ، مع قيام نظام الإقراض بفائدة في أي مجتمع ، **وما لم ييسر هذا المجتمع القرض الحسن الذي هو ضرورة حياتية لأفراده سواء كان هذا القرض صغيراً لغرض استهلاكي أم كبيراً لغرض استثماري** . ونضيف بأن القروض الربوية التي حاربها ومنعها الإسلام ليحل محلها القرض الحسن ، كانت أصلاً قروضاً استثمارية ، فحين أعلن الرسول عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع بأن أول ربا يضعه هو ربا عمه العباس ، فإن عمه العباس كان يساعد الفقير المحتاج دون مقابل وكان يكرم الضيف ، ولكنه يقرض أو يمول تجارة قريش بالفائدة .

نتائج قفل الإقراض الربوي

الجواب بالنفي ، ذلك أنه حتى بعد ترشيد عمليات البنوك القائمة بقفل باب الإقراض الربوي أمامها بقوة القانون ، وبالتالي تصحيح مسارها لتكون بنوكاً استثمارية لا تعمل إلا في مجال الاستثمار والتنمية الاقتصادية ، سواء استقلت هذه البنوك بأوجه الاستثمار أو شاركت فيه الآخرين . . فإنه ، رغم ذلك ، ستظل هناك فوارق عديدة بين هذه البنوك وبين البنوك الإسلامية ، ذلك لأنه :

أ ــ ستظل البنوك اللاإسلامية ، رغم تصحيح مسارها بقفل باب الإقراض الربوي لا تستهدف سوى الربح . بينما البنوك الإسلامية تستهدف في الدرجة الأولى نفع المجتمع ثم الربح ثانياً . وعليه فإنه إذا كان المجتمع يحتاج إلى مصنع خبز لا يحقق سوى ربح بسيط ، فإن البنك الإسلامي يلتزم بإقامة هذا المشروع ، بينما البنك اللاإسلامي حتى بعد ترشيد عملياته وتصحيح مساره ، سيظل يسعى إلى المشروع الاستثماري الذي يحقق له أكبر ربح ممكن كإقامة مصنع عطور وإن لم يشبع سوى احتياجات أقلية مترفة .

ومؤدى ذلك أن البنك الإسلامي حتى في نشاطه المشروع ، ليس حراً في ذلك شأن البنك اللاإسلامي ، وإنما بحكم الشرع يلتزم بإعطاء الأولوية للمشاريع الضرورية التي يتطلبها المجتمع ، وإن لم تحقق له سوى عائداً محدوداً . ومن هنا يتبين بجلاء دور البنك الإسلامي في التنمية الاقتصادية .

ب ــ أنه حتى لو وجدت بين البنوك القائمة ، بعد تصحيح مسارها بقفل باب الإقراض الربوي ، من يقصر نشاطه على مشاريع التنمية الاقتصادية التي يحتاجها المجتمع كمشاريع الإسكان والصناعات الغذائية والملابس . . . إلخ . فإنه رغم ذلك يظل الفارق قائماً بين البنك الإسلامي والبنك اللاإسلامي ، ذلك أن البنك الإسلامي بحكم الشرع يلتزم سنوياً بالإضافة إلى التزاماته الضريبية ، بتخصيص نسبة ٢,٥٪ من رأسماله المستثمر أو ٥٪ من صافي أرباحه باسم الزكاة ، بحيث لا تصرف هذه النسبة المحددة سلفاً إلا للمحتاجين في الحي أو المنطقة التي يوجد بها مقر البنك ، سواء في صورة إعانة نقدية لهؤلاء المحتاجين أو في صورة خدمات عينية تقدم لهم بحسب ما يكون مناسباً ومحققاً للغرض .

ومن ذلك يتبيّن الدور الإضافي والإلزامي في نفس الوقت ، الذي يؤديه

البنك الإسلامي في مجال التنمية الاجتماعية والضمان الاجتماعي ، مما ينفرد به ويميّزه عن سائر البنوك اللاإسلامية ، وذلك حتى بعد العمل على ترشيد عملياتها وتصحيح مسارها .

جـ ـ وفوق كل ما تقدم ، ورغم تصحيح مسار البنوك القائمة بقفل باب الإقراض الربوي أمامها بقوة القانون ، فإنه ستظل للبنوك الإسلامية ولكافة العاملين بها ، بل وجميع المتعاملين معها وضعاً خاصاً Suis Generis متميّزاً Distingué ، وهو تلك الصفة التعبدية أو الروحية التي تتسم بها جميع المعاملات في البنوك الإسلامية .

ذلك أنه في مجال النشاط المصرفي الإسلامي ، يلتزم الجميع بحدود وأوامر الله تعالى مبتغياً بنشاطه وجهه سبحانه ورضاه ، أي الاستقامة والعدل لا الاستغلال أو مجرد الربح ، الأمر الذي يشيع بين جميع أطراف التعامل الرضا وسلامة التصرف بإخلاص النوايا ، وفي المحصلة يشيع السعادة والسلام في المجتمع ، سواء على المستوى المحلي أو الدولي .

بالنسبة للبنوك الإسلامية

لقد كانت البنوك الإسلامية منذ بضع سنوات حلماً نتطلع إليه ، ثم صارت بفضل روادها المخلصين لها وعلى رأسهم **الدكتور عبد الله العربي رحمه الله ، والأمير محمد الفيصل والدكتور أحمد النجار** حفظهما الله ، حقيقة واقعة ، تخفق القلوب المؤمنة بانتشارها وتسعد بنجاحها .

وإنه من دافع حرصنا على نجاح هذه البنوك وانتشارها في العالم أجمع ، وليس في العالم الإسلامي فحسب ، نبدي على هذه البنوك بعض المؤاخذات التي كانت سبباً في تعثرها أو على الأقل مدعاة للأقاويل بشأنها ، مما نرجو مخلصين أن تتداركه تصحيحاً لمسارها وتحقيقاً للأمل فيها ، خاصة وأنها رمز التطبيق الاقتصادي الإسلامي ومحل فحص وترقب العالم الغربي ، وكل خطوة منها موفقة أو خاطئة محسوبة على الإسلام والمسلمين .

ونشير إلى الأساسي من هذه المؤاخذات فيما يلي :

(١) الامتناع عن تقديم القرض الحسن : إن أغلب البنوك الإسلامية تمتنع عن تقديم القرض الحسن ، في حين أن البديل الشرعي للقرض الربوي هو القرض الحسن ، وليس المشاركة كما تتوهم هذه البنوك ، خاصة وإن بعض المستثمرين لا يرغب في المشاركة .

ولا شك أن امتناع البنوك الإسلامية عن تقديم القرض الحسن ، يضطر طالبي هذه القروض إلى الالتجاء إلى البنوك الربوية ، وبالتالي إيثار التعامل معها اضطراراً .

قد ترد البنوك الإسلامية بأنها ليست مؤسسات خيرية ، وإنما هي مؤسسات مالية ، وهذا ما لا ينكره أحد عليها . ولكننا نطالبها كما نطالب سائر البنوك ، بتخصيص نسبة معينة من الحسابات الجارية التي لا فضل لها فيها ولا تعطي عنها أي عائد ، وذلك بواقع ٥٠ ٪ أو أكثر أو أقل ، تخصصها للقرض الحسن وفقاً للشروط أو الضمانات التي يتفق عليها .

والعجيب في بعض هذه البنوك الإسلامية ، أنها تشترط أن يظل الحساب الجاري لكل عميل معها مفتوحاً بنسب عالية كأن لا يقل الرصيد بعد السحب عن مائتي جنيه مصري أو ما يقابله من العملات الأجنبية . وهو أمر غير مفهوم من جانبها ، وقد نرحب به إذا كانت تقدم القرض الحسن من هذه المبالغ المحجوزة لديها بدون وجه حق ، خاصة وأن طبيعة التعامل بالحساب الجاري سحباً وإيداعاً يوفر بصفة دائمة لدى البنوك مبالغ هائلة تقدر بالملايين من العملات تستثمرها هذه البنوك شأن البنوك اللاإسلامية لصالحها الخاص لا لصالح أصحاب الحساب الجاري أو الودائع تحت الطلب .

ولذلك فإن من حقنا أن نطالب البنوك الإسلامية بتخصيص نسبة معينة من إجمالي حساب جاري عملائها ، للقرض الحسن . وحينئذ سيرحب كل عميل بما قد تشترطه بعض هذه البنوك الإسلامية ، بألا يقل رصيد الحساب الجاري لعملائها عن مبلغ معين ، إذ سيسعده ذلك لشعوره بأنه يساهم فعلاً في مد يد العون لكل محتاج مع ضمان رأس ماله .

(٢) المضاربة في الذهب والعملات الأجنبية : الذهب وسائر العملات الورقية ليست بسلعة وإنما هي نقد ومقياس للقيم . وبالتالي فإن هذا النقد أو ذلك المقياس لا يجوز شرعاً أن يكون في ذاته محل مضاربة بالبيع والشراء بقصد تحقيق الربح من وراء الفرق بين سعر الشراء وسعر البيع ، إذ يخرجها بذلك عن وظيفتها الأساسية كوسيط للتبادل لتصبح سلعة تباع وتشترى مما يؤدي إلى أزمات اقتصادية وفساد للأخلاق والمعاملات .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى إن البنوك الإسلامية بحكم طبيعتها ورسالتها ، لا يمكن إلا أن تكون بنوك تنمية حقيقية . ونتساءل أية تنمية أو أية إضافة تعود على المجتمع من وراء الاتجار في الذهب والعملات الورقية مما تورطت فيه بعض البنوك الإسلامية وعرضها لخسائر فادحة ، فضلاً عن انحرافها عن رسالتها وخروجها عن الشرع .

لا أحد ينكر على البنوك الإسلامية مباشرة عمليات الصرف وهو مبادلة العملة الوطنية بعملة أجنبية خدمة للعملاء في سد احتياجاتهم من العملات الأجنبية ، وحصولها من وراء ذلك على عمولة . ولكن ما ننكره هو أن تنحرف البنوك عن هذا المسار الشرعي ممثلاً في الصرف ، إلى احتراف التجارة في الذهب والعملات الأجنبية بقصد المضاربة في ذاتها والاستفادة من فروق الأسعار وغالباً بدون تسلم واستلام حقيقي .

ومن العجيب حقاً أن تصدر فتاوى من هيئة الرقابة الشرعية لدى بعض البنوك الإسلامية ، تجيز لها الاتجار في الذهب والعملات الأجنبية ، وهو أمر جد خطير ، يحلل لها الحرام وينحرف بها عما أجمع عليه فقهاء المسلمين . فهذا شيخ الإسلام **ابن تيمية** يقول في مجموعة فتاويه ، طبعة مطابع الرياض ١٣٨٢ هـ ، الجزء التاسع عشر ، ص ٢٥١ : « والدراهم والدنانير لا تقصد لنفسها ، بل هي وسيلة إلى التعامل بها » . ويبيّن ذلك **الإمام ابن القيم** في الجزء الثاني من **كتابه « أعلام الموقعين »** ، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩ م ، بقوله : « إن الدراهم والدنانير أثمان المبيعات والثمن هو المعيار الذي يعرف به تقويم الأموال ، فيجب أن يكونُ محدوداً مضبوطاً لا يرتفع ولا ينخفض ، إذ لو كان الثمن يرتفع وينخفض كالسلع لم يكن لنا ثمن تعتبر به المبيعات ، بل الجميع سلع . وحاجة الناس إلى ثمن يعتبرون به المبيعات حاجة ضرورة عامة ، وذلك لا يمكن إلا بسعر تعرف به القيمة ، وذلك لا يكون إلا بثمن تقوم به الأشياء ، ويستمر على حالة واحدة ولا يقوم هو بغيره ، إذ يصير سلعة يرتفع وينخفض فتفسد معاملات الناس ويقع الخلاف ويشتد الضرر ، كما رأيت من فساد معاملاتهم والضرر اللاحق بهم حين اتخذت الفلوس سلعة تعد للربح ، فعم الضرر وحصل الظلم ، ولو جعلت ثمناً واحداً لا يزداد ولا ينقص بل تقوم

به الأشياء ولا تقوم هي بغيرها لصلح أمر الناس . . . إلى أن قال : فالأثمان لا تقصد لأعيانها بل يقصد التوصل بها إلى السلع ، فإذا صارت في نفسها سلعاً تقصد لأعيانها فسد أمر الناس » . ويؤكد ذلك من الشافعية **الإمام الغزالي** في كتابه « **إحياء علوم الدين** » ، طبعة عيسى البابي الحلبي بمصر بالجزء الرابع ، ص ٨٩ ، بقوله : « خلق الله تعالى الدنانير والدراهم لتتداولها الأيدي ويكونا حاكمين بين الأموال بالعدل ، ولحكمة أخرى وهي التوصل بهما إلى سائر الأشياء لأنهما عزيزان في أنفسهما ولا غرض في عينهما . . . إلى أن قال : فإذا اتجر في عينهما اتخذا مقصوداً على خلاف وضع الحكمة ، إذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم » . وبهذا المعنى من الحنفية الإمام **أبو يوسف** وسائر الفقهاء .

(٣) عدم تحديد نسبة مئوية معلومة سلفاً للمشاركة في الربح : إن أغلب البنوك الإسلامية لا يحدد لأصحاب الودائع أو الحساب الاستثماري ، نسبة مئوية معلومة سلفاً للمشاركة في الربح ، مع أن ذلك شرط أساسي في الاستثمار والمضاربات الشرعية ، وبدونه تفسد عملية المضاربة . وفي ذلك المعنى يقول ملك العلماء الإمام الكاساني في الجزء الثامن من كتابه « **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع** » ، ص ٣٦١ : « إن معلومية الربح لكل من رب المال ورب العمل ، أمر ضروري لصحة المضاربة ، وإن جهالة الربح توجب فساد العقد » .

وإذا كانت بعض هيئات الرقابة الشرعية بالبنوك الإسلامية ، سوغت لها هذا المسلك بزعمها أو افتراضها أن هناك تفويضاً ضمنياً من أصحاب الودائع والحسابات الاستثمارية في تحديد نسب توزيع الربح حسبما تراه أو تقدره مجالس إدارة هذه البنوك . فهذا القول أو الادعاء مردود عليه بأن شرط تحديد حصة أو نسبة مئوية معلومة لكل طرف في الربح ، هو أمر جوهري مجمع عليه في المضاربة الشرعية ، وإن في إغفاله فسادها . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، كيف يفوض الطرف الثاني ، وهو صاحب المصلحة ، في أن يحدد على هواه نسبة أو حصة الطرف الأول في الربح ، فهذا أمر ينكره المنطق ولا يقول به فقيه .

وتبدو أهمية تحديد نسبة مئوية للمشاركة في الربح معلومة سلفاً لأصحاب الودائع الاستثمارية ، لا تقل بحال من الأحوال عن النصف ، من الأهمية بمكان . ولقد أبدى الكثير من المودعين وأصحاب الودائع الاستثمارية ، لا سيما صغار المدخرين ، تذمره وتشككه في نوايا البنوك الإسلامية ، حين وجدها تستفيد من أمواله وتحقق من ورائها أرباحاً طائلة ثم تنفرد هي بنصيب الأسد ولا تترك له سوى القليل . وكلنا يعلم أن أحد هذه البنوك صرف لأصحاب الودائع الاستثمارية نسبة ١٠ ٪ من أموالهم المودعة ولأصحاب أسهمه نسبة ٢٠ ٪ من قيمتها ، الأمر الذي أوغر صدور الأغلبية من أصحاب الودائع والحسابات الاستثمارية التي لها وحدها الفضل فيما توافر لدى هذا البنك من أموال طائلة لمباشرة نشاطه واستثماراته .

(٤) غلبة الاستثمار في الخارج : إن نظرة فاحصة لميزانيات البنوك الإسلامية ، يستوقفها كثرة ما تجمع لديها من مدخرات ، بدافع حرص كل مسلم في التعامل معها مبتغياً وجه الله تعالى في طهارة ونقاوة استثماراته .

ولكن هذا الإقبال والحماس من جانب المتعاملين مع البنوك الإسلامية ، لم يقابله حتى الآن حرص من جانبها على استثمار هذه الأموال في المجتمع الإسلامي الذي جلبت منه هذه المدخرات .

فالمجتمع الإسلامي الذي يشكو قلة الإنتاج بسبب ضعف المعدل الاستثماري فيه ، هو الأولى بأن تباشر فيه البنوك الإسلامية نشاطها واستثماراتها ، وذلك بدلا من الاستثمار بالخارج ، وغالباً لدى البنوك الأجنبية الربوية ، مما أثار حولها الشبهات والأقاويل .

(٥) المغالاة في نسبة المصاريف الإدارية ومكافآت المسؤولين : وهذا باب حساس تستثمره ولا أقول تستغله البنوك الإسلامية لحسابها ، مستفيدة من فرصة إقبال المسلمين عليها بحكم عقيدتهم وبدافع الغيرة على مساندتها باعتبارها صروحاً اقتصادية إسلامية تخفق لها القلوب ، وتأمل منها الكثير . وعلى سبيل المثال :

أ ـ هذا بنك إسلامي يصدر صكوك المضاربة ، ثم يتطلب للإسهام فيها نسبة ٣ ٪ من قيمتها كمصاريف إدارية له . وعندما تحاجه أو تصارحه بأن هذا كثير للغاية إن لم يكن استغلالا ، يرد عليك ببساطة بأنك قطعاً ستعوضه فيما بعد .

ب ـ وهذا بنك إسلامي آخر يمول بالمرابحة لعميله التاجر السلع التي يطلبها ، ثم يتضح للعميل المذكور أن البنك قد باع له هذه السلع بأرباح تتجاوز كثيراً سعر الفائدة الجاري فيما لو التجأ هذا التاجر إلى البنوك الربوية لتمويله بالإقراض .

جـ ـ وهذا بنك إسلامي آخر يغدق بسخاء المكافآت والمزايا لأعضاء هيئة رقابته الشرعية ، وبما يتجاوز كل ما كانوا يحلمون به من أجر أو مكافأة .

مؤتمر البنوك الإسلامية

إن دافع الحرص والرغبة المخلصة في نجاح البنوك الإسلامية واستمراريتها ، وأن تكون بحق تجربة رائدة ونموذجاً طيباً يقتدى به في العالم أجمع ، هو الذي يدعونا إلى مصارحتها بهذه الحقائق وغيرها مما لم يتسع المجال لذكره ، وذلك أملاً في تصحيح مسارها وترشيد كافة عملياتها بما يتفق حقاً والشرع الإسلامي .

وقد يكون من المناسب أن نطالب **الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية** ، بعقد مؤتمر يدعى فيه كل المختصين ليناقشوا بصراحة مختلف عمليات البنوك الإسلامية وما تلقاه من عقبات أو تطبيقات متضاربة ، وبهدف إيجاد الحلول الإسلامية المناسبة التي تلتزم بها جميع البنوك الإسلامية القائمة ، بدلا من هذا الخلاف العجيب فيما بينها في التطبيق ، الذي تجاوز حسبما سبق بيانه الفروع والجزئيات التي يجوز الخلاف فيها ، إلى ذات الأصول الاقتصادية والمبادئ الإسلامية التي لا يقبل شرعاً الاختلاف فيها . بل لقد تجاوز الأمر في بعض الحالات الأسس والأيديولوجية التي تقوم عليها البنوك الإسلامية ، التي لا يتصور فيها إلا أن تكون بنوك تنمية اقتصادية واجتماعية ، نأمل أن يلمسها ويشيد بها المجتمع الأجنبي قبل المجتمع الإسلامي .

التوسع الدلالي في الكلمات الإسلامية

بقلم: د. حامد صادق

بعث الله سبحانه وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام، وجعل معجزته القرآن الكريم، وهي المعجزة اللغوية الوحيدة بين معجزات الأنبياء عليهم السلام. ومنذ ذلك العهد تبوّأ القرآن الكريم مكان الصدارة لدى أرباب اللغة والبيان. ومن ثم اعتبر الباحثون قديماً وحديثاً أن أهم حدث في تاريخ هذه اللغة هو نزول القرآن الكريم، وظهور الإسلام[1]. وبدا أثر هذا الحدث واضحاً في لغة الحديث النبوي الشريف.

ونستطيع أن نتبيّن مداه إذا علمنا أن القرآن الكريم كان يذكر أصول الدين الإسلامي وأحكامه مجملة دون تفصيل ثم يأتي الحديث النبوي الشريف فيفصِّل ذلك، يقول الله تعالى **﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبيِّن للناس ما نُزل إليهم ﴾**[2]، فالقرآن الكريم ـ مثلاً ـ لم يذكر التكاليف العملية التفصيلية والأحكام المترتبة على دلالة بعض الألفاظ الجديدة التي أتى بها القرآن الكريم مثل: الصلاة والزكاة والحج، وهي أهم أركان الإسلام بل اكتفى بنحو قوله عز من قائل **﴿ وأقيموا الصلاة[*] وآتوا الزكاة ﴾**[3]. وجاء الحديث النبوي الشريف ليفصِّل أوقات الصلاة وكيفياتها، كما فصّل القواعد والأسس التي يجب اتباعها في جمع الزكاة[4].

والصلاة والزكاة نموذجان لما تناولته السنَّة النبوية بالبيان والشرح، حتى إنه ليصحّ لنا القول إن السنَّة تبيّن أحكام القرآن الكريم بياناً لغوياً، كما إنها توضح المفاهيم الأخلاقية والاجتماعية والإنسانية، والسلوك المترتب على هذه المفاهيم الجديدة التي أتى بها القرآن الكريم.

لغة القرآن

ومن المتعارف عليه أن دراسة اللغة العربية غاية ووسيلة، فهي غاية ممثلة في هذه اللغة الجديدة في كلام الله سبحانه وتعالى، إذ إن مجرد تلاوته عبادة أي عبادة، وهي أيضاً وسيلة لفهم ما وراء هذه الكلمات واستعمالها كما وردت في آي القرآن المجيد، والحديث الشريف، وكلام أئمة الدين من بعد.

لقد وقف علماء اللغة العربية من سلفنا الأوائل إزاء شرح هذه الكلمات الجديدة وقفة طويلة مترددين في الإقدام على هذا العمل الشاق، وذلك لتحرجهم أن يتجرءوا على تفسير كتاب الله بغير علم، فلغة القرآن الكريم تُعرب عن معان جديدة. فهل يُؤخذ اللفظ على ظاهره، أو أن دقائق المعنى تقتضي أن يوجه اللفظ توجيهاً آخر؟.

فأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)، يرى أن فهم لغة القرآن الكريم وتدبر معانيه غاية كل مسلم، وأن الشعر واللغة ينبغي أن يكونا أدوات لفهم لغة القرآن الكريم، وعلى هذا المنهج ألّف **أبو عبيدة معمر بن المثنى** (ت ٢٠٩ هـ)، كتابه «**مجاز القرآن**» وسائر كتبه في هذا الباب. وهما في هذا مقلدان **لعبد الله بن عباس** (ت ٦٨ هـ)، رضي الله عنهما[5] بينما عارض **الأصمعي عبد الملك بن قريب** (ت ٢١٤ هـ)، هذا الاتجاه إذ اشتهر عنه أنه لم يكن يحب التعرض لتفسير ألفاظ القرآن الكريم تورعاً وتديناً فضلاً عن الاستشهاد بالشعر في هذا الباب[6].

أثر القرآن في العربية

لقد أعطى القرآن الكريم نموذجاً جديداً وممتازاً لهذه اللغة، ودفعها إلى حضارة جديدة. فلقد جاء الإسلام بمفاهيم جديدة في العقيدة، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق مما لم يألفه العرب في جاهليتهم، وبذلك بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الحضارة انعكس أثرها على اللغة العربية إذ هي وعاء الفكر ودليله.

ومن الطبيعي أن تتطلب هذه الحضارة الإسلامية مادة لغوية جديدة تغاير معاني الألفاظ المعهودة قبل الإسلام، إذ تستمد معانيها من لغة التنزيل المجيد، والحديث النبوي الشريف، وهكذا نشأت طائفة من الكلمات الإسلامية[7]، يمكن أن نسميها «**المصطلحات الإسلامية أو الشريعة**»[8]. يقول **ابن فارس**[9]: «كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم، في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم. فلما جاد الله ـ جل ثناؤه ـ بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأُبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أُخر بزيادات زيدت، وشرائع شُرعت، وشرائط شُرطت. فعفى الآخر الأول. وشُغل القوم بعد المغاورات والتجارات وتطلب الأرباح، والكدح للمعايش في رحلة الشتاء والصيف، وبعد الإغرام بالصيد والمعاقرة والمياسرة، بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وبالتفقه في دين الله ـ عز وجل ـ وحفظ سنن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع اجتهادهم في مجاهدة أعداء الإسلام.

فصار الذي نشأ عليه آباؤهم ونشأوا هم عليه كأن لم يكن، وحتى تكلموا في دقائق الفقه، وغوامض أبواب المواريث وغيرها من علم الشريعة وتأويل الوحي بما دُوّن وحفظ حتى الآن. فصاروا بعد ما ذكرناه إلى أن يُسْأل إمام من الأئمة وهو يخطب على منبره عن فريضة فيفتي ويحسب بثلاث كلمات، وذلك قول أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) حين سُئِل عن ابنتين وأبوين وامرأة: «**صار ثمنها تُسْعاً**»[10]، فسمّيت المنبرية، وإلى أن يقول[11] على منبره، والمهاجرون والأنصار متوافرون: «سلوني فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل»، وإلى أن يتكلم هو وغيره في دقائق العلوم بالمشهور من مسائلهم في الفرائض وحده: **كالمشتركة**، ومسألة **المباهلة والفراء وأم الفروخ، وأم الأرامل**، ومسألة **الامتحان**، ومسألة **ابن مسعود والأكدرية ومختصرة زيد والخرقاء** وغيرها مما هو أغمض وأدق. فسبحان من نقل أولئك في الزمن القريب ـ بتوفيقه ـ عما

التوسع الدلالي في الكلمات الإسلامية

ألفوه ونشأوا عليه وغذوا به إلى مثل هذا الذي ذكرناه . وكل ذلك دليل على حق الإيمان وصحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

فكان مما جاء في الإسلام ذكر **المؤمن والمسلم والكافر والمنافق** ، وأن العرب إنما عرفت المؤمن من **الأمان** ، والإيمان[12] وهو التصديق ، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سُمِّي المؤمن بالإطلاق مؤمناً . وكذلك **الإسلام والمسلم** ، وإنما عرفت منه إسلام الشيء . ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء . وكذلك كانت لا تعرف من **الكفر** إلا الغطاء والسَّتْر . فأما **المنافق** فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه ، وكان الأصل من **نافقاء اليربوع**[13] . ولم يعرفوا في **الفسق** إلا قولهم : **فسقت الرطبة**[14] إذا خرجت من قشرها ، وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله ـ عز وجل ـ ومما جاء في الشرع **الصلاة** ، وأصله في لغتهم الدعاء . وقد كانوا عرفوا **الركوع والسجود** ، وإن لم يكن على هذه الهيئة .

قال **النابغة الذبياني :**

أو دُرَّةٍ صَدَفيَّةٍ غَوَّاصُها
بهِجٌ متى يَرَها يُهِلّ **ويَسْجُدِ**

وقال أبو عمرو : أسْجَدَ الرَّجلُ : طأطأ رأسه وانحنى ، وأنشد :

* أسْجَدَ لليلى فأسْجَدا *[15] .

يعني البعير إذا طأطأ رأسه لتركبه . وهذا وإن كان كذا فإن العرب لم تعرفه بمثل ما أتت به الشريعة من الأعداد والمواقيت والتحريم للصلاة والتحليل منها . وكذلك **الصيام** أصله عندهم **الإمساك** . ويقول شاعرهم[16] :

خَيْلٌ صِيامٌ وأخرى غيرُ صائمةٍ
تحت العجاجِ ، وخيلٌ تعلُكُ اللُّجُما

ثم زادت الشريعة **النية** ، وحظرت الأكل والمباشرة ، وغير ذلك من شرائع الصوم . وكذلك **الحج** لم يكن عندهم فيه غير **القصد وسبر الجراح**[17] ، من ذلك قولهم[18] :

وأشْهدُ مِنْ عوفٍ حلولاً كثيرةً
يحُجُّون سِبَّ الزِّبرقان المزعْفَرا

ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره . وكذلك **الزكاة** لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية **النَّماء** . وزاد الشرع ما زاد فيها مما لا وجه لإطالة الباب بذكره . وعلى هذا سائر ما تركنا ذكره من **العُمْرة والجهاد** وسائر أبواب الفقه .

فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول : « في الصلاة اسمان **لغوي وشرعي** ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء الإسلام به . وهو قياس ما تركنا ذكره من سائر العلوم كالنحو والعروض والشعر ، كل ذلك له اسمان : **لغوي وشرعي** » .

سمات التغيّر

ويحدد لنا **الجاحظ** بعض سمات هذا التغيّر اللغوي الذي طرأ على العربية بسبب الإسلام ممثلاً في سقوط بعض الألفاظ والتراكيب من الاستعمال فيقول[19] : « ترك الناس مما كان مستعملاً في الجاهلية أموراً كثيرة ، فمن ذلك تسميتهم **للخراج إتاوة** وكقولهم **للرشوة** ، ولما يأخذه السلطان **الحُلْوان**[20] **والمكس** ، كما تركوا **أنعم** صباحاً **وأنعم** ظلاماً ، وصاروا يقولون : **كيف** أصبحتم ، **وكيف** أمسيتم ؟ ، كما تركوا أن يقولوا للملك أو السيد المطاع : **أبيت اللعن** ، وقد ترك العبد أن يقول لسيده : **ربي** ، وكذلك حاشية السيد والملك تركوا أن يقولوا : **ربنا** » .

ويقول أيضاً : « ومن الكلام المتروك التي زالت أسماؤه مع زوال معانيها **المرباع والنشيطة** ، وبقي **الصَّفايا**[21] ، فالمرباع ربع جميع الغنيمة الذي كان خالصاً للرئيس ، وصار في الإسلام **الخمس** على سنَّة الله تعالى ، وأما **النشيطة** فإنه كان للرئيس أن ينشط عند قسمة المتاع العلق النفيس يراه إذا استحلاه ، وبقي **الصَّفي** ، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مغنم »[22] . ويقول ابن فارس : إن الصَّفي أيضاً زال بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم[23] .

لقد أطلنا في سرد النصوص السابقة لأنها تلقي أضواء ساطعة على صميم ما نحن بصدد بيانه . لقد أسقط الإسلام كلمات وتراكيب من العربية لم تعد صالحة للتعبير عن الفكر الجديد ، فلم تعد مثل كلمات : إتاوة ، مكس ، المرباع ، النشيطة محتاجاً إليها فهجرت لأن الإسلام غيّر من القيم الفكرية والاجتماعية للمجتمع الجاهلي ، ثم عدل عن دلالة بعض الألفاظ ، وأضاف إليها دلالات جديدة لم تكن شائعة الاستعمال من قبل ، فلم يعد العبد يقول لسيده : ربي ، ولم تعد حاشية الملك يقولون : ربنا ، لأن دلالة كلمة الرب اختلفت بعد الإسلام ، وفي ذلك يقول **أبو حاتم الرازي** (ت ٣٢٢ هـ) : « الرَّبُّ المالك والسيد ، والرب في كلام العرب هو المالك . يُقال : هذا ربُّ الدار ، وربُّ الضَّيْعة ، وربُّ المملوك ، ويُقال ذلك في كل مالك لشيء . . . ولا يُقال للمخلوق هو الرب معرَّفاً بالألف واللام كما يُقال لله عز وجل ، بل يعرّف بالإضافة فيقال : ربُّ الدار ، وربُّ البيت وغير ذلك ، لأنه لا يملك غير ذلك الشيء[24] فإذا قيل الرب معرَّفاً بالألف واللام دلت على العموم واستغنى بذلك عن الإضافة ، لأنه عز وجل ربُّ كل شيء ومالكه ، فلا يُضاف إلى شيء فيختص به دون غيره . وإذا قيل للمخلوق أضيف إليه شيء خاص دون غيره ، فقيل ربُّ الدار ، وربُّ القوم ، أي : رئيسهم وسيدهم . وهو في كلام العرب مشهور »[25] .

ونلحظ مثل هذا في بقية **أسماء الله الحسنى** التي وردت في القرآن الكريم

فمعظمها نقل من الدلالة الحسية إلى دلالة مجردة تتناسب مع ما وصف صاحب العزة به نفسه فهو الواحد، الأحد، الظاهر، الباطن، البارئ، المصوّر، السلام، المؤمن[٢٦] ... سبحانه (ليس كمثله شيء).

استحداث دلالات جديدة

ولم يتوقف التوسع الدلالي للألفاظ على إسقاط بعض التراكيب والألفاظ من الاستعمال، أو إضافة دلالات جديدة إلى بعض الألفاظ القديمة بل تجاوزه إلى **استحداث نوع آخر من الدلالات أضافها أيضاً إلى ألفاظ اعتاد العرب استعمالها على غير المعنى الذي جاء به الإسلام**، ومن ثم نسخ معانيها القديمة ولم تعد تستعمل إلا في المعاني الإسلامية الجديدة، وأهم هذه الألفاظ ما اتصل بشعائر الإسلام وعباداته كما سبق بيانه[٢٧].

دور الفقهاء

لقد أخذت اللغة العربية بهذا التغيّر الدلالي في ألفاظها تتحول لتصبح لغة حضارة من نوع فريد للتشريع فيها مكان مرموق، وأخذت عقول المسلمين تتجه إلى تكوين لغة علمية تحدد بها الفكرة تحديداً واضحاً، ذلك أن استنباط الأحكام التي يراد فهمها وتطبيقها تخاطب العقل الذي هو مناط التفكير ودعامة الإقناع ووسيلة الفهم، وبذلك بدأت العربية بهذه «**الكلمات الإسلامية**» ترسي قواعد صوغ المصطلح العلمي، وفق أسس منهجية أدت إلى قيام علوم إسلامية التحمت فيها جهود الفقهاء بجهود اللغويين وغيرهم من علماء أصول الفقه والمتكلمين.

ولقد أغنى أولئك السلف الصالح بجهودهم خلال العصور هذا الرصيد من المصطلحات، ولكنه ظل مبعثراً هنا وهناك في تضاعيف كتبهم وأعمالهم[٢٨]. وذلك للاعتقاد الراسخ أن اللغة ليست إلا أداة للتعبير عن المفاهيم الإسلامية. وبات من المتعذر على المسلمين أن يفكروا في فصل علوم العربية عن علوم الإسلام، أو يفكروا في علوم إسلامية وعلوم شرعية دون استخدام اللغة العربية[٢٩].

وبادئ بدء يجب التنويه أن تلك المصطلحات لم تكن ارتجالا من لدن الفقهاء وغيرهم من الشرعيين، وإنما رجعوا فيها إلى ما جاء به الإسلام نفسه، ويبقى لهم بعد ذلك فضل صياغة التعريفات الدالة على المعاني الجديدة، وأن هذه التعريفات قد مرّت بمراحل من التطور في صيغ أساليبها[٣٠].

ففي كل باب من أبواب الفقه نجد ألفاظاً لمعان اصطلاحية غير معانيها اللغوية. ففي الإرث مثلاً: الفرائض، الأكدرية، العصبة، العول، الحرمان.. إلخ[٣١].

وفي النكاح: الشغار، اللعان، الفسخ، الخلع، خيار العيب، العزل، الاستبراء.. إلخ[٣٢].

وفي الدعاوى: تخصيص القضاء، دفع الدعوى، يمين الاستظهار، الحجر.. إلخ[٣٣].

ولا يغفل الفقهاء كما بيّنا عند استعمالهم مصطلحاً أن يبيّنوا معناه الذي نقل إليه، ومثاله: الوقف في اللغة الحبس، وفي الاصطلاح حبس العين عن أن تكون ملكاً لأحد من الناس، والتصدق بمنفعتها.

وإذا عرض لهم لفظ معرّب[٣٤]، نصوا على ذلك، ومثاله: الخلْو، السُفْتَجة، الكدك[٣٥]. ولا شك أنهم بذلك قد أغنوا الألفاظ الاصطلاحية فلم يعرض لهم معنى إلا اصطلحوا على الدلالة عليه بلفظ عربي ينقلونه عن معناه اللغوي إلى معناه الاصطلاحي لأي مناسبة، فإذا لم يجدوا للمعنى لفظاً عربياً أدخلوه من باب التعريب، ولم يضيقوا ذرعاً بذلك.

وبعد: فإجمالا لما سبق بيانه في هذه التوطئة في المصطلحات الفقهية نقول:

● **أولا:** إن الرسول **صلى الله عليه وسلم** قد وضع البذور الأولى للغة الفقهاء عندما كان ينقل بعض الألفاظ العربية من معانيها اللغوية إلى حقائق شرعية أو اصطلاحية. ولقد تم هذا النقل عن طريق المجاز اللغوي، يقول السيوطي نقلاً عن ابن برهان: «والأول ـ يعني نقل الأسماء من اللغة إلى الشرع ـ هو الصحيح؛ وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نقلها من اللغة إلى الشرع، ولا تخرج بهذا النقل عن أحد قسمي كلام العرب، وهو المجاز»[٣٦].

وفي **القرن الثالث الهجري**، تضخم رصيد هذه المصطلحات وتوزعت كتب الفقه وساهم اللغويون في ذلك، ولكن طابع الفردية ظل مميزاً في هذه الجهود، ولهذا السبب يمكن عزو الاختلاف بين فقهاء الحجاز وفقهاء العراق. ففقهاء الحجاز مثلاً لا يفرقون بين الفرض والواجب، على عكس **فقهاء العراق، وفقهاء الحجاز**، لا يفرقون بين الباطل والفاسد في المعاملات أو العبادات بينما فقهاء العراق يفرقون بين الباطل والفاسد في المعاملات ويسوون بينها في العبادات.

● **ثانياً:** إن التحضر الذي أفاء على الأمة الإسلامية منذ أواخر القرن الثاني الهجري، قد انعكس على مظاهر الحياة كلها، وإن الناس قد تأثروا بذلك في لبسهم وأكلهم وكل مظاهر حياتهم، ومن المحال أن لا يتأثروا كذلك في تفكيرهم ولسانهم، لذا دخلت طائفة من الألفاظ الأعجمية لغة الفقهاء من باب التعريب.

● **ثالثاً: إن العربية قادرة على الاستجابة لسائر دواعي الحياة الدينية والدنيوية، وإن الاشتقاق فيها يمنحها الجدة ومسايرة الزمن مما يضمن لها الخلود والبقاء.**

● **رابعاً:** ومن هنا جاز لنا أن نقترح أنه يمكن لباحث أو مجموعة من الباحثين أن يعكفوا على جمع هذه المصطلحات مع شروحها، وأن يضيفوا إليها ما استحدث المعاصرون في هذا الباب، وبذلك يكون هذا العمل **معجماً**

التوسع الدلالي في الكلمات الإسلامية

تخصصياً في لغة الفقهاء، ثم هو عمل تمهيدي للمعجم التاريخي، الذي ما زال الأمل المنشود **لمجمع اللغة العربية بالقاهرة،** ونرجو أن نقيض أسباب إخراجه.

الهوامش

(١) انظر الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣ هـ). إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر. القاهرة، دار المعارف ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ م، ص ص ١٩ و ٣٥. وانظر فك، يوهان، العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة ١٩٥١ م، ص ١ وما بعدها.

(٢) سورة النحل، الآية ٤٤.

(٣) سورة البقرة، الآية ١١٠.

(★) الصلاة بمعناها اللغوي مطلق الدعاء، وفي معناها الإسلامي الشرعي عبادة خاصة كما بيّنها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٤) انظر ابن الأثير، المبارك بن محمد (ت ٦٠٦ هـ). النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط الحلبي، القاهرة (٦٣ ـ ١٩٦٥ م). المقدمة ٤/١ وما بعدها.

(٥) على هذا الأساس كانت «سؤالات نافع بن الأزرق» لابن عباس رضي الله عنهما. والأخبار التي رويت عنه تشير إلى أنه ابتدع لوناً من تفسير ألفاظ القرآن الكريم يقوم على الاستعانة بما أثر من كلام العرب شعراً أو نثراً حتى تحرج الناس وتشككوا فيما ذهب إليه. يروي حميد الأعرج وعبد الله بن أبي بكر بن محمد عن أبيه قال: بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، قال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن الكريم بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا، وتأتينا بمصادقه من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما.

فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى **﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾**؟؟.

قال ابن عباس: العزون: حَلَقُ الرفاق.

قال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟.

قال ابن عباس: نعم. أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاؤا يهرعون إليه حتى ... يكونوا حول منبره عزينا

ثم استمر يسأله على هذا الوجه مسائل عديدة، وقد طالت رواية هذه المحاورة في كتاب الاتقان حتى ملأت خمس عشرة صفحة [انظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ)، الاتقان في علوم القرآن الكريم، ط الحلبي، القاهرة ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م، الجزء الأول، ص ١٢٠ وما بعدها].

(٦) انظر أبو الطيب، عبد الواحد بن علي اللغوي (ت ٣٥١ هـ)، مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط مصر ١٩٥٥ م، ص ٤٨.

(٧) انظر الرازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان (٣٢٢ هـ)، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تحقيق حسين الهمداني، ط القاهرة ١٩٥٧ م، الجزء الأول، ص ٥٦ وما بعدها.

(٨) المصطلح هو: اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علمي أو عملي أو فني أو أي عمل ذي طبيعة خاصة (شاهين، عبد الصبور. العربية لغة العلوم والتقنية، ط السعودية ـ الدمام ١٤٠٣ هـ، ص ١٢١)، وأقول إن هذا التعريف غير مانع لدخول كثير من الألفاظ اللغوية المستعملة في العلوم ضمن التعريف كالضوء في علم الفيزياء، والحديد والذهب في الكيمياء والجمع في الحساب وهلم جرّا.

(٩) ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت ٣٩٥ هـ)، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، ط لبنان ١٣٨٣ هـ، ص ٧٨ وما بعدها.

(١٠) التُسع: جزء من تسعة أجزاء متساوية (انظر المعجم الوسيط).

(١١) هو الإمام علي.

(١٢) في اللسان: سمي المنافق منافقاً لأنه نافق كاليربوع وهو دخوله نافقاءه.

(١٣) لعل الأصل: من الأمان أو الإيمان وهو التصديق. لأن الأمان ـ بمعنى الأمن ـ غير الإيمان كما هو معروف.

(١٤) في الأصل المطبوع الرطبة بسكون الطاء، والأصح فتحها كما في اللسان مادة (ف س ق).

(١٥) شطر البيت من إنشاد أبي عبيد (اللسان).

(١٦) البيت وارد في (اللسان) منسوباً للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه.

(١٧) البيت وارد في (اللسان) منسوباً للمخبل السعدي القريعي التميمي، وهو شاعر مجيد مخضرم.

(١٨) يقال حج الشَجّةَ إذا سبرها بالميل ليعالجها (انظر معجمات اللغة).

(١٩) الجاحظ: أبو عثمان، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط الحلبي بالقاهرة ١٩٥٨ م، ١/٣٢٧ ـ ٣٢٨، وانظر الصاحبي، ص ٩٠.

(٢٠) الحلوان: ما تهبه لإنسان على شيء يفعله غير الأجرة، والحلوان أيضاً ما يأخذه الرجل من مهر ابنته لنفسه (صحاح الجوهري).

(٢١) الصفايا: ما كان يصطفيه الرئيس لنفسه من خيار الغنيمة.

(٢٢) الحيوان، ص ١/٣٣٠، وانظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ط الحلبي، القاهرة تحقيق محمد أحمد جاد المولى، وآخرون ١/٢٩٦.

(٢٣) الصاحبي، ص ٩٠.

(٢٤) كذا في الأصل: ولعل الصواب أن يقال: لا يملك كل شيء، إذ غالباً ما يملك الإنسان الواحد أكثر من شيء واحد.

(٢٥) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية، ٢/٢٧.

(٢٦) انظر لزيادة التفصيل، المرجع السابق، ص ٣٢، ٤٩، ٥٩، ٦٣، ٧٠.

(٢٧) راجع نص ابن فارس، وانظر لمزيد من التوسع، الحيوان ١/٣٣٢، وكتاب الزينة ١/١٤٦ ـ ١٤٧.

(٢٨) نهض مجموعة من الباحثين إلى وضع التصانيف التي تشرح هذه الكلمات، وقد عرفت تلك الكتب بكتب الغريبين (القرآن والحديث)، أي شرح غريب القرآن الكريم، وشرح غريب الحديث النبوي، وكذلك مجاز القرآن ومجاز الحديث. وهو نوع من البحث الدلالي في ألفاظ القرآن والحديث وتطور استعمالها.

(٢٩) انظر كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، الجزء الأول، المقدمة ص ١.

(٣٠) قارن مثلاً بين تعريف «بيع السلم» في مبسوط الإمام محمد (من القرن الثاني الهجري) والتعريف الوارد في بدائع الإمام الكاساني الملقب بملك العلماء (من القرن السادس الهجري).

(٣١) انظر: ابن النجار، منتهى الإرادات ٢/٦٩ وما بعدها.

(٣٢) المرجع السابق ٢/١٥١ وما بعدها.

(٣٣) المرجع السابق ٢/٥٧٤ وما بعدها.

(٣٤) التعريب هو: نقل اللفظ من العجمية إلى العربية، والمشهور فيه التعريب، وسماه سيبويه وغيره «إعراباً» ـ وهو إمام العربية ـ فيقال حينئذ «معرَب» (بسكون الراء)، ومعرَّب (بتشديد الراء المفتوحة) [الخفاجي، شهاب الدين، ت ١٠٦٩ هـ، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تحقيق عبد المنعم خفاجي، ط مصر ١٣٧١ هـ]، ص ٢٣.

(٣٥) الخلو: لغة من خلا الإناء مما فيه، أي: صفر فهو خال، واصطلاحاً: تنازل المرء عن الحق بعوض. والسُفْتَجَة: بفتح السين والتاء بينهما فاء ساكنة لفظ معرّب ج سفاتج. واصطلاحاً: ما يُعرف اليوم بالحوالة المالية، وهي وثيقة تمكنك من قبض مالك الذي أقرضته شخصاً عندما تنتقل لبلد آخر من وكيله أو عميله في البلد الآخر درءً لخطر الطريق ومؤونة الحمل. والكَدَك، بالتحريك معرّب، وهو ما يبنيه المستأجر في عقار الوقف دون أن يحسب ذلك على الوقف، والكاديك: ريع عقار ذلك الوقف.

(٣٦) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/٢٩٨ ـ ٢٩٩.

صفات الرسول

شعر: إلياس قنصل

حلم الشاعر أنه في أرض النبوة فكانت هذه القصيدة

حباك رضاء الله ما كنت تطلب … فهل لك بعد الآن يا قلب مارب ؟

أنا اليوم في أرض النبوة والتقى … يجللني من هالة الوحي كوكب

تدفق عهد الحق من جنباتها … فضاء الهدى والحجاب للبطل غيهب

وعز بما فيه من الخير مشرق … وأحرز منه رحمة الصفح مغرب

وزعزع دنيا بالحقود كئيبة … وركز دنيا بالتساهل تطرب

على صخرة الإيمان قام أساسها … فعي عن التهديم فيها المخرب

ووطد عدلا أفقه ليس ينتهي … وركن آمناً بدره ليس يحجب

وساوى فما في الناس يشمخ سيد … تذل كما تهوي الرقاب وتضرب

ولا لاتقاء السوط جنس مصفد … ولا لاحتمال اللطم شعب معذب

وليس للون المرء أية قيمة … إذا لم يميّزه صنيع مطيب

ولا فضل للإنسان يغزر كسبه … إذا لم يكن للفضل ما هو يكسب

فمن رام أن يحظى بنعمة ربه … فما بسوى التقوى إلى الله يقرب

وخطط للدارين نهجاً مسدداً … أماني من يجري به لا تخيب

وفك عن الأفهام أطواق غلها … وكانت بصحراء الفدامة تغرب

فأمست كما شاء الخيال طليقة … طرائفها الغراء تنمو وتثقب

وأبعد خوفاً لا يبرره غد … وما الخوف إلا النزع أو هو أصعب

وزلزل عدوان القوي تشده … وجاهة مال من يد الفقر تسلب

وحض على المعروف من غير منة … يزول بها الأجر الذي كان يرقب

وهيأ للأجيال شرعاً محدداً … يسدد ما تحتاجه ويدرب

وثبت آلاء الأخوة جالياً … مآثر يهديها الولا والتحبب

وقوم أسباب التعاون فاغتدى … نظاماً على فوضى الجفا يتغلب

وقائعها للباحثين خوارق … وتفسير ما فيها من الفوز أغرب

وما انتصر الفولاذ في ساحة الوغى … رماحاً إلى صدر العدو تصوب

بل انتصر العزم الذي شد أزره … وفاء لما أوحاه طبع مهذب

وما اندحر الجيش الذي عاش خائفاً … وباغته جيش جريء مدرب

بل اندحر العهد الذي كان أمره … مشيئة من يردي ويطغو ويغصب

لئن شاءت الدنيا من العرب همة … إذا جارت الأرزاء تعلو وتصلب

فما نشر الإسلام سيف مجرد … ولا عمم الإسلام عزم مرتب

ولكن كتاب لم ير الناس مثله … مناهله للخير تنمو وتعذب

يشع على هام الدهور بيانه … ويخلد ملك الضاد منه ويقشب

شرائعه في كل عصر وبيئة … مثال لما يملي الرشاد ويوجب

لو اتبعت أهدت إلى العالم المنى … وبات على زهر الصفا يتقلب

وأمسى التراضي سنة مستحبة … وزال التجافي واضمحل التحزب

فلست تلاقي من يجور ويعتدي … ولست تلاقي من يخاف ويكأب

وما نشر الإسلام جيش مرتب … عليم بأسرار الوقائع محرب

ولكن صفات في الرسول كريمة … ببوتقة ، الأحداث تسمو وتنجب

تجلى بها « الإنسان » يدنو بخلقه … إلى قمة فيها الكمال المنصب

يقابل بالصبر الجميل ضغائناً … تمادى بها وغد يسب ويثلب

ويعفو عن الأسرى وكان وعيدهم … بما في نواياهم من الثار يلهب

ويطلب رأي الآخرين ورأيه … متى بدت الآراء أعلى وأصوب

ويوصي بإسعاف الفقير وإن يكن … عدواً لدوداً في الوقيعة يدأب

إذا جاءه الملهوف فهو له أخ … وإن جاءه المحروم فهو له أب

وإن عاد ذو إثم عن الإثم نادماً … يغض عن الماضي ولا يتعتب

ويحنو على الشيخ الذي جف عزمه … ويحبو مع الطفل البريء ويلعب

ويرفض إلا الصدق في كل موقف … ولو كان فيه ما يضر وينكب

ويمعن في صوغ المديح لمحسن … ويحبس عنه عذله حين يذنب

تواضعه والنبل فيه فضيلة … وليس كلالا خلفه الضعف يسرب

صفات نبي أحسن الله خلقه … نفوس الورى من رفدها تتهذب





و.. للحديث شجون



بقلم: عبد العزيز الرفاعي

وصفة نبوية

روى الواقدي (ت ٢٠٧ هـ) في مغازيه ، في سياق أخباره عن غزوة خيبر ، ص ٦٨٦ ما يلي :

« حدثني عبد السلام بن موسى بن جبير ، عن أبيه ، عن جده ، عن عبد الله بن أنيس ، قال : خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ، ومعي زوجتي حبلى ، فنفست بالطريق ، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انقع لها تمراً ، فإذا أنعم بلُّه فامْرُثه ، ثم تشربه . ففعلت . فما رأت شيئاً تكرهه ، فلما فتحنا خيبر أحذى النساء ولم يسهم لهن ، فأحذى زوجتي وولدي الذي وُلد . قال عبد السلام : لست أدري غلام أم جارية » .

ونرى من الخبر ، كيف وصف الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الوصفة الطبية لهذا الصحابي .. وكيف كان وصفه دقيقاً ، فقد قال : انقع .. فإذا أنعم بلُّه فامرثه .. وكيف كانت الوصفة نافعة .

كما نرى من هذه الوصفة أن التمر ليس طعاماً فقط ، وليس حلوى فقط ، بل هو علاج أيضاً .

من هو عبد الله بن أنيس؟

أما عبد الله بن أنيس صاحب الخبر ، فصحابي من القادة الشجعان ، وردت ترجمته في الأعلام للزركلي ، وفاته سنة ٥٤ هـ ، (٦٧٤ م) ، ومرجعه إمتاع الأسماع ١ : ٢٥٤ و ٢٧١ والإصابة .. وقد أشار أن له أخباراً من أعجبها حكاية قتله لسفيان بن خالد بن نُبيح الهذلي ، أوردها المقريزي في (إمتاع الأسماع) .

ما حكايته؟

أما الحكاية كما أوردها المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) ، في (إمتاع الأسماع) ، ص ٢٥٤ ، فخلاصتها أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسله إلى سفيان بن خالد بن نُبيح الهذلي ثم اللحياني ، فخرج فغاب اثنتي عشرة ليلة ، وسبب خروجه ما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم من أن سفيان المذكور ، نزل عرنة وما حولها في ناس ، واجتمع إليه بشر كثير من أفناء العرب ، فبعث الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس وحده ليقتله ، وقال له : انتسب إلى خزاعة ، فقال عبد الله بن أنيس : يا رسول الله ، انْعته (صفْه) لي حتى أعرفه ، قال : إذا رأيته هبته ، وفرقت منه وذكرت الشيطان ، وآية ما بينك وبينه أن تجد له قشعريرة إذا رأيته ، وأذن له أن يقول ما بدا له ، وكان ابن أنيس لا يهاب الرجال ، فأخذ سيفه وخرج ، حتى إذا كان ببطن (عرنة) لقي سفيان يمشي ، وراءه الأحابيش ، فهابه ، فلما دنا منه قال : من الرجل؟ قال : رجل من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك ، ومشى معه يحادثه وينشده ، حتى انتهى إلى خبائه ، وتفرق عنه أصحابه ، فجلس عنده حتى نام الناس ، فقتله وأخذ رأسه ، واختفى في غار ، والخيل تطلبه في كل وجه ، ثم سار الليل ، وتوارى في النهار إلى أن قدم المدينة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فقال : أفلح الوجه! قال : أفلح وجهك



يا رسول الله! ووضع الرأس بين يديه ، وأخبره الخبر ، فدفع إليه عصا ، وقال : تخصّر بهذه في الجنة ، فإن المتخصرين في الجنة قليل . وكانت عنده حتى أدرجت في أكفانه بعد موته .

وقد جاءت هذه القصة نفسها في مغازي الواقدي ، ص ٥٣١ (باب شأن سرية عبد الله بن أنيس إلى سفيان .. إلخ) . وجاءت عنده قصة المخصرة في موضعين ، هذا أحدهما ، أما الآخر ففي ص ٥٦٨ في قصة قتله أبي رافع اليهودي .. وجاء ذكرها أيضاً في سيرة ابن هشام ٢/٦٢٠ .

كلمات الوصفة

وألفاظ الوصفة النبوية لزوجة ابن أنيس رضي الله عنهما .. ما تزال تستعمل حتى اليوم في الوصفات التي يتوارثها الناس .. فالنقع .. والبلّ .. والمرث : هي نفسها المستعملة اليوم ، ولكن العامية حرفت المرث إلى المرص .. أو المرس فقلما تستعمل العامية (الثاء) فهي تحرف عندها إلى (تاء) أي بنقطتين ـ لا ثلاث ـ أحياناً ، أو إلى (سين) أحياناً أخرى ، وقد تفخّم السين فتصير (صاداً) .. ولعل (المريسة) من ذلك .. وهو طعام أو شراب ممروث .. بل إن القاموس يجعل (المرث) لغة في المرس .. بل لقد أورد (مرزه) بمعنى مرسه .. (يراجع تاج العروس) .

وفي الخبر (نفست) بمعنى الولادة .. وهو الاستعمال الشائع في العامية .. وفيه (أحذى) النساء .. بمعنى أعطى ، والحذوة بالكسر العطية .. والحُذَيّا بالضم وفتح الذال مع تشديد الياء هدية البشارة وجائزتها . وأحذاه من الغنيمة أعطاه منها .. وفي العامية ما تزال الحذية تستعمل بمعنى العطية أو هدية البشارة ، فيقولون : الحذية الحذية .. أي اعطني هدية البشارة .. وفي الخبر الثاني (عرنة) ، وهي موضع بمكة المكرمة بجوار عرفة يتردد اسمه في ذكر المشاعر .. أما المخصرة فهي العصا .

التمر

ويدل الحديث ، أن التمر لم يكن فقط طعام العرب في جزيرتهم ، أو حلواهم .. وإنما كان لهم أيضاً دواء .. فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحنّك به أطفال المسلمين ، كما يصفه دواء كما مرّ بنا في الوصفة .

ولمن شاء أن يتوسع في هذا الباب عليه بكتاب (الطب النبوي) لابن القيم ، وهو مطبوع طبعات عديدة آخرها طبعة محققة في عدة أجزاء .

ولا عجب أن تكون النخلة صديقة العربي ، أو عمته الوفية ، فهو لم يكن يرمي منها شيئاً .. كما أن الجمل صديقه العتيد ، فالنخلة والبعير من نعم الله الكبرى على العربي في صحرائه ، فعليه مهما تطور أن لا يفرط فيها ، بل عليه أن يطور الاستفادة منها .

القيم التربوية في تجربة صيام رمضان

بقلم: د. عبد الرحمن العيسوي

صيام رمضان تجربة رائعة يخوضها المسلم في كل عام، فتجدد دماء الإيمان في عروقه، وتستحث مشاعر الإسلام في حسه وروحه ووجدانه ووعيه وإدراكه، وتوقظ ضميره الديني والخلقي، وتحرك عواطف الدين في نفسه، وتدعمها وتقويها.

وصيام رمضان، لا شك، تجربة ذات أثر قوي في كل جوانب شخصية الفرد، وسلوكه، واتجاهاته العقلية، وميوله، واستعداداته، وشعوره، وقيمه ومثله، ونظرته للحياة وعقيدته الإسلامية، بل وفي صحته الجسمية، وتخليص جسده من الدهون والشحوم والرواسب المتراكمة والأملاح الزائدة، على امتداد العام.

ويؤدي الصيام إلى علاج كثير من مظاهر السمنة أو التخمة التي أصبحت من أخطر أمراض العصر، فلم يعد الإنسان يموت بفعل الأوبئة الكاسحة التي كانت تحصد أرواح البشر بالملايين في العصور الغابرة كالطاعون والجدري والكوليرا، وإنما أصبح يعاني من أمراض أخرى.. من بينها السمنة Obesity وضغط الدم High blood pressure والسكر وضيق الشرايين.

للصيام آثار عميقة، وباقية وراسخة في الصائم. ولكن الذي يهمنا من هذا المجال هو استنباط ما للصيام من قيم تربوية Educational Values أصيلة، وخاصة أننا نعلم أن الإنسان لا يتعلم فقط عن طريق التربية النظامية في المدارس والجامعات، ولكنه يتعلم طوال حياته من المهد إلى اللحد مصداقاً للحديث النبوي الشريف «**اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد**» ـ متفق عليه ـ يتعلم من خلال تجاربه الذاتية Self-experiences، ومن خلال تفاعله Interaction واحتكاكه مع البيئة الاجتماعية Social environment، والفيزيقية التي يعيش في وسطها، ويؤثر فيها ويتأثر بها.

الصيام مدرسة جامعة

والصيام، لا شك مدرسة جامعة لتربية الفرد على كثير من القيم والفضائل والخصال الحميدة، على كثير من العادات السلوكية الطيبة، والاتجاهات العقلية والعقائدية الإيجابية.

ومن القيم التربوية للصيام **الطاعة**، وإحساس الصائم بأنه يطيع أمر الله تعالى، وأنه يؤدي واحداً من التكاليف الدينية الرئيسية في الإسلام لقوله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون. شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾** (سورة البقرة، الآيات ١٨٣ ـ ١٨٥).

والإحساس بالطاعة يبعث في نفس صاحبه الشعور بالرضا والسعادة والأمان، والاطمئنان النفسي العميق.

ومن أهداف الصيام غرس قيمة الصبر، وقوة التحمل على الجوع والظمأ والحرمان من الشراب والطعام، وهو ماثل أمام حواس الفرد وفي متناول يده. وليس هناك أي قوة خارجية رادعة تمنعه، اللهم إلا ضميره الواعي وحسه الديني. ولذلك فالصيام يدرّب الصائمين على الجَلَد وقوة التحمل والصلابة والإصرار والمثابرة وقوة الإرادة والعزيمة، بحيث تتمكن إرادة الإنسان من توجيه سلوكه وضبطه والسيطرة عليه. وللصيام أهمية كبيرة في تعويد الإنسان على الانضباط والالتزام بمواقيت الصيام والإمساك وتناول الطعام، ومن شأن هذه العادة أن تنعكس فيما بعد على كافة جوانب سلوكه فيصبح منضبطاً في عمله وفي دراسته وفي مسلكه العام.

ومن القيم التربوية للصيام **تقوية مشاعر الانتماء** Feeling of helongingness لجماعة الإسلام، والإحساس بأن الفرد جزء لا يتجزأ منها، وأنه يسلك كما يسلك المسلمون جميعاً. والشعور بالانتماء من الحاجات النفسية الأساسية التي يحتاج الإنسان إلى إشباعها، ولا سيما إذا

كان الانتماء لأمة كالأمة الإسلامية ، كانت وما زالت خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . فالصيام يؤدي بالصائم إلى الشعور بالفخر والاعتزاز بإسلامه ودينه وبأمته العريقة ، ويقوي الصيام مشاعر الوحدة والاتحاد والتماسك الإسلامي . وهو الأمر الذي أصبح ، وللأسف الشديد ، في هذه الأيام ، مفقوداً . ومن الناحية النفسية الصرفة ، فإن مشاركة الفرد لملايين غيره في تجربة الصيام في نفس الوقت ، تقوي عنده **التقمص** Indentification أو التوحد مع أمتنا الإسلامية بحيث يذوب في كيانها الكبير ، ويشعر بما تشعر به ، ويتألم لآلامها ، ويسعد لسعادتها عملاً بقول رسولنا الكريم : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » متفق عليه .

ومن القيم الخلقية والتربوية للصيام تعليم الصائم الولاء والاحترام لمبادئ الإسلام الحنيف وشريعته الغراء ونظمه السمحة .

والصيام مدرسة جامعة تعلم المسلم القناعة والزهد والتعفف والرضا ، وتقوي الجوانب السامية والروحية في الإنسان على الملذات والشهوات ، والإشباع المادي والجسدي ، وبذلك يكتسب الإنسان « إنسانيته » عن طريق تجربة الصيام .

والصائم ، لا شك يشعر بالطهر والطهارة ، وصفاء النفس ونقاء السريرة ، وخلوها من الشوائب والضغائن ومشاعر الحقد والبغض والكره والتنافس والانتقام والأذى والشك والريبة ويحل محلها مشاعر السلام والتسامح .

ويسود السلام روح الصائم ، ويتعلم التسامح ، ويمسك عن الغيبة والنميمة . ويصبح ضمير الصائم أكثر فاعلية وقدرة على الوخز والتأنيب والتعنيف واللوم عندما يخطئ صاحبه ، وتقوى قدرة الضمير على أداء وظيفته في منع وقوع الذنوب والمعاصي قبل وقوعها ، ومقاومة إغراءات الشيطان أو وساوس النفس الأمارة بالسوء أو إلحاح حاجات الجسد ومطالبه .

ويؤدي الصيام إلى تحاشي الصائم ارتكاب المعاصي والذنوب ، كما يؤدي إلى إحساسه بما يحس به الفقراء والمحرومون والبؤساء واليتامى وأبناء السبيل ، فتقوى عاطفته نحوهم ويحسن إليهم مما أعطاه الله تعالى ويبرهم ، وبذلك يكون للصيام قيمة في تربية الفرد على التضامن الاجتماعي والتكافل الاجتماعي والتعاون والعطف على أبناء المجتمع ، وبذلك يزداد الوطن قوة وترابطاً وتماسكاً ، ولا يشعر الفقراء بالفروق الطبقية أو بالحرمان أو النقص والدونية ، أو أنهم من مواطني « الدرجة الثانية » .

وفي بيان أثر الصيام يقول الحديث الشريف : « **من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه** » رواه مسلم . ومن القيم التربوية للصيام أنه يربي الإنسان على التعود على تأجيل إشباع حاجته العاجلة في سبيل الجزاء الأطيب كما في قول الرسول الكريم : « قال الله كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ، فإنه لي ، وأنا أجزي به ، والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح ، وإذا لقي ربه فرح بصومه » البخاري .

فالصيام تدريب على الصبر وضبط النفس والتسامح وعدم رد العدوان بالمثل . . وللصيام جزاء حسن في الدنيا والآخرة لقول الرسول **صلى الله عليه وسلم** : « ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً » متفق عليه .

شهر رمضان

وشهر رمضان شهر التوبة النصوح والطريق إلى الجنة لقوله صلى الله عليه وسلم : « **إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار ، وصعدت الشياطين** » متفق عليه . ومن قيم الصيام التربوية الجود والكرم والسخاء والعطاء ، فعن **ابن عباس رضي الله عنهما** قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، كان رسول الله **صلى الله عليه وسلم** حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » . وعن **عائشة رضي الله عنها** : « كان رسول الله **صلى الله عليه وسلم** إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر » متفق عليه .

وفي رمضان عندما يمسك المسلم عن الطعام بنية التعبد ، لا يمسك عن الطعام والشراب وحسب ، وإنما كذلك يمسك عن غشيان النساء وسائر المفطرات من طلوع الفجر حتى غروب الشمس . وللصائم دعوة عند الله لا ترد لقوله **صلى الله عليه وسلم** : « إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد » رواه **ابن ماجه** .

ومن القيم التي يغرسها الصيام في المسلمين **حب العدل** والمساواة والنظام والاتحاد والإحسان والرحمة ، ويحمي المجتمع من الشرور والمفاسد والانحراف . وفي الصيام صحة المسلم ، فلقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالصوم والفطور وحرم مواصلة الصيام إلى الأبد لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا صام من صام الدهر » رواه مسلم . والصيام أحد أركان الإسلام الخمسة لقوله صلى الله عليه وسلم : « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » متفق عليه .

وإذا كان للصيام هذه القيم التربوية العظيمة ، فإن مؤسساتنا التربوية مدعوة كي تشرح فوائد الصيام وفضائله وسننه وتحبب الشباب فيه .



رجاء جارودي
ثورة على الإلحاد والمادية

بقلم: د. سيد فرج راشد

رجاء (روجيه) جارودي، هو أحد الفلاسفة والمفكرين في الغرب المتخصصين في الدراسات الإسلامية ذوي الصوت المسموع على كافة المستويات السياسية والثقافية، فأصداء آرائه وكتاباته تتجاوز قاعات المحاضرات في السربون إلى مختلف المنظمات والأجهزة السياسية والدينية والإعلامية في الغرب. هذا بالإضافة إلى أنه كان في طليعة مفسري الماركسية في أوروبا وعلم من أعلام الفلسفة في فرنسا.

وقد نظر جارودي إلى البحث العلمي الأكاديمي بمنظار سياسي، فهو يجب أن يرتبط بمنهج لحل المشكلات المعاصرة للشعوب، ومن خلال دراسته في العلوم الإسلامية، بالإضافة إلى تعمقه في مقارنة الأديان وصل إلى نتيجة مؤداها أن الحضارة الإسلامية بمنجزاتها العريقة هي أهم الركائز التي اعتمدت عليها الحضارة الغربية في علومها الحديثة وفي تقدمها. وقد أوضح ذلك في آخر كتاب صدر له منذ عامين بعنوان «وعود الإسلام»[1].

وقال جارودي إنه رغم الاستبدادات السياسية والقوانين الوضعية، فإن للإسلام من مرونته ومنطقيته علامات واضحة وحية تجعله ينتصر على كل هذه القوانين ويتفوق على كل تحديات العصر الحاضر والمستقبل أيضاً، وقال إن العالم أنفق في العام الماضي ٦٥٠ مليار دولار على الأغراض العسكرية مقابل ٥٠ مليون نسمة يموتون جوعاً؛ فكيف يمكن أن نسمي هذا اللون من الحياة تقدماً. ولو طبقت تعاليم الإسلام بعناية ما حدث ذلك.

وقد أشعلت الدول الكبرى المتقدمة الحروب الصغيرة في العالم الثالث وحاصرته بالمؤامرات، لتجعل منه سوق سلاح تبيع فيها فائض إنتاجها وتجعله مدارس لتجارب أسلحتها الجديدة. وبذلك تستنفد الثروات القومية لشعوب تعيش تحت مستوى الفقر، وخلفت



* رجاء جارودي

نوعاً من الإعلان والدعاية في شتى وسائل الإعلام لترويج منتجاتها واستخدمت خداع الألوان وبريق الفن وأساليب الإيحاء لاستدراج بعض الشعوب في العالم الثالث إلى هذه الأمور الخادعة ، فعلى سبيل المثال فإن عدد الأحد من النيويورك تايمز يحتوي على حوالي ٩٠٪ إعلانات ، ويستهلك من الورق ما يكفي لطبع جميع الكتب المدرسية التي تحتاجها الكاميرون في عام كامل .

والمساعدات المقدمة للعالم الثالث لا تساعد ، بل تجر هذه المجتمعات وتقيدها إلى نفس العربة وإلى ذات النمط الآلي الاستهلاكي بلا هدف ؛ والنتيجة أننا أمام نموذجين ، الرأسمالي والاشتراكي وكلاهما فاشل ، ويرجع ذلك إلى أن هذه النظم فصلت بين العلم والحكمة وبين الوسيلة والغاية ، فالعلم في هذه الحضارة هو علم للعلم ، وفن للفن ، وحياة لمجرد الحياة بلا حكمة ، وكل موضوع يفسر بالقياس إلى المفاهيم السائدة بعد تفريغها من معاني الإيمان والجمال ، وإشباع حاجات الفرد هو الهدف .

وتبرز هذه النظم تأثير الحضارة اليونانية والرومانية عليها ، وتتناسى أثر الإسلام تماماً ، ولا ترى في الحضارة الإسلامية إلا أنها ناقلة للحضارة اليونانية ، بل وتدعي أن الإسلام لا يستطيع أن يقدم شيئاً .

ويرد جارودي على هذه الادعاءات قائلاً : غير صحيح أن الحضارة الإسلامية وقفت عند النقل عن اليونان دون عطاء بدليل الاختلافات الجوهرية بين نتاج الحضارتين ، فالرياضيات اليونانية وقفت عند المتناهي ، بينما اعتمدت الرياضيات العربية على فكرة اللامتناهي ، كما أن أداة المعرفة عند اليونان كانت علم المنطق ، بينما كانت عند العرب هي العلم التجريبي . كما نرى أن الفن المعماري اليوناني يعتمد على الخط المستقيم ، بينما نرى المسجد في تكويناته هندسية من أقواس ومنحنيات وقباب . **وكانت النظرة الإسلامية نظرة جامعة بين العلم والحكمة ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ ، والمسلم ينظر إلى الأشياء نظرة تحمل معنى الحكمة والعناية والقدرة الإلهية** ؛ بينما العلم في الغرب لا هدف له سوى الكم والمزيد من الثراء والقوة .

ومما يؤيد كلام جارودي أن الحضارة الأوروبية لم تبدأ من اليونان أو إيطاليا ، وإنما بدأت من إسبانيا (الأندلس) أي من النموذج الإسلامي ، ومن المؤسف أنها لم تأخذ من هذا النموذج إلا العلم التجريبي وأغفلت القيم الإلهية التي توجه الحضارة إلى خير البشرية .

ونحن حين نؤيد كلام جارودي نرتكز على حقائق لا تقبل الجدل ، لنستدل منها على خط فكري هادف ؛ فإن الإسلام خاتمة الأديان السماوية ، ولئن كانت اليهودية تتميز بالروح القبلية ، التي تؤثر بني إسرائيل من دون خلق الله جميعاً ، وتطلق عليهم مصطلح « شعب الله المختار » ، ولئن آثرت المسيحية رفض هذه العصبية ونادت بالحب والتسامح ؛ فقد جاء الإسلام بمذهب الإنسانية الخالد ، مذهب الإخاء والمساواة ، ذلك ما ينطق به القرآن الكريم في وضوح لا لبس فيه كما ورد في سورة النساء ، الآية ١ ، قال جل شأنه **﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ﴾** ، وذلك ليرجع بها إلى حقيقتها الأصيلة في الاجتماع والتوطن على الأرض ، وإيجاد الوسيلة التي تظهر المواهب والكفايات ، وإتاحة الفرصة لبني البشر أن يعملوا في جو من الاستقرار يهيئ الحياة لسعادة البشر على الأرض .

والحق أننا حين ننظر إلى أي دين سماوي ، نجده يدعو إلى عبادة الله على أي صورة من الصور ، ونجده يدعو إلى الفضائل وإلى الوسائل التي يراها ناجعة في تطوير البشرية نحو المثل العليا ، ولكن كل دين يختلف عن غيره لا في حقيقة المظهر العقائدي وحده ــ إن صح هذا التعبير ــ ، وإنما في نظرته نحو حقيقة المجتمع ، فقد أسرفت اليهودية وتعصبت ، ورأت ألا يستحق النسبة إلى الله إلا بنو إسرائيل ، فهم شعب الله المختار ، لأن مزايا البشرية تجمعت فيهم ، فأهدرت غيرهم من بني الإنسان ، وجاءت المسيحية على إثرها تصحح هذا الطعن في البشرية ، فاتخذت الحب وسيلة للقضاء على التعصب ، وجاء الإسلام فحارب العصبية القبلية في كل صورها ، وواجه مشكلات العصر ، وكانت طريقته في معالجتها طريقة عقلية منطقية . فنادى بالإخاء والمساواة ، وأهدر القبلية الطبقية جميعاً كما جاء في قوله تعالى في سورة النساء ، الآية ١ ، **﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾** ، وقال جل شأنه في سورة الحجرات ، الآية ١٣ ، **﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾** .

وعلى ذلك ، فالناس جميعاً في نظر الإسلام سواء ، لا يتفاوتون إلا بدرجة تقوى الله ، ومن ثم فالقربى لله تعالى ليست لبني إسرائيل كما ترى اليهودية ، وليست لمن ينزل عن ماله ويؤثر الفقر على الغنى كما ترى المسيحية (إنجيل متى ١٩ : ٢٠ ــ ٢٢)[٢] ، ذلك لأن النفس الإنسانية ــ وإن سعت إلى المثل الأعلى ــ فإنها لا تستطيع أن تنزل عما تراه حقاً يبيحه العقل ومنطق الحياة ؛ أما الإسلام فنظر إلى الحياة نظرة مثلى ، دعاهم إلى الإخاء والمساواة ، ولهذا سهل انتشاره بين القبائل البدائية في إفريقيا . وقال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : « الناس متساوون كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » ، وهذه النظرة نجدها واضحة المعالم قوية التعبير في كل تعاليم الإسلام .

ونعود مرة أخرى إلى حديث جارودي حيث يقول : « إن الإسلام دين ودولة ، وليس للقدرة



الهائلة الغاشمة إذن كما يدعي الغرب هي التي ساعدت على الانتشار الثقافي والفكري السريع للإسلام ؛ وإنما لقدرة المعطيات وما تبعها في مرحلة لاحقة ، من انفتاحها على ثقافات أخرى متعددة » . كانت تلك هي عظمة الإسلام وقدرته وسر انتشاره المذهل في القرنين السابع وبداية القرن الثامن للميلاد ، ففي أقل من قرن واحد ، كانت الملايين من أبناء العالم شرقاً وغرباً قد اعتنقت الإسلام ؛ فهو لم ينتشر بقوة السلاح كما يردد المستشرقون الغربيون . لقد كان ثورة ثقافية أطاحت بمعتقدات الجاهلية لتحل محلها معتقدات وقيم جديدة تنبع من الإيمان .

لقد دخل هذا الدين عقول البشر وقلوبهم ، فانتشر بسرعة مذهلة ، وإلا كيف يمكن لبضعة آلاف من الجنود المسلمين بإيمانهم أن يحققوا كل هذه الانتصارات الجبارة على أقوى الجيوش المجهزة .

ويستطرد جارودي فيقول إن قصة حياته مرت بثلاث مراحل متباينة ، فقد نشأ في أسرة مسيحية فقيرة تنتمي إلى الطبقة العاملة ، وفي فترة الأزمة الاقتصادية عام ١٩٣٣م ، انضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي لأنه أقوى الأحزاب المعارضة للنازية .





وكانت بداية الصحوة في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي ، حيث اكتشف الجرائم التي ارتكبها ستالين في حق الشعب ، وبدأ يعيد النظر في كثير من المسلمات التي تلقاها . وبعد ذلك كان التدخل السوفييتي في تشيكوسلوفاكيا الذي عارضه جارودي بشدة في اجتماعات الحزب . وبعد ذلك زاد اقتناعه بأن الماركسية لن تحل مشكلة العالم ، وفي أعقاب ذلك صدر قرار بفصله من الحزب الشيوعي عام ١٩٧٠م ، **وقال إنه لم يجد في نهاية المطاف غير اعتناق الإسلام لينقذه من الخوف والضياع والحيرة .**

ونحن إذا نظرنا نظرة فاحصة إلى ما جاء في قول جارودي عن قدرة الإسلام ومعطياته ، فإننا نرى أن الإسلام كدين ــ نعني من حيث الإيمان بوحدانية الله والشرائع الإنسانية التي لا تختلف من عصر لعصر ــ لم يأت فيها بجديد ، وإنما جاء يخلصها مما ران عليها من أوزار لصقها الإنسان ، وقال تعالى في سورة الشورى ، الآية ١٣ ، **﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ .**

ويذهب الإسلام إلى أن الأديان السابقة أبلغت للأمم على نحو ما جاء به الإسلام ، ولكن الناس هم الذين غيّروا فيها وبدلوا متأثرين بنزعاتهم التي قضت بها تقاليدهم ، قال جل شأنه في سورة آل عمران ، الآية ١٩ ، **﴿ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴾ .**

ويرى الإسلام أن اليهودية لم تبق كما جاءت على لسان موسى عليه السلام ، وكذلك يرى أن المسيحية لم تمض على الوضع الذي نادى به عيسى عليه السلام ، ويشارك الإسلام في ذلك بعض الباحثين المحدثين أمثال روبرتسون وبرسي جاردنر وغيرهم .

والمسلم حين يؤمن بهذا ، إنما يتبع قول الله تعالى في سورة البقرة ، الآية ٢٨٥ ، **﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ .**

ومن هذا يتضح لنا أنه إذا طبقت تعاليم الإسلام ، فإنه يعطينا إنساناً تخطى حاجاته وتجاوز رغباته ، ثم بدأ يعلو على ذاته نفسها ، وذلك من خلال تفهمه للحضارة الإسلامية ، فالعلم في الإسلام لا ينفصل عن الحكمة ولا عن الإيمان ولا عن الهدف الخيِّر . والقاسم المشترك الذي يجمع كل المجتمع الإسلامي هو الإيمان بالله والرسل والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله .

المراجع

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ العهد القديم والعهد الجديد ، (الكتاب المقدس) .

٣ ــ د . محمد حسين هيكل : حياة محمد ، دار المعارف ، الطبعة العاشرة ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

٤ ــ أحمد أمين : فجر الإسلام ، مكتبة نهضة مصر ، الطبعة العاشرة ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

٥ ــ عباس محمود العقاد : الله كتاب في نشأة العقيدة الإلهية ، دار المعارف ، الطبعة السابعة ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

٦ ــ جريدة الأهرام ، في ١٩٨٣/٣/٢٩م ، حديث مع رجاء جارودي .

الهوامش

(١) ألف البروفيسور روجيه جارودي ، حوالي عشرين كتاباً في مدى أربعين عاماً ، اختتمها بكتبه الأخيرة عن الحضارة الإسلامية ، وأهمها كتابه (من أجل حوار بين الحضارات) ، والكتاب الثاني بعنوان (نداء إلى الأحياء) . ولكن أهم كتبه السياسية بعنوان (ملف إسرائيل . . . أحلام الصهيونية وأضاليلها) ، وهو تفنيد للصهيونية سياسياً ودينياً وفلسفياً ولاهوتياً وتاريخياً .

(٢) « . . . . قال له الشاب هذه كلها حفظتها منذ حداثتي ، لماذا يعوزني بعد ؟ ، قال له يسوع إن أردت أن تكون كاملاً ، فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء ، وتعال اتبعني ، فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة » .

لقاء



عبد الكريم الخطيب

أجراه: محمد متولي

المسيرة الإسلامية: الحاضر والمستقبل



يقول المفكر الفرنسي المسلم (رجاء جارودي) .. إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يكسب أرضاً جديدة كل يوم .. فالمد الإسلامي مستمر في كل مكان.

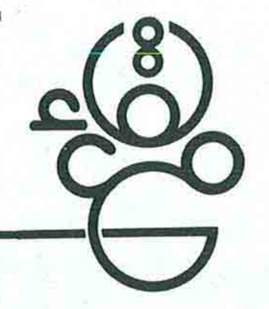
كما جاء في أحدث موسوعة دينية في العالم أصدرتها جامعة أكسفورد أنه في عام ١٩٠٠م، كان المسلمون يشكلون ١٢,٤٪ من سكان العالم .. وفي عام ١٩٨٠م، أصبح المسلمون يشكلون ١٦,٥٪ .. ومن المتوقع أن تصل نسبة المسلمين إلى ١٩,٢٪ في عام ٢٠٠٠م.

هذا كله يوضح لنا مدى اتساع رقعة العالم الإسلامي على خريطة العالم وازدياد تعداد المسلمين .. ولضمان استمرار هذا المد يجب القضاء على كل ما من شأنه عرقلة أو إضعاف المسيرة الإسلامية .. ومن المنطقي أن نبدأ بالنظر في مشكلاتنا القديمة الجديدة التي بين أيدينا لنجد لها الحلول الشرعية.

بهذا الاعتقاد ذهبت إلى المفكر الإسلامي الأستاذ عبد الكريم الخطيب لأطرح عليه العديد من القضايا التي تشغل الرأي العام في العالم الإسلامي اليوم لمعرفة اجتهاداته فيها على قدر ما يتسع المقام.



عبد الكريم الخطيب .. في سطور



** سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم غذاء روحي ، وتأسياً بمواقفه الخالدة وصبره على الشدائد في أداء الرسالة . **

تفسير التفسير القرآني

●● ماذا يشغلكم حالياً في مجال الكتابة والتأليف ؟

● يشغلني الآن إعادة كتابة التفسير القرآني للقرآن الكريم تحت عنوان «**تفسير التفسير القرآني للقرآن**» .

●● نعلم أن لكم ١٦ مجلداً تحت عنوان (التفسير القرآني للقرآن) فما المنهج الذي التزمتم به في تفسيركم للقرآن الكريم .. وماذا ينتظر أن تقدمونه في كتابكم الجديد (تفسير التفسير القرآني للقرآن) من إضافات جديدة ؟

● اختياري لهذا الاسم (**التفسير القرآني للقرآن**) الذي جعلته عنواناً للتفسير هو المنهج الذي فسرت به القرآن الكريم ، وهو التزام المعاني للآيات القرآنية بعيداً عن كل المرويات الإسرائيلية والأخبار الضعيفة التي تضاف إلى التفسير وتشوّه وجه الحقيقة فيه .

أما (**تفسير التفسير**) فهو إضافات جديدة ظهرت لي وأنا أتلو آيات الله ، إذ كنت أتلو الآية في كتاب الله فيبدو لي أني لم أتلها من قبل لما فتح الله به عليَّ من تفسيرات جديدة لها .

فالقرآن الكريم لا ينتهي المفسرون إلى يوم القيامة من تفسيره . فقد فسر في كل عصر بآلاف من كتب التفسير وهو لا يزال بكراً يعطي كل وارد عليه ما يستطيع حمله من عطايا الله الكريم التي لا تنتهي كما يقول تعالى في (سورة لقمان ، الآية ٢٧) ﴿ **ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ صدق الله العظيم .

ترجمة القرآن الكريم

●● ما رأي فضيلتكم في مسألة ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات غير العربية .. وكيف نحل مشكلة المسلمين غير الناطقين بالعربية .. وما سر قوة اللغة العربية في تقديركم ؟

● القرآن الكريم لا يترجم بنصه وإنما يمكن ترجمة معانيه وما فيه من دلائل على توحيد الله وعبادات وأحكام في المعاملات ونظام الأسرة وغير ذلك مما يعد دستوراً كاملاً للحياة الإنسانية .

أما ترجمة القرآن الكريم بنصه فهذا غير ممكن لأن القرآن كلام الله باللغة العربية ونقله إلى غير العربية تبديل لكلمات الله .

والحل الصحيح والمفيد لهذه المشكلة هو أن يتعلّم المسلمون في الدول غير العربية .. اللغة العربية . وهذا ليس بالصعب خاصة ونحن في عصر تقدمت فيه وسائل الإيضاح والتوصيل .

وقد يسأل سائل : **من الذي يقوم بهذه المهمة الجليلة ؟** .

فأجيبه : **هذه المهمة تقع على كاهل المراكز العربية والإسلامية في العالم كله** . لذلك أرجو من الدول العربية والإسلامية زيادة عدد هذه المراكز والعمل على انتشارها في كل مكان مع دعمها بشتى الوسائل المادية المتاحة .. **وليعلم هؤلاء جميعاً أن اللغة العربية لغة عالمية شرفها الله بأن جعلها كلامه الذي نزل به القرآن الكريم ولم يتخذ لغة غيرها ، فعلينا أن نتمسك بها ونحافظ عليها فمن فارقته اللغة العربية فقد السبيل الواضح إلى كتاب الله (القرآن الكريم) وإلى دين الله (الإسلام)** .

سير النبي والخلفاء

●● تناول العديد من الكتّاب العرب في كتاباتهم حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء ، منهم (العقّاد) الذي ألّف (عبقرية محمد) والعديد من العبقريات الإسلامية .. و (طه حسين) الذي ألّف (على هامش السيرة) .. في المقابل نجد مؤلفاتكم : (النبي



محمد) .. (عمر بن الخطاب) (علي بن أبي طالب) .. فبماذا تختلف هذه المؤلفات عن غيرها .. وما المنهج الذي توسلتم به للوصول للهدف الذي من أجله ألفتم هذه الكتب .. وماذا وجدتم في حياة هؤلاء العظماء وبمن بدأت الكتابة عنه ؟

● قبل أن أبدأ الكتابة عن (**عمر بن الخطاب**) كانت تستولي عليَّ فكرة الكتابة في **سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)**، ولما كان هذا المقام العظيم يحتاج إلى وقفة متأنية حتى أدخل على سيرة الرسول الكريم رأيت أن أستأذن من كان أشبه بالحرس على بابه وهو (**عمر بن الخطاب**) الذي كان دائماً يشهر سيفه على من لا يأخذ مكان الأدب الرفيع بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فرأيت أن أستأذن (**عمر بن الخطاب**) رضي الله عنه بكتابة سيرته حتى يكون مدخلاً لي إلى الحديث عن **سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)** .. وهكذا فإني بعد أن كتبت كتاب (**عمر بن الخطاب**) الذي أسميته ــ **الوثيقة الخالدة للدين الخالد ــ (دراسة كاشفة وعبرة بالغة)** .. وجدت الطريق ممهداً لي للكتابة عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) فكتبت السيرة النبوية تحت عنوان (**النبي محمد**) .. ولقد وجدت في (**عمر بن الخطاب**) خلافة رائدة في سياسة الحكم قامت على العدل المطلق وحمل المسؤولية الكاملة عن الرعية في مشارق الأرض ومغاربها .. حتى إنه ليقول: (**والله لو عثرت بغل في شط العراق لخشيت أن يحاسبني الله عليها**)، فعمر رضي الله عنه، عرف واجب الحاكم العادل الذي حمل أمانة الله للحكم بين عباد الله.

أما **سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)** فهي بالنسبة لي غذاء لروحي ومعايشة وتأسياً بسيرته العطرة ومواقفه الخالدة وصبره على الشدائد في أداء الرسالة التي بلغها عن ربه إلى الإنسانية، كما يقول له سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ (سورة الأنبياء، الآية ١٠٧).

هذه الرسالة لم يحملها رسول من قبله فهو مكلف بدعوة الناس جميعاً إلى دين الله ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** ﴾ (سورة سبأ، الآية ٢٨) .. لهذا كان يشق كثيراً على الرسول (صلى الله عليه وسلم) عناد قومه حتى ليقول له ربه ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ (سورة القصص، الآية ٥٦). ﴿ **قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** ﴾ (سورة الأنعام، الآية ٣٣).

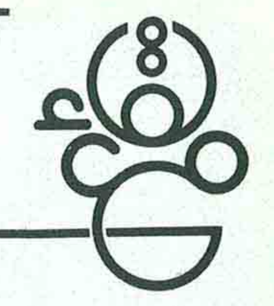
ولقد استمد الرسول (صلى الله عليه وسلم) قوة من ربه حمل بها هذا العبء منتظراً في صبر وجلد نصر ربه وتأييده ودخول الناس في دين الله أفواجاً كما وعده ربه بذلك في قوله سبحانه وتعالى ﴿ **إذا جاء نصر والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبّح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا** ﴾ (سورة النصر، الآيات ١، ٢، ٣). وتحقق وعد الله لرسوله وشهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) الفتح والنصر يوم فتح مكة المكرمة.

من مدرسة النبوة مدرسة الصبر والإيمان والحب في الإسلام انصرفت إلى الكتابة عن (**علي**) ــ كرّم الله وجهه ــ إذ رأيته في بيت رسول الله تلميذاً في سن الطفولة والشباب يتلقى من أخلاقه (صلى الله عليه وسلم) ممدداً واسعاً كان به خزانة علم وأدب وكمال.

ولهذا اختاره الرسول (صلى الله عليه وسلم) لينام على سريره ليلة الهجرة، وليؤد الأمانات التي عند الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأهل مكة المكرمة .. ثم زوّجه من ابنته (**فاطمة الزهراء**) رضي الله عنها، التي كان منها (**الحسن والحسين**) رضي الله عنهما .. وليس من السهل استعراض هذه الكتب خاصة إذا كانت عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه في هذه العجالة.

الإسلام .. والشورى

●● قام الإسلام على مبدأ الشورى تنفيذاً لأمر الله ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ إلا أنه رغم ذلك نرى من مظاهر التفرق والتحزب الكثير بداية من الردة، ومروراً بالفتنة، إلى ما نحن عليه الآن من خلافات





وصراعات .. فما رأي فضيلتكم في ذلك ؟

● إن هذا السؤال على درجة كبيرة من الأهمية .. وأستطيع أن أقول لك باختصار .. إن الصراعات عامة مرجعها إلى الطبيعة البشرية الطامعة والطامحة إلى الحكم والسلطة في كل زمان ومكان .. ومن هنا ينشأ القتال والتناحر .. وإذا كان المسلمون الأولون قد استمسكوا بحبل الله ومشاهد الرسول حاضرة في عقولهم وقلوبهم حتى كانوا قدوة للإنسانية في أعلى مستوياتها فإن ذلك لم يمنع من أن تقوم الفتن ويُقْتَل ثلاثة من الخلفاء الراشدين .

ولقد عبّر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حديث له أشار فيه إلى قيام الصراع المذهبي وتعدد الفرق بقوله (صلى الله عليه وسلم) **(اختلفت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، واختلفت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وتختلف أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة .. قالوا : من هي يا رسول الله ، قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابي)** صدق رسول الله .

علاج المشكلات والأزمات

●● ما زالت أمتنا الإسلامية تتعرض للعديد من الإجهاضات من الداخل والخارج لعرقلة مسيرة تقدمها نحو مستقبل أفضل .. فهل من أمل في علاج هذه المشكلات وإصلاح ما فسد من أمور ؟

● إن المشكلات والأزمات التي تتعرض لها أمتنا الإسلامية هي من قبيل الاختبارات والابتلاءات . وعلينا دائماً أن نتبع ونطبق ما جاء في كتاب الله للنجاة من مثل هذه الأزمات ولتحقيق النجاح في مثل هذه الاختبارات فمثلاً في الحرب بين العراق وإيران علينا أن نطبق ما أمرنا الله به في سورة الحجرات ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** ﴾ (سورة الحجرات ، الآية ٩) . وهكذا في كل أمورنا ، علينا اتباع القرآن الكريم والسنّة النبوية ، فهذا هو العلاج .

** علينا دائماً أن نتبع ونطبق ما جاء في كتاب الله للنجاة من المشكلات والأزمات التي تتعرض لها أمتنا الإسلامية في الوقت الحاضر . **

وعموماً أقول : يأتي على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة العظيمة أمور دينها فلا يخلو زمان حتى في أيام ضعفنا هذه من رجال يقومون بالدعوة إلى الله وإصلاح ما فسد في حياتنا . **والأمل موصول بأن هذه الأمة قائمة إلى يوم الدين مؤيدة بنصر الله .. وما تشهده الآن من ضعف فهو عرض زائل سوف يزول إن شاء الله قريباً لتبق رسالة الإسلام قائمة على هذه الدنيا إلى أن تقوم الساعة .**

البنوك الإسلامية

●● لفضيلتكم مجهودات طيبة وآراء قيّمة في أمور الاقتصاد الإسلامي .. نود أن نعرف رأيكم في البنوك الإسلامية .. وهل حققت دورها ؟

● **إنشاء البنوك الإسلامية في حد ذاته يعتبر خطوة جريئة لكونها تحمل عنواناً كريماً يذكر المسلمين بدينهم وبمكانتهم الاقتصادية .. ولكن الذي يخشى منه أن لا تحقق هذه البنوك ما دعا إليه الإسلام من تكافل اجتماعي وحماية أموال المسلمين والبعد عن الشبهات .**

وحتى تكون هذه البنوك إسلامية بحق يجب عليها أن تستثمر أموال المسلمين في تنمية المجتمعات الإسلامية في العالم .. وذلك بإنشاء المصانع ، وإقامة المشروعات ، وإصلاح الأراضي .. وعمل كل ما من شأنه سد حاجة المسلمين ورفع مستواهم الاقتصادي والاجتماعي .

وأرجو أن يزيد عدد هذه البنوك الإسلامية مع ضرورة تصحيح أوضاعها بحيث تصل في النهاية إلى صيغة إسلامية كاملة تطبقها في جميع معاملاتها وخدماتها التي تؤديها من أجل خدمة المسلمين كافة .

لماذا تتغير الدلالة؟

بقلم: د. صبري محمد حسن

تغيُّر الدلالة قد يحدث ردود فعل قوية لدى المتشددين في استعمال اللغة وربما أدى ذلك أيضاً إلى إثارة ثورتهم فيكتبون للصحف كي يدينوا هذا الاستعمال أو ذاك لكلمة بعينها ، ولكن ذلك لا يغيِّر من الأمر شيئاً في معظم الأحيان ، إذ إن المعنى قد يتغيَّر لتعدده ، أو لتحول في بؤرة الاهتمام أو نتيجة لتأثير الشكل ، ولتوسيع المعنى أو تضييقه ، أو لتحسين العبارة المستعملة ، واستعمال اللغة المجازية أو فقدان الحدة . وتغيُّرات المعنى غالباً ما تكون بطيئة ويصعب استشعارها ، وإن لم تكن بطيئة عضوية في معظم الأحيان .

اللغة والعالم المادي

معنى بعض الكلمات يتغيَّر من حقبة إلى حقبة أخرى : ففي الإنجليزية القديمة مثلاً كلمة **aecer** كانت تعني « **الحقل** » ولا تعطي معنى « **فدان** » الذي لها الآن ، وكذلك أيضاً كلمة **whole** كانت في الإنجليزية القديمة تدل على معنى « **الجودة** » و « **السلامة** » فضلاً عن أن **كلمة lore** كانت تدل على « **التعلّم** » ، كما أن **كلمة knave** « وغد » كانت تدل على « صبي » .

تناول المعنى من هذه الزاوية يركز على العلاقة بين اللغة والعالم المادي الواقعي ، أو بمعنى آخر يتناول العلاقة بين نظام الإشارات والأشياء التي تدل أو ترمز إليها هذه الإشارات نفسها ، ومن هنا يصح أن نطلق على مثل هذا المعنى مصطلح « **المعنى الإشاري** » ، الذي يقول له الإنجليز : Referential Meaning .

مثل هذا المعنى بوسعنا اكتشافه لو أننا لاحظنا طريقة استخدام اللغة في المواقف الحقيقية الفعلية ، وهذه هي الطريقة التي يكتشف الأطفال بها معاني الأفعال والجمل عندما يتكلمون لغتهم الأم . ويجب ألا يغيب عنا أن الإطار الشفهي وحده يكفي لاستخلاص معنى كلمة من الكلمات . لو أننا أردنا ، على سبيل المثال ، أن نعرف معنى كلمة من كلمات اللغة الإنجليزية في القرن السادس عشر الميلادي ، ما علينا إلا أن نختار مجموعة من السياقات التي وردت ضمنها هذه الكلمة في تلك الفترة . هذه الطريقة تساعدنا على اكتشاف المعنى والوقوف عليه لأننا نعرف معاني الكلمات الأخرى التي ربما صادفناها في سياقات ضمن مواقف حقيقية فضلاً عن أن هذه السياقات ، بحد ذاتها ، تكون بمثابة مواقف حقيقية شديدة الوضوح .

خُذ مثلاً التعبير العربي « **أهلا بالجميلة** » عندما يستعمله رجل دخل بفرسه سباقاً ففازت به ، وعندما يستعمل رجل آخر نفس التعبير مع زوجته التي غابت عن منزلها ، دون إذن منه لتعود إليه مع طلوع الفجر مثلاً . التعبير الأول يدل على التدليل والثناء ، والثاني يدل على التوبيخ والتأنيب . والفارق بين الدلالتين مرده إلى الموقف الذي جرى فيه التعبير .

ولكننا عندما نتعامل مع تسجيلات كبيرة لأناس يتكلمون ، على سبيل المثال ، بلغة غير مألوفة لنا ولا أية إشارة أو إيضاح للمواقف التي جرت هذه السياقات خلالها ، يصعب علينا اكتشاف معنى كلمة واحدة من أي سياق من هذه السياقات في مثل هذه اللغة . بل إننا يصعب علينا أن نمضي قدماً في تحليل بنية مثل هذه اللغة نظراً لأننا مع غياب الموقف يصعب تحديد الأشياء التي تقوم بعمل الإشارات في مثل هذه اللغة ، إضافة أيضاً إلى صعوبة تحديد أي الملامح يكون تقابلياً وأيها لا يكون .

والمعنى له دلالة أخرى عند علماء اللغة يمكن أن نطلق عليه اسم « **المعنى الرسمي** » الذي يقول له الإنجليز : Formal Meaning . هذا المعنى يتناول مكان الكلمة (أو أي مادة لغوية) في إطار نظام اللغة ذاتها ، فضلاً عن أنه يتمثل في قدرة المادة اللغوية على حمل المعلومات ، معتمداً في ذلك على المواد اللغوية الأخرى التي يمكن أن يكون بينها وبين بعضها البعض الآخر نوع من التقابل داخل النظام نفسه . وعلى سبيل المثال ، **نظام إشارة المرور الضوئية** ، له ثلاثة أوضاع الأخضر وحده ، ثم الأصفر ثم الأحمر . ومقدار المعلومات الذي يحمله كل وضع من هذه الأوضاع الثلاثة ، يعتمد اعتماداً تاماً على حقيقة أن كل وضع منها يعتبر واحداً من الكل الذي يضمها جميعها . ونحن إذا ما أضفنا ، مثلاً ، لوناً رابعاً وليكن اللون الأرجواني نزيد بذلك مقدار المعلومات التي تحملها كل إشارة من هذه الإشارات ونغير من معناها . و « **المعنى الرسمي** » **مختلف ومستقل تماماً عن ما نسميه بالمعنى الإشاري الذي يرتبط ارتباطاً تاماً بالشيء الذي يدل عليه .**

اللغة أيضاً فيها الكثير من العناصر اللغوية التي تتقابل مع بعضها البعض الآخر ، ومن ثم يكون لها معنى رسمي أيضاً . من هذه المجموعات ، مثلاً ، في اللغات العربية ، والإنجليزية والفرنسية أيضاً **مجموعة الضمائر الشخصية** التي لو قدّر لنا أن نستغني عن ضمير منها أو نضيف إليها ضميراً جديداً لحتّم ذلك علينا تغيير المعنى لكل مكوّن من مكونات هذه المجموعة .

ويركز اللغويون في القرن العشرين الميلادي ، على المعنى الرسمي متجاهلين المعنى الإشاري ، لأن لديهم من الحجج والأدلة ما يقطع بأنه لا يدخل في نطاق اهتماماتهم ، وترى بعض الدوائر أن مصطلح المعنى أصبح من الكلمات التي لاكتها الألسن إلى حد يحتّم على علم اللغة في القرن العشرين الميلادي ، أن يخلّص نفسه وينقيها من المعايير والتعاريف التي وفدت عليه

لماذا تتغير الدلالة؟

من فروع المعرفة والأنظمة الأخرى، مثل **المنطق وعلم النفس**، كما تهيب هذه الأسباب التاريخية الكثيرة بعلم اللغة أن يؤكد الحاجة إلى معايير لغوية خالصة لاستعمالها في الدراسات والتحليلات اللغوية. وقد أثمر هذا الاتجاه بل ودنت قطوفه تماماً.

ويرى البعض في الهروب من مجال المعنى الإشاري إلى المجال اللغوي الصرف ضرباً من الوهم والخيال. ويدللون على ذلك بأن استحالة الوقوف على بنية لغة غير مألوفة من خلال تسجيلات لهذه اللغة، في غياب المعنى الإشاري، يجعل من المستحيل أيضاً اكتشاف المعنى الرسمي لهذه اللغة نفسها.

تغيّر المدلول

تغيّر المدلول، أي ما تشير إليه الكلمة، واحد من الأسباب التي تؤدي إلى تغيّر دلالة الكلمة نفسها. من ذلك مثلاً الكلمة الدالة على «**السفينة**» في اللغة الإنجليزية التي يقولون لها: ship. هذه الكلمة استخدمت قرابة ألف عام أو يزيد للدلالة على «أي مركبة تسافر في البحر»، ولكن نوعية الماكينة المستخدمة لهذا الغرض تغيّرت تغيراً هائلاً إلى حد أن الكلمة التي استخدمت مع قوارب **القراصنة الإسكندنافيين** الطويلة تستعمل الآن مع عابرات المحيطات بل ومع حاملات الطائرات أيضاً، ومن هنا يجوز لنا القول إن معناها قد تغيّر بالفعل.

نفس الشيء ينطبق أيضاً على إفرازات الحضارة المادية مثل الكلمات الدالة على «**المنزل**» house، و«**المصباح**» lamp، و«**السلاح**» weapon. كما ينسحب أيضاً على أسماء المؤسسات مثل «**البرلمان**» parliament، والكلمة الدالة على «**القانون**» law نظراً لأن هذه الكلمات قد تغيّر أيضاً. ويصدق هذا أيضاً على الكلمات التي تتضمن أحكاماً جمالية (إستاطيقية) أو أخلاقية مثل: «خير» و«فضائلي» و«متواضع» و«جميل» beautiful، هذه الكلمات بمعناها الحالي ليس لها المعاني التي كانت لها عام (١٦٠٠م)، نظراً لتغيّر المعايير الجمالية (الإستاطيقية) والأخلاقية لدى الإنجليز: أفكارهم الحالية عن مكونات السلوك الفاضل، وأفكارهم عن المرأة المتواضعة أو اللوحة الجميلة لا تتفق مع أفكار **شكسبير** ولا معاصريه.

تغيّر المعنى وتعدده

التغيّر الدلالي لا يكون منتظماً أو متدرجاً لأنه لا يخضع لمثل هذه المعالجة ولأننا من ناحية أخرى في الدراسة الدلالية لا تتوفر لنا القوانين ولا الاتجاهات المنتظمة كما هو الحال في **علمي الفنولوجيا**[1] **والقواعد النحوية**، ومع ذلك قد نجد في هذه التغيّرات شيئاً من النظام والتسلسل بصورة أو بأخرى: بوسعنا تمييز وتبيّن بعض التغيّرات المتباينة فضلاً عن استجلاء الأسباب التي تؤدي إلى مثل هذه التغيّرات.

والكلمة بعد أن تصبح لها دلالة جديدة تفقد دلالتها القديمة ككلمة wan في اللغة الإنجليزية القديمة كانت في البداية تدل على «مظلم» بل إنها كانت تدل حتى على «أسود» عند استعمالها في وصف «الليل» أو «القداف»، الذي هو غراب أسود. وفي اللغة الإنجليزية الوسيطة أصبحت هذه الكلمة تدل على «الشحوب» pale. هذا التغيّر الدلالي، ربما يكون قد طرأ، نظراً لاستخدام هذه الكلمة في وصف وجوه البشر التي غير المرض لونها من ناحية، أو لاستخدام هذه الكلمة في وصف لون معدن الرصاص من ناحية أخرى. والمعنى الحرفي «أظلمه المرض» الذي هو بلغة القوم darkened by disease الذي فيه العنصر الأول مأخوذاً من الظلام أصبح يعني «مزرق» أو «شاحب» التي هي بلغة القوم livid، وتدل على «لون وجه المريض»، ومن هنا جاءت الكلمة pale الدالة على «الشحوب». والكلمات التي لها مثل هاتين الدلالتين المتناقضتين كأن يكون للكلمة دلالة «الظلمة» dark و«الشحوب» pale في آن واحد، تموت إحدى دلالتيها تلك تحاشياً ومنعاً للخلط بينها وتلافياً للأخطار التي تترتب على ذلك، والدليل على سقوط واختفاء إحدى الدلالتين هو أن المعنى الدال على «الظلمة» لم يسجل إلا في القرن السادس عشر الميلادي.

مثل هذا التناقض الصارخ في الدلالة لا يوجد بصورة مضطردة بين الدلالة القديمة والدلالة الحديثة للكلمة، فضلاً عن أن كل دلالة من بين هذه الدلالات توجد في سياق واحد متميّز، الأمر الذي يصعب معه الخلط بين الدلالات المختلفة. وقد تبقى الدلالتان جنباً إلى جنب في مثل هذه الحالة، بل وتتفرعان أيضاً لتعطيان المزيد من الدلالات الجديدة.

من ذلك، مثلاً، الكلمة الإنجليزية horn الدالة على «قرن». هذه الكلمة في بداية عهدها كانت تدل على «واحد من بروزين» على رأس الثور، والأغنام والماعز إلخ، ثم وسّعت أيضاً في اللغة الإنجليزية القديمة لتدل على «قرن يستخدم كآلة موسيقية»، ثم صنعت بعد ذلك آلات موسيقية مشابهة لهذه الآلة من مواد أخرى مثل النحاس الأصفر، ومع ذلك بقيت محتفظة بنفس الدلالة الأصلية لكلمة «قرن» horn. ثم استخدمت الكلمة بعد ذلك للدلالة أيضاً على آلات أخرى مثل تلك التي تستخدم في السيارات لإحداث ضوضاء التنبيه التي تصدر عنها. وللحقيقة فإن تعايش وجود مثل هذه الدلالات لا يترتب عليه أي خلط، إذ إن كل منها يرد في سياق متميّز تماماً، كأن نقول لمن يلعب هذه الآلة: «يلعب القرن في فرقة كذا» التي هي بلغة القوم: He plays the horn. أو أن يقول الإنجليز to sound the horn لمن «يطلق آلة التنبيه في السيارة» أو حتى عندما يقولون: to take the bull by horns لمن «يمسك الثور من قرنيه».

وبرغم كل ذلك تبقى للكلمة دلالات كثيرة أخرى مثل دلالتها على «آلة النفخ» أو «الشخص الذي يلعب مثل هذه الآلة»، بل إن دلالة الكلمة على البروز الموجود على رؤوس الحيوانات والأبقار تعدت ذلك للدلالة أيضاً على البروزات الموجودة على رؤوس الحشرات، والقواقع، كما أنها تدل أيضاً على القنزعة التي توجد على رأس بعض الطيور على شكل خصلة من الريش. استعمال كلمة «القرن» horn للدلالة على قرني القوقع هو الذي أوجد تعبير «اسحب قرنيك إلى الداخل»، الذي هو بلغة القوم: draw in your horns الذي يدل على حتمية التزام المرء لحدوده وعدم تجاوزها. هذه الكلمة تستخدم أيضاً للدلالة على نفس المادة المصنوع منها القرن كأن تقول: «مقبض مصنوع من قرن» التي يقول لها الإنجليز: A handle made of horn. وهكذا نرى أن الدلالات الجديدة التي اكتسبتها هذه الكلمة نبتت من الدلالة الأصلية للكلمة ذاتها.

تعدد دلالات الكلمة الواحدة، وتعايشها مع بعضها البعض الآخر أمر شائع تماماً، وبعض الكلمات تتطور وتكون عائلة كاملة من الدلالات، بل إن كل دلالة من هذه الدلالات الجديدة قد تكون بل وتصبح نقطة

تبدأ عندها دلالات أخرى جديدة . وقد تدهش للدلالات المختلفة لكلمات مثل natural « طبيعي » ، و good « حسن » ، و loose « سائب » ، و free « حر » ، و real « حقيقي » ، إذا نحن كشفنا عن معاني هذه الكلمات في معجم من المعاجم الجيدة ، مثل **معجم أكسفورد** الذي يسجل لهذه الكلمات دلالات موضحاً أمامها تاريخ هذه الدلالات ، وبذلك نكوّن الفكرة العامة التي نشأت لها هذه الدلالات المختلفة .

يحدث في بعض الأحيان أن تصبح للكلمة دلالات تبتعد كثيراً عن بعضها البعض الآخر الأمر الذي يحار معه من يستعمل المعجم ويصعب معه أيضاً العثور على الكلمة الفاعلة في مثل هذا المجال . من هذه الكلمات على سبيل المثال الكلمة الإنجليزية Collation الدالة حديثاً على « التجميع والمقارنة (بخاصة المخطوطات أو الطبعات المختلفة) » . هذه الكلمة تدل أيضاً على « وجبة خفيفة » . كيف أصبح لهذه الكلمة هاتان الدلالتان الغريبتان ؟ أول هاتين الدلالتين أقرب ما يكون إلى الكلمة اللاتينية Collatio التي تعود إليها الكلمة الإنجليزية ، والتي كانت بدورها تدل على « التجميع » أيضاً ، ثم أصبحت الكلمة اللاتينية Collatio في مرحلة لاحقة تدل أيضاً على « مؤتمر أو مناقشة » ، وبذلك تكون هذه أيضاً واحدة من الدلالات للكلمة الإنجليزية Collation برغم أنها لم تحيي حديثاً . وكان من عادة **الرهبان والراهبات في عهد « بنديكت »** Benedict أن يستمعوا إلى قراءة من كتاب باللاتينية عن حياة الآباء وعن **مؤتمرات ومناقشات « كاسيان »** Cassian التي أطلقوا عليها بلغة القوم لفظ Collationes ، ومن هنا التصقت الكلمة الإنجليزية Collation ، بمثل هذه القراءات ، ثم أصبحت هذه الكلمة ، بعد ذلك تدل على الوجبة التي كان الرهبان يتناولونها بعد مثل هذه القراءة . وقد يكون مرد حدوث ذلك إلى التقارب الزمني الوثيق للحادثتين : فالإشارة إلى شيء يحدث قبل أو بعد « التجميع والمقارنة » Collation تتساوى معه الإشارة إلى القراءة أو الوجبة الخفيفة .

والكلمة التي تصبح لها دلالات مختلفة على هذا النحو ، ولا يكون بينها دلالات وسيطة تربط بينها تجعل الناطق والمتحدث بمثل هذه اللغة يشعر وكأن هناك كلمتين مختلفتين بدلالتين مختلفتين وليستا كلمة واحدة . من هنا ، فإن الكلمة الإنجليزية mess التي تدل على « مجموعة من الناس يتناولون طعامهم سوياً » تتساوى من الناحية التاريخية مع دلالة نفس الكلمة على « حالة من عدم الانتظام » ، برغم أن معظم الناس قد يشعرون بأن الكلمتين منفصلتان ، إذ إن كلاً منها ترد في سياق مختلف . قد يحدث في مثل هذه الحالات أيضاً أن يصبح للكلمة هجائان مختلفان يختص كل منها بدلالة من الدلالتين . من هذه الكلمات في اللغة الإنجليزية كلمة mettle التي تتساوى من الناحية التاريخية تماماً مع كلمة metal الحديثة الدالة على « معدن » . وقد جاءت الدلالة المتخصصة للكلمة الثانية « مزاج مشوب بالروحانية » من استعمالها حديثاً استعمالاً مجازياً في الدلالة على صفات الكائنات البشرية أو الحيوانات ، نظراً لأن كلمة metal تشير أيضاً إلى سقاية حد السيف ، غير أن هذه الدلالة تبتعد كثيراً عن الدلالات الأخرى التي لكلمة metal إلى الحد الذي نتج عنه انقسام بين الكلمتين يتمثل في تهجي كل منها . وهذا يصدق أيضاً على كلمات مثل flower الدالة على « الزهرة » وكلمة flour الدالة على « الدقيق » اللتين ليستا سوى متغايرين هجائيين لما كان أصلاً كلمة واحدة .

تعدد الدلالات له أخطاره البيّنة : فهو يؤدي إلى الغموض اللغوي ، إذ إننا أثناء عملية الاستنتاج من الوقائع والمقدمات قد نخطئ ونضل الطريق إذا نحن استعملنا كلمة من الكلمات الرئيسية بدلالات مختلفة في مواضع مختلفة . يحدث ذلك في المناقشات السياسية والأخلاقية حيث يلقى بكلمات مثل « الحرية » freedom ، و « طبيعي » natural على عواهنها بدلالات متغيّرة تفتقر إلى التحديد . أضف إلى ذلك أيضاً أن نوع « التلاعب » الذي يضفيه تعدد المعنى على اللغة ، يجعل من السهل استخدامه نظراً لأن التواصل يصعب تماماً لو أننا في كل سياق من السياقات تحتم علينا ممارسة عمليات التحديد الصارم الذي تتطلبه **الرياضيات أو علم المنطق الرمزي** . ويجب ألا يغيب عنا أن البرهان القائم على الوقائع والمقدمات واحد من بين الوظائف الكثيرة للغة . تعدد المعنى ، يفيد أيضاً في بعض الاستعمالات لأنه يلعب دوراً أساسياً يمكننا من الوصول إلى التعقيد والتركيز اللذين يستحيل الوصول إليها بغير ذلك . إن الأثر الذي لأعمال شكسبير الكبيرة يصبح مُحَالاً لو أن شكسبير لم يفد من الغزارة التي أضفاها على اللغة نتيجة تعدد المعنى ، الذي تحاط الكلمة فيه بارتباطات مستقاة ومستخلصة من أنواع السياق الذي يمكن استعمالها فيه .

تحول بؤرة الاهتمام

قد يبدو التغيّر الدلالي للوهلة الأولى في كلمة horn عندما تغيّر معناها من « سلاح الحيوان » إلى « آلة موسيقية » وكأنه تغيّر من تغيّرات المدلول ، تماماً مثل السفن عندما تغيرت من الشراع إلى البخار مع احتفاظها بنفس الاسم . بمثل هذا المقياس أيضاً نجد أن الآلات الموسيقية أصبحت تصنع من مواد أخرى جديدة مع احتفاظها بنفس الاسم « قرون » ولكن الأمر ليس بمثل هذه البساطة ، إذ من الواضح الجلي أن المعنى « آلة موسيقية » لا بد أنه كان موجوداً قبل أن تصنع القرون من النحاس الأصفر . وقد نشأ هذا المعنى نتيجة لتحول في محط اهتمام كل من المتكلم والمستمع عندما تحول استعمال الكلمة عن الحيوانات وأسلحتها إلى إمكانية إنتاج ضوضاء باستعمال مثل هذا الشيء ، فضلاً عن أن هذا التحول نشأ لأن هذه الآلة أصبحت تستعمل دائماً وبانتظام في موقف له شكل مختلف تماماً ، ومن ثم أصبح لاستعمال كلمة horn « قرن » دلالة موسيقية عند استعمالها في بعض السياقات المحددة .

كثيراً أيضاً من تغيّرات المعنى تكون حصيلة لتحول يحدث لبؤرة الاهتمام وبخاصة على الجانب الذي يتم إبرازه برغم أن ميكانيكية التغيير لا تكون بالشكل الذي حدث لكلمة horn الدالة على « القرن » . الصفة fair الدالة على « الحسن » مثلاً ، أصلها في الإنجليزية القديمة faeger التي معناها أصلاً « صالح ، مناسب » ، ولكن نفس هذه الصفة أيضاً اكتسبت في اللغة الإنجليزية القديمة معاني أخرى مثل « سار ، مبهج ، مناسب أو جميل » . استعمال مثل هذه الصفة في وصف السلوك البشري يوحي بأنها لا بد وأن تكون قد استعملت مراراً في موقف كان « السلوك السار » فيه يعني « خلوه من التعصب ، والغش والاحتيال والظلم » بالقدر الذي أصبحت الصفة fair معه تعني « العدل ، الإنصاف » . وقد سجل هذا المعنى لهذه

لماذا تتغير الدلالة ؟

الكلمة اعتباراً من القرن الرابع عشر الميلادي ، ولا يزال واحداً من المعاني الرئيسية لهذه الكلمة . واستعمال الكلمة fair (حسن) في معنى الجمال لا بد وأن يكون مقروناً دائماً بالبشر وبخاصة النساء . واعتباراً من اللغة الإنجليزية القديمة فصاعداً ، ونظراً لأسباب تاريخية كثيرة كان مثال الجمال المحتذى والمنشود في العصور الوسطى ومطلع تاريخ إنجلترا الحديث ، هو « **الشقرة** » blonde : ميل الشعر والبشرة إلى الشقرة . من ثم أصبحت المرأة الشقراء جميلة أيضاً ، وهكذا انتقل معنى « شقرة اللون » لهذه الكلمة وسجل لها لأول مرة في منتصف القرن السادس عشر الميلادي .

يضاف إلى ذلك أن تأكيد معنى « الجمال » و « الشقرة » اللذان لهذه الكلمة ورد على لسان شكسبير في إحدى « سونيتاته » الشهيرة التي يؤكد فيها أن حبيبته « شقراء » رغم أنها « قمحية » dark ، غير أن وجود المعنيين جنباً إلى جنب وورودهما في سياقات متشابهة يثير احتمالات كثيرة ، كما يؤكد أيضاً احتمال سقوط المعنى « جميل » الذي لهذه الكلمة ، من الاستعمال ، اللهم من بعض العبارات القديمة غير المستعملة مثل قولنا fair lady « للسيدة الجميلة » و fair sex « للجنس الناعم » . على الجانب الآخر هناك تعارض أيضاً بين معنى « الإنصاف » الذي لهذه الكلمة وبين « الشقرة » blonde نظراً لأن السياق يكشف ويوضح دائماً إذا كنا نتحدث عن السلوك أو المظهر .

نجد أيضاً تشابهاً بين هذه الطريقة والطريقة التي تصبح بها للكلمات التي تدل على المهنة أو الطبقة الاجتماعية معان تشير إلى الصفات الخلقية أو الفكرية (سواء أكانت حقيقية أم مزعومة) لمن ينتمون إلى هذه الطبقة وهذه المنزلة الاجتماعية ، من ذلك ، مثلاً ، الكلمة الإنجليزية الشهيرة gentleman التي اقترضت من الفرنسية خلال فترة اللغة الإنجليزية الوسيطة . افتراض هذه الكلمة في الأصل كان للإشارة إلى طبقة اجتماعية تعني « طيب المحتد » أو « أسرة طيبة » . ثم أصبحت لهذه الكلمة معاني « دماثة الخلق ، والتأدب والرحمة » ، أي الصفات التي كانت تعزى إلى أبناء هذه الطبقة الاجتماعية . وبطبيعة الحال نحن نعلم أن أفراد هذه الطبقة ليسوا جميعاً بهذه الصفات ، ولكن ذلك مجرد صورة مثالية تنطبع لدى الطبقة الحاكمة عن نفسها ، وبذلك يكون لمثل هذه الصورة المثالية تأثير كبير بخلاف الواقع الحقيقي لمثل هذه الطبقة .

هناك كلمات كثيرة أخرى توضح تأثير مثل هذه الطبقة على مثل هذه الأمور . خذ مثلاً الكلمة الإنجليزية villain في مراحلها التاريخية المختلفة : تجد أن الكلمة أصلاً تعني peasant التي معناها بلغة القوم « فلاح » ، ثم أصبحت بعد ذلك تعني scoundrel أي « شخص لئيم ساقط الأخلاق مجرم » . بذلك تصبح هذه الصورة التي تنطبع لذي الـ gentleman عن « الفلاح » peasant ، وبذلك تكون رؤية الـ Gentleman لـ « الفلاح » هي التي أدت إلى تغيّر المعنى وليست فكرة « الفلاح » عن نفسه هي التي أدت إلى ذلك . هذا المفهوم الدلالي لكلمة « فلاح » له نفس المضمون أيضاً في **مصر** ، إذ إن كلمة « فلاح » قبل الثورة كانت بنفس الظلال التي كانت للكلمة عندما أطلقها الـ Gentleman على « الفلاحين » ، ثم ارتفع نجم الفلاح وزادت أسهمه الدلالية مع قيام الثورة .

الكلمة الإنجليزية lady الدالة على « سيدة » معناها الأصلي « سيدة من الطبقة العليا » ثم أصبحت تعني « امرأة صاحبة ذوق ورقة » . وكلمة noble التي معناها بلغة القوم « نبيل » معناها الأساسي « ذو علاقة بالأرستقراطية » ولكنها أصبحت اليوم تعني من بين معانيها « صاحب مثل عليا » ، وهذه حسب مبلغ علمي هي الخصال والصفات التي يتمتع بها **مجلس اللوردات البريطاني** . كلمة churl التي معناها أصلاً « رجل من طبقة اجتماعية منخفضة » وكذلك أيضاً كلمة boor التي معناها الأصلي « فلاح » أو « ريفي » وكذلك أيضاً كلمة bourgeois التي معناها « برجوازي » أي من الطبقة المتوسطة . وأبرز مثل على تغيّر المعنى الناتج عن تحريك بؤرة الاهتمام داخل الموقف ، ذلك المثل الذي أورده « **جوستاف سترن** » Gustaf Stern في كتابه عن تغيّر المعنى في اللغة الإنجليزية حيث أورد الكلمة الإنجليزية bead التي معناها الأصلي بلغة القوم « صلاة » prayer ، أما معنى « خرزة » أو « حبة مثقوبة تلضم في خيط » فقد نتج عن عادة اعتادها الناس في العصور الوسطى ، إذ كانوا يحصون ويعدون صلواتهم بما يشبه المسبحة عند المسلمين ، وبذلك أصبح التعبير to tell his beads الذي معناه الحرفي « يخبر عن خرزاته » يدل على عد الصلوات وإحصائها ، غير أن ما يراه الإنسان لا يعدو أن يكون مجرد تحريك تلك الكرات الصغيرة ومن ثم أصبحت « الخرزات » تشير إلى كرات تشبه كرات المسبحة ، وبذلك جاء المعنى الحديث لهذه الكلمة .

توسيع المعنى وتضييقه

توسيع المعنى الإشاري أو تضييقه يعتبر واحداً من التغيرات الشائعة . وأوضح مثل على تضييق المعنى يتمثل في الفعل الإنجليزي starve الذي أصله في الإنجليزية القديمة stoorfan الذي كان يدل أصلاً على معنى « يموت » ، وفي الإنجليزية الوسيطة أصبح المعنى ضيقاً ليدل على « الموت من البرد » . أما في القرن السادس عشر الميلادي ، فنجد لهذا الفعل معنى حديثاً « يموت من الجوع » وهو المعنى الذي بقي حتى الآن في **اللغة المعيارية الحديثة** . كلمة science الإنجليزية كانت ، ذات يوم ، تعني « المعرفة » ولا تدل على معناها الحديث « العلم » . أما الكلمة التي كانت تدل على معنى العلم في ذلك الوقت فهي « **الفلسفة الطبيعية** » natural philosophy وكذلك أيضاً كلمة desert التي معناها الحديث « صحراء » كانت في وقت ما تطلق على « أي مكان لا يسكنه البشر » . ومن الكلمات الدالة على الحيوان كلمة deer التي كانت تطلق على « الحيوان بصورة عامة » شأنها في ذلك شأن الكلمة الألمانية tier والكلمة السويدية djur وكذلك أيضاً كلمة meat التي معناها الحديث « لحم » كانت أصلاً تدل على « الطعام » ، وهذا المعنى تسجله بعض العبارات القديمة مثل meat and drink التي كانت تدل على « الطعام والشراب » . والمثل الإنجليزي الشهير one man's meat is another man's poison الذي معناه الحرفي : « طعام امرئ قد يكون سماً لآخر » .

من أشهر الأمثلة على تضييق المعنى الكلمة الإنجليزية الشهيرة photogenic التي معناها « مناسب للتصوير » التي يضيق معناها أحياناً لتدل على « بهاء الطلعة » . خذ أيضاً الفعل discipline الذي كان يدل على « توفير النظام » أو « التدريب » ولكن معناه توسع الآن ليدل على معنى « يعاقب » .

هناك أيضاً كلمة rubbish ولكن سرعان ما اتسع معناها ليشمل « النفايات وأي شيء ليس له قيمة » . هذا يدل على أن الكلمات تتسع دلالتها عندما تخرج من المجال اللغوي لطائفة أو مجموعة بعينها ليتبناها مجتمع لغوي بأسره .

تأثير الشكل

شكل الكلمة قد يؤدي أحياناً إلى تغيير المعنى : فقد يحدث خلط بين كلمة وأخرى تتشابه معها بصورة أو بأخرى ، أو قد يتأثر معناها بمعاني الأجزاء المكونة لهذه الكلمة نفسها . مثال ذلك الكلمة الإنجليزية الحديثة obnoxious التي لها معنى أصلها اللاتيني «معرض للعقاب» ، أو «مكشوف للضرر» ، المعنى الحديث لهذه الكلمة «هجومي ، مرفوض» يرجع إلى تأثير كلمة noxious[٢] على هذه الكلمة . ويظهر هذا التغيير في الكثير من الكلمات ذات الأصول الإغريقية أو اللاتينية . وهذا ما نسميه **بالكلمات المعتمة** ،

التي يصعب استقراء معانيها ، من مكوناتها ، على من يتحدثون لغة ولكنهم يجهلون مكوناتها . الأدب الإنجليزي مليء بالشخوص الفكاهية التي تستعمل الكلمات الطويلة استعمالا غير صحيح . من هذه الشخوص مثلاً «**مالابروب**» Malaprop ، شخصية «**جوزيف شيريدان**» Sheridan الشهيرة التي تستعمل كلمة illegible بدلا من eligble ثم تستدرك بعد ذلك بأن تأثيرها قليل على ابنة أختها . الواقع أن هذه الشخصية أعطت اللغة الإنجليزية كلمة جديدة هي «المالابروزيمية» malapropism .

التغيّر الذي طرأ على كلمة protagonist نتيجة لكلمة antagonist مرده إلى أن الكلمتين تحتويان على السابقتين ــ pro (التي معناها «من أجل») و ــ anti (التي معناها «ضد») وبذلك تكون الكلمتان عكساً لبعضهما البعض الآخر . في الواقع أن المقطع الأول من كلمة antagonist تمثله البادئة ــ anti ولكن المقطع الأول من كلمة protagonist مأخوذ من الكلمة الإغريقية القديمة protos «الأول» وبذلك يكون معنى الكلمة «المنافس الأول» أو «الممثل الأول» . ولا يزال المتحدثون بالإنجليزية يمانعون في قبول مثل هذه التغيّرات التي تطرأ على المعنى ، ومع ذلك فإن هذه الاستعمالات الجديدة تبدو كأنها تحظى بقبول الجميع لها قبولا مطلقاً .

تحسّن وتدهور الكلمات

التحسّن يعني اكتساب الكلمة لمضامين طيبة ويقول له الإنجليز amelioration ، أما **التدهور** فيعني اكتساب الكلمة لمضامين غير طيبة ، ويسمونه بلغة القوم deterioration ، مثال ذلك كلمة success التي معناها أصلاً «نتيجة» تغيّر معناها ليصبح «نتيجة طيبة» ، وكلمة knight التي معناها الأصلي «خادم» تغيّرت ليصبح من بين معانيها أيضاً «خادم موال يتسم بصفة الفرسان» . والتحسن يكون في أغلب الأحيان نتيجة لتغيّر عام في المواقف الحضارية أو الاجتماعية . مثال ذلك ، أن كلمتي : zeal و enthusiasm اللتين معناهما الحديث «نخوة ، غيرة ، حمية ، حرص» كانتا في أواخر القرن السابع عشر الميلادي ، تنقصان من القدر وتعنيان «العنف والتطرف» بجميع درجاتها لدى المجتمع الراقي ، لأن هاتين الكلمتين كانتا مرتبطتين بالتزمت الثوري «**البيوريتاني**» ، ولكن بعد تغيّر المجتمع الإنجليزي ونسيان الحرب الأهلية اختفت هذه المضامين وضاعت . ومن بين الكلمات السياسية كلمة politician التي معناها الحديث «سياسي» ، كانت كلمة خطيرة أيام شكسبير ، إذ كانت تعني «**الاحتيال المكيافيلي**» ، وكذلك أيضاً كلمة democratic «ديموقراطي» ، التي تلقى الآن الثناء والإعزاز كانت ذات يوم مصطلحاً من مصطلحات التوبيخ (مثل كلمة «أحمر» في هذه الأيام لأنها تدل على الشيوعية) .

والتدهور الدلالي للكلمة يكون أكثر من التحسن . والبشر بحكم طبيعتهم ميالون لتصديق الجانب السيئ عن البشر . وهذا ينعكس على الطريقة التي تتغيّر بها الكلمات . من ذلك مثلاً كلمة lust التي كانت تعني «رغبة ــ متعة» في اللغة الإنجليزية القديمة ولكنها أصبحت تعني الآن «الرغبة الجنسية الجامحة» أو «الشهوة الجنسية» .

التعبير غير المباشر

المقصود بذلك هو تحاشي المدلول الكريه باستبداله بتعبير أو كلمة أخرى أفضل . ونحن في العربية نقول لمن مات : «رحل عنا» ، وفي الإنجليزية يقولون : passedaway «مضى إلى الأبد» لمن مات تحاشياً للإشارة إلى اللفظ die الذي يدل على «الموت» ، مثل هذه الكلمات أو التعبيرات تظل لفترة تعبيرات أو كلمات غير مباشرة في مدلولها ولكنها بمضي الوقت يتعارف الناس عليها ويألفونها بل ويستعملونها .

وينشأ تحسين اللفظ في أغلب الأحيان ، عن الأشياء التي يثير تأملها الألم والحزن والكروب لدى الناس . الموت أحد هذه الأمور . ولغات كثيرة ، من لغات العالم ، تعج بالكثير من التعبيرات الدالة عليه : في الإنجليزية مثلاً يقولون لمن مات عنها زوجها : lost her husband «فقدت زوجها» ، ونحن في العربية نقول «إذا وافاني قضاء الله» . وفي الإنجليزية يقولون للموتى : The departed «الراحلون» ، والحروب أيضاً من بين الأمور التي لا يعبر الناس عنها مباشرة . والوثائق الرسمية خير مؤشر على ذلك . ونلمح بين ثنايا هذه الوثائق تعبيرات مثل «العمليات المحلية» التي معناها بلغة القوم local operations كما تشير هذه الوثائق إلى «**الحرب النووية**» بمصطلح an emergency «**حالة طوارئ**» . والأزمات الاقتصادية أيضاً من الأشياء التي يعتبر التفكير فيها أمراً مكروهاً .

السبب الثاني للتعبير غير المباشر هو التحريم الاجتماعي . من ذلك مثلاً أن الناس تشير إلى الجنس بإشارات غير مباشرة ابتداء من الأعضاء التناسلية إلى العملية الجنسية ذاتها . في العربية مثلاً نقول : «ماء الرجل» للدلالة على «المني» ، ونقول : «المرود» دلالة على عضو التذكير عند الرجل ، ونقول : «المكحلة» دلالة لعضو التأنيث عند المرأة . والإنجليز يشيرون إلى الجنس أحياناً باستعمال لفظ «المرأة» woman مُحَمّلاً بظلال هذا المعنى . وكذلك الحال أيضاً مع كلمة mistress التي أصبح معناها الآن paramour «عشيقة» . خذ أيضاً الكلمة الإنجليزية harlot استعملت في الإنجليزية القديمة بمعنى vagabond «متشرد» ولكنها في اللغة الإنجليزية الوسيطة استعملت لوصف كل من الرجل والمرأة على حد سواء ولكن استخدام هذا اللفظ محسّن بدلا من اللفظ whore الذي يدل على «العاهرة» هو الذي أعطاه هذه الدلالة .

المجال الآخر من مجالات التعبير غير المباشر هو التّغوط والألفاظ المستخدمة للدلالة عليه . الكلمة الدالة على المرحاض مثلاً : بعض المجتمعات العربية تطلق عليه اسم «بيت الراحة» ، والبعض الآخر يسمونه «حمّام» ، والبعض الثالث يقول له : «دورة مياه» . والمعنى الحرفي لهذه الكلمة في الإنجليزية

لماذا تتغير الدلالة؟

«مكان يغتسل فيه الإنسان». هذا اللفظ حسَّن واستعمل الإنجليز له ألفاظاً كثيرة لا تتصل بمعناه من قريب أو بعيد، إذ كان قصدهم من وراء ذلك تحسين اللفظ ليس إلا، فهم تارة يسمونه privy jakes.

والكلمات الدالة على هذا المكان سرعان ما تفقد رونقها لتحل غيرها محلها. فقد أطلقوا على هذا المكان لفظ Toilet «تواليت»، وأيضاً «غرفة السيدات» التي هي بلغة القوم Ladies' room، كما أطلقوا عليه أيضاً كلمة washroom «غرفة الاغتسال»، وكلمة bathroom «الحمّام»، وكلمة the rest و closet «بيت الراحة». واختيار اللفظ الصحيح من بين هذه الألفاظ يدل أساساً على الوعي الاجتماعي لدى من يستعملها.

فقدان الحدة

المقصود بذلك هو فقدان الكلمة لحدتها. نحن مثلاً عندما نزيد من قوة مشاعرنا تجاه شيء من الأشياء أو أمر من الأمور، أو عندما نريد التأثير على المستمع بطريقة مقبولة نميل إلى المبالغة أو تضخيم الأمور بعض الشيء. ومع كل ذلك فإن ما يحدد معنى الكلمة هو المواقف التي ترد فيها الكلمة نفسها. ونحن عندما نستعمل الكلمة hellish «جهنمي» لوصف آلام ومعاناة ليست لها طبيعة الآلام التي تستخدم الكلمة أصلاً لوصفها نجد أن الكلمة تزوي وتفقد حدتها. فلو أننا استعملنا هذه الكلمة مثلاً في وصف الزحام ساعة الذروة في محطة من محطات حافلات النقل العام، مثلاً، نجد أنها في مثل هذا الموقف لا تفيد إلا نوعاً من الاستياء والضيق له مثل هذه الدرجة من الحدة. من ذلك أيضاً، الكلمة الإنجليزية awful التي معناها «مثير للإجلال والتقدير مع الحب والخوف» أصبح الإنجليز يستعملونها اليوم في وصف الطقس.

التآكل السريع للكلمات بهذه الصورة يحتم إيجاد غيرها ليحل محلها. ولا يقتصر ذلك فحسب على الكلمات المثيرة للرعب أو الخوف أو المقت أو الفظاظة، بل نجده أيضاً في لغة شكسبير: كلمة naughty التي معناها «شرير، خبيث، فاجر». في القرن التاسع عشر الميلادي، نجد أن الصفة fair فقدت حدتها وأصبحت تدل على مجرد «الجودة». فالإنجليز في القرن التاسع عشر الميلادي، كانوا يقولون: He has a fair chance of success للدلالة على أن «فرصة النجاح جيدة أو طيبة». وفقدان الحدة غالباً ما يحدث في الكلمات الدالة على المواظبة نظراً لأن البشر لديهم ميل غريزي إلى النزوع إلى المبالغة في المواقف الفورية، من ذلك مثلاً كلمة presently الإنجليزية، كانت مع مطلع اللغة الإنجليزية الحديثة تعني «فوراً أو في الحال» ثم أصبحت تعني «بعد زمن قصير».

اللغة المجازية

بعض تغيّرات المعنى تكون مبتغاة ومقصودة، وهذا لا يتأتى إلا عند استعمال الكلمة لتعطى معنى مجازياً يصبح واحداً من معاني هذه الكلمة. من الواضح على سبيل المثال، أن أول من استعمل كلمة foot «قدم» عند الإنجليز، ضمن التعبير foot of the hill «قدم التل» أي «سفح التل» والذي استعمل كلمة mouth «فم» في التعبير mouth of the river «فم النهر» بمعنى «مصبه» كانا يدركان أنهما يستعملان الاستعارة في التعبير، ولكن هاتين الاستعارتين، مع ثبات استعمالهما، سقط عنهما المجاز وأصبحتا معنيين من معاني كلمتي foot «قدم» و mouth «فم». واللغة مليئة بالكثير من هذه الاستعارات الميتة التي تشيع في الكلمات الدالة على الظواهر الذهنية، وكذلك الكلمات الدالة على المجردات بصورة عامة نظراً لأن هذه المجردات حصلت على مسمياتها من قياس طبيعي أو مادي. الإنجليز يقولون لمن يلم بفكرة: to grasp an idea «يمسك بالفكرة» قياساً على العمل الذي تقوم به اليدان. والإنجليز عندما يفهمون يعبِّرون عن فهمهم بقولهم: we see الذي معناه الحرفي «نحن نرى» أي نفهم، وذلك قياساً على عمل العينين، والاستعارات التي من هذا النوع كثيرة في اللغة.

واللغة الحديثة تزخر بالكثير من الاستعمالات التي لا تزال تحتفظ بقوتها المجازية إلى حد أن هذه المعاني تسير الآن في طريقها إلى الاستقلال لتصبح معاني مستقلة أي تصبح استعارات ميتة. ومن ذلك مثلاً كلمة target «هدف» في التعبير target production الذي معناه الحرفي «الإنتاج الهدف» بمعنى «الإنتاج المستهدف»، وكلمة ceiling «سقف» في التعبير ceiling of prices «سقف الأسعار»، وكلمة freeze «يجمد» في التعبير freeze of wages «تجميد الأجور»، وكلمة package «حزمة» التي أصبحت تعني «مجموعة من المقترحات تقبل أو ترفض ككل واحد»، وكلمة headache التي أصبحت تدل على «مشكلة» من بين معانيها.

هذا لا يعني قبول جميع التجديدات على طول الخط دون نقد أو دراسة، لأن المتحدث بلغة من اللغات، أيًا كانت، من حقه أن يقبل التجديد، كما أن من حقه أيضاً أن يرفضه على أن يأخذ في حسبانه أن الاستمرار في رفض المعاني الجديدة والإصرار على المعنى الأساسي، يصبحان عند مرحلة معيّنة، حذلقة لا لزوم لها ولا طائل من ورائها، لأن التغيير حقيقة واقعة يجب أن نصالح أنفسنا عليها ونعايشها حتى لا ندور في حلقة مفرغة ونحارب معركة خاسرة.

الهوامش

(١) التكامل الصوتي.

(٢) مؤذ أو ضار بالصحة.

المراجع

١ ـ ديفيد سون د.، وجبي. هارمان: دلالة اللغات الطبيعية. دوردريشت، هولندا، ريدل ١٩٧٢م.

٢ ـ فودور، جبي. د.، الدلالة: نظريات المعنى في القواعد التوليدية، نيويورك توماس ي. كرويل ١٩٧٧م.

٣ ـ باطر، ف. ر.، الدلالة: مفهوم جديد. كامبردج، إنجلترا، مطبعة جامعة كمبردج ١٩٧٦م.

٤ ـ استرانج، التراكيب الإنجليزية الحديثة (الطبعة الثانية، لندن ١٩٦٨م).

٥ ـ ب. فوستر، تغيّر اللغة الإنجليزية (لندن ١٩٦٨م).

٦ ـ باربر، التغيّرات اللغوية في اللغة الإنجليزية المعاصرة (أدنبره ١٩٦٤م).

٧ ـ بوتر، اللغة الإنجليزية المتغيّرة (لندن ١٩٦٩م).

٨ ـ رابورت أناتول، الدلالة، نيويورك، توماس، ي. كرويل ١٩٧٥م.

٩ ـ كاتز جبي.، النظرية الدلالية، نيويورك: هاربر آندواو ١٩٧٢م.

١٠ ـ أوستن جبي. ل.، كيف تعبر عن الأشياء بالكلمات، كمبردج هوارد ١٩٦٢م.

الميكروفيلم

هو شريط فيلمي ذي خصائص معينة، عرضه ١٦ أو ٣٥ مم، ويحتمل تسجيل كمية كبيرة من المعلومات أو البيانات على مساحة متناهية الصغر، ثم يجري تكبيره وعرضه لقراءته أو تسجيل نسخة جديدة منه.

والميكروفيلم هو اسم الشريط الفيلمي والأجهزة الأربعة العاملة عليه وهي أجهزة:

● **التسجيل:** وتختلف أجهزته باختلاف أغراض التسجيل. وهي التي تقوم بتصوير المادة المراد حفظها وتصغيرها.

● **المعالجة:** وفيه يمر الفيلم بأحواض لمحاليل الإظهار والتثبيت، ثم الشطف والغسيل، ثم التجفيف، وكلها عمليات آلية.

● **النسخ:** ويقوم بنسخ صور من التسجيلات الأساسية للمادة المراد حفظها.

● **القراءة والطبع:** وهو جهاز تكبير مزود بشاشة تعرض المادة المسجلة بهدف القراءة.

والميكروفيلم أحد روافد التصوير الفوتوغرافي، كما أنه المنتج التصغيري لفن وآلات تصوير المستندات (**الفوتوكوبي**). وقد مرّت صناعة الميكروفيلم بمراحل عدة.



بدايات

★ أول من نجح في تسجيل الصورة المصغرة هو الإنجليزي، **چون دانسر** عام ١٨٣٩م، وبنسبة تصغير ١٦٠ : ١.

★ في عام ١٨٧١م، قام الفرنسي **رينيه واجرون** بتسجيل **اثنين ونصف مليون رسالة على ميكروفيلم** في ثمانية أسابيع. **وقامت حمامة واحدة بنقل أربعين ألفاً وخمسمائة رسالة مسجلة على ثمانية عشر فيلماً.**

★ في عام ١٩٢٥م، كان **أول استخدام تجاري** للميكروفيلم، عندما استطاع الأمريكي **ج. إل. مكارثي**، الموظف بأحد بنوك نيويورك، وضع تصميم لماكينة تصوير الشيكات أسماها «**شيكوغراف**». ومع عام ١٩٣٣م، صنع منها سبعمائة جهاز.

★ في مايو (أيار) ١٩٢٨م، أنتجت شركة كوداك أول ميكروفيلم يعمل بفيلم ١٦ مم.

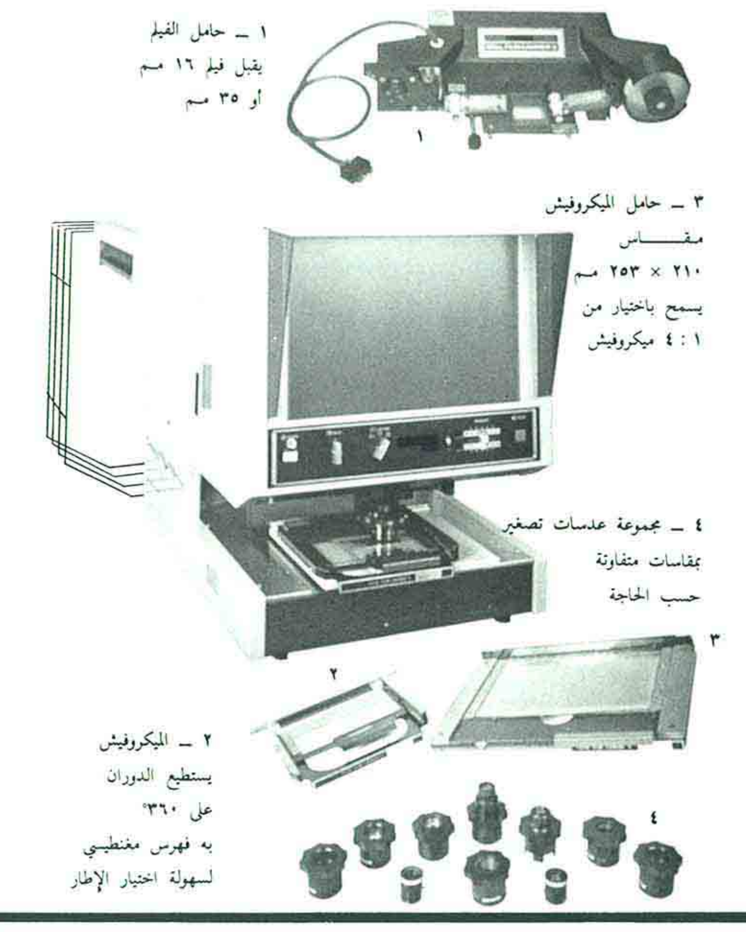
★ ابتداء بعام ١٩٣٥م، كان انتشار الميكروفيلم في أوروبا.

★ خلال **الحرب العالمية الثانية** (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م)، لعب الميكروفيلم دوراً هاماً في حياة مئات الألوف من أبناء وأفراد القوات المسلحة في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وذلك عند استخدامه في نقل الرسائل على أفلام بطول ١٠٠ قدم وعرض ١٦ مم، فكانت **اللفافة في حجم راحة اليد تضم حوالي خمسة آلاف رسالة.** وفي مدينة الوصول يتم تكبير الرسائل وتسليمها لذويها. وبهذه الطريقة **تم تبادل حوالي ألف وخمسمائة مليون رسالة في الفترة من عام ١٩٤١م، وحتى شهر أغسطس (آب) ١٩٤٥م.**

★ في عام ١٩٧٥م، وصل معدل التصغير إلى ٢٠٠ : ١.

★ في الفترة الحالية أمكن تسجيل ٣٢٨٠ صفحة على رقعة ميكروفيلم مساحتها ١٤٨ × ١٠٥ مم وسمكها لا يزيد على ٠,٥ مم ووزنها حوالي ٦,٨٥٦ جرامات. وتلك الصفحات تعادل عشرة كتب من القطع المتوسط بواقع ثلاثمائة صفحة لكل كتاب.

وبعد.. فإذا علمنا أن جامعة **ييل** وحدها بالولايات المتحدة الأمريكية ستضم مكتبتها ـ في عام ٢٠٤٠م ـ حوالي **مائتي مليون مجلد**، وأن هذه المجلدات تحتاج **لأرفف طولها ستة آلاف ميل**... فأي إنجاز علمي وعملي واعد يكون هذا الميكروفيلم.



١ ـ حامل الفيلم يقبل فيلم ١٦ مم أو ٣٥ مم

٢ ـ الميكروفيش يستطيع الدوران على ٣٦٠° به فهرس مغنطيسي لسهولة اختيار الإطار

٣ ـ حامل الميكروفيش مقاس ٢١٠ × ٢٥٣ مم يسمح باختيار من ١ : ٤ ميكروفيش

٤ ـ مجموعة عدسات تصغير بمقاسات متفاوتة حسب الحاجة



● الكتاب : في رأيي المتواضع .

● المؤلف : د . غازي عبد الرحمن القصيبي .

● الناشر : تهامة ، الكتاب العربي السعودي (١١١) ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م .

غازي القصيبي ـ ولنُعْفِ أنفسنا من الألقاب ـ شاعر أصيل وكاتب مبدع ، وما نظن أنه يرجو أكثر من أن يكون شاعراً كاتباً ، وأحدهما يكفي لأن يدخله التاريخ ولا سيما إذا كان قد حقق به أو له أعمالا مشهورة مرموقة .

ولقد دارت مناقشات ـ منذ بعيد ـ عن دواوينه ومختاراته من دواوينه ، وفي غضون ذلك طرح للتقويم العاجل أسلوبه في كتابة « سيرة شعرية » ، ولم يكن بالقدر الذي يلفت إليه الأنظار حتى بالرغم من ظهور كتابه النثري « عن هذا وذاك » .

ومن ثم ظل القصيبي الناثر محجوباً عن الفكر ، وتكررت به ظاهرة الشاعر الذي لا يراد له أن يعرف بأسلوبه النثري .. شوقي وحافظ ـ مثلاً ـ مع أن نثرهما لافت ، بل لعل فيه قدراً كبيراً من التميّز ، وأنا شخصياً أحب نثر حافظ في « ليالي سطيح » و « البؤساء » أكثر مما أحب كل شعره .

على أن القصيبي بأدائه النثري ـ وإن يكن لا يحجبه القصيبي بأدائه الشعري ـ يحتاج اليوم إلى وقفة بكتابه الصغير « في رأيي المتواضع » . وهو مجموعة مقالات نشرها في مجلة اليمامة على أسابيع ؛ وقد أثار بعضها ـ في حينها ـ جدلا حول كان وأختيها نيس وباريس ، والمتنبي في مقابلة صحفية ، وجيهان السادات ، والكومبيوتر ، والمجد للقاهرة ، وأبي الهول الذي ناداه نزار قباني مرة « يا سيدي السلطان » وسماه مؤخراً « أبا لهب » .

كان أسلوبه المقالي في منتهى الظُرف ، ولم يتدن به قط ولا ترخّص بمبتذل ولا حاد به عن الجادة التي تؤرق سيبويه إذا ضلّت الخطوة عنها .. وقد قيل إن من شروط كاتب المقال الأدبي ـ وهو غير البحث الأكاديمي ـ تلك الرقة الذكية التي تستهوي القارئ فيفتح لها قلبه وعقله وكل مشاعره .

في « جنة العبيط » جمع زكي نجيب محمود مجموعة مقالات رائعة له بمقدمة كتبها عن فن كتابة المقال ، وفعل فعْلَه محمد عوض محمد في « من حديث الشرق والغرب » . وقد ظهر أنهما على اتفاق تام حول الرقة الذكية ـ أو اللماحية ـ التي يجب أن يتحلّى بها كاتب المقال .

بهذه الخاصية المهمة التي لا تحتاج إلا إلى موقف انفعالي قد لا يحكمه إلا الإحساس المرحلي ، صدر القصيبي عن مقالته ـ أو مقاله فهما على التذكير والتأنيث واحد ـ ليقول ما يريد أن يقول من وجهة نظره أو كما يسمح به رأيه المتواضع ! .

وفن كتابة المقال أو المقالة يعطيه هذا الحق ، ومن ثم جاء حديثه الذي جعل عنوانه « لماذا كان رأيي متواضعاً » ص ١٣ في غير موضعه أو بلا جدوى ، لأن أحداً لا يلزمه بمنهج معين ، ولا بمنطق علمي جامد ، ولا بما يبطل سلامة فكره أو اتزانه أو تأثيره .

إن أحداً لا يجرؤ على مطالبته بأن يجعل حديثه أكثر من خاطرة تلح عليه فيتجرّد لها ، ولا يدخل تحت أية طائلة طالما وافقت خاطرته حقيقة السماء وحقيقة العلم .

ومع ذلك فرأيه المتواضع ـ وقد سيق بلماحية ولطف أحياناً ، وبتخل عن صفة المعوقة أناه للغاية ـ بالغ الأثر جميل الوقع كبير الثراء . وعلى مدى خمسة وعشرين مقالا ، نطالع دائماً وجهاً باسماً ولكنه جاد ، ونواجه بآراء لا نملك لها دفعاً مع أنها على المشاع ولمن يريد أن يقبل وأن يرفض .

وهنا مناط البراعة ! .

أن يقنعني الكاتب بلا ضجيج ولا لجاج ولا مقدمات وأسباب وقياسات سوفسطائية تصادر وجدانات الناس وأهواءهم .

وليس من الضروري أن نصنّف الخمس والعشرين مقالة التي تشترك في خاصية القصر البليغ ، لأنها عن لا شيء بعينه ، وإن يكن مبعثها موقف أو إثارة أو تجربة محددة .. وعلى الفور يفرز القصيبي ما قرَّ في نفسه أو ما اختلج به صدره على نحو لا يخطر على قلب أحد ؛




★ د. غازي القصيبي ★

فقاله الممتاز « المعوّقون للغاية » لا يتجه إلى هؤلاء الذين أصابهم قصور الخلقة ـ لسبب وراثي أو لآخر ـ وإنما إلى هؤلاء الذين اكتملوا من الخارج ، وفي داخلهم نقص معوّق قد لا تقدر على الكشف عنه أشعة إكس ! .

وفي « جولة في ذهن إرهابي » ـ يقصد « ديان » في كتابه الإنجاز الذي يدعو الكاتب إلى ترجمته بحذافيره وأنا معه ـ يضع أيدينا بسهولة على عقدة اليهودي الذي يحمل حقد آبائه وأجداده ، ويريد أن ينفث عنه وعنهم ، فيهدي إلى وسيط سلام كامب ديفيد سهماً وسيفاً رمزاً للسلاح الذين هزموا به الكنعانيين قديماً وبطوننا العربية مؤخراً ، وركّز على أن الحكم الذاتي الذي وُعد به الفلسطينيون أسطورة ابتدعها « بيجين » في محاولة للرد على مبادرة السادات بمبادرة مثلها .

وفي « المجد للقاهرة » يرد على كل ما صودر به في كتاباته عن مصر السادات منتهزاً فرصة رسالة خطها جميل ، كتبها له قارئ يهدده بإعلان وشيك لجمهورية مصر « الفرعونية » وتطبق الشريعة الإسلامية ـ والتهديد هنا قبيح برغم جمال الخط ـ وهنا ينبهه إلى أن أي أرض « فرعونية » ستجد من الصعب عليها أن تطبق القرآن الكريم وفيه ما لا يجهله أي مسلم عن فرعون وملأ فرعون ، ولم يفته إلى أن ينبه هذا القارئ وغيره أن مصر في قاموسه السياسي والوطني والعاطفي هي مصر العربية « إنني أومن أن مصر أعرب ما في العرب وأن العرب أمصر ما في مصر رغم فلاسفة الانعزال والانفصال » ص ٤٩ ، وأنه كتب على ضفاف النيل الخالد أجمل قصائده ، وهذا حسبه مع كثرة الأسباب الأخرى ! .

وفي « حوار في الشمس مع نجاد » أبعاد شخصيته الآسرة ـ فهي شخصية شاعر أولا وأخيراً ـ وفيها ذلك التودد الإنساني الذي يحمله القلب الكبير لولده وينضح به الحوار الذكي المعبر .

هكذا يكتب القصيبي مقالاته ، وبتلك البشاشة والرقة يعالج قضايا الحياة ـ وهو يلجأ في التعبير إلى الحوار كثيراً ، فلماذا لا يستغله في دراما شعرية ؟ ـ بمختلف المستويات وفي شتى مجالات السياسة والفن والدين وشؤون المجتمع الأخرى دون ما دعوى تبجح ولا ادعاء نظريات في الاقتصاد والتنمية والعلم .

وأما مقابلته الصحفية مع المتنبي لجوء إلى الشعر حيث تنتظم حكمته الحياة ، وليس أحكم من المتنبي ، فقد سأله بخبث : ما رأيك بعودة سيناء إلى العروبة ؟ فأجاب بأوجع إجابة :

ذلَّ من يغبط الذليل بعيش
ربّ عيش أخف منه الحمام

فيستطرد بسؤال كالمعقّب عليه : ولكن ألا ترى أن الاتفاقية حققت بعض المكاسب ؟ فينشد الشاعر :

من أطاق التماس شيء غلاباً
واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا

إنها دعوة إلى القوة ، وما نعرف قط أن الحرية تهدى ـ تماماً كالديمقراطية ـ ومن يهن على أي حال يسهل الهوان عليه .

وبعد ، فإن الكتاب الجيد يفرض نفسه على القارئ ، وقد فرض هذا الكتاب نفسه عليَّ في أحرج وقت .. ولكن ، جزى الله القصيبي خيراً .

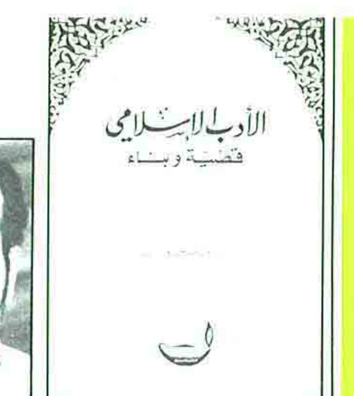
☆ ☆ ☆

● الكتاب : الأدب الإسلامي .. قضية وبناء .

● المؤلف : الدكتور سعد أبو الرضا .

● الناشر : عالم المعرفة ـ جدة ، ط (١) ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، (٢٠٤ ص) .

يؤكد الواقع المعاصر حقيقة اتجاه المثقفين والناس ، واهتمامهم الزائد ، بالقضايا الدينية ، والقيم الروحية ، في عصر طغت فيه المادة على كل أمور الحياة .. وعقّدت الحضارة العلمية ،





★ سعد أبو الرضا ★

والمدنية الحديثة ، روح ووجدان الإنسان المعاصر ، وتركته يعاني من تلك المعاصرة المادية ، الاضطراب ، والفوضى ، والقلق ، والضياع ...

فكانت القيم الإسلامية خير ملاذ لضياع إنساننا المعاصر ، فجاء الأدب الإسلامي ، تعبيراً عن تلك الحالة ، واحتواءً لكل دقائقها وأبعادها .

ومن هنا برزت ـ وفي هذه الأيام ـ فكرة التأكيد على دور الأدب الإسلامي في حياتنا المعاصرة ، وتحديد مفهومه ، وتعريفه ، وقضاياه ، ومضامينه ، وغيره من المعاني التي تجسد هذا الأدب . ولذلك فقد تضافرت جهود العلماء والأدباء الإسلاميين ، على شكل ندوات عالمية ، وجامعية ، وأدبية ، وإعلامية .. عبر دعوات ، ولقاءات ، ومحاضرات ، وبحوث ، ومن ثم نقاش وحوار ، انتهت إلى بعض التوصيات والمقررات والآراء .. فيما يخص الأدب الإسلامي ، ومناهجه ودراسته ، بالإضافة إلى الجهودات الفردية لدى بعض أدبائنا الإسلاميين ، التي تمخض عنها دراسات منهجية في الأدب الإسلامي ، كانت على شكل رسالات جامعية ، أو بحوث خاصة نشرت في الصحف والمجلات والكتب .

وبهذه المناسبة لا يفوتنا إلا أن ننوه بدور الكثير من الدوريات السعودية في هذا المضمار ، وبالأخص مجلة «الفيصل» ، ولا سيما ندوة عددها (٦٣ ـ رمضان ١٤٠٢ هـ) التي أعدها الدكتور عبد الحليم عويس ، عن [الأدب الإسلامي .. القضية ، والحل] . بلقائه مع مجموعة من علماء وأدباء المسلمين في مختلف أقطار العروبة والإسلام ، وقد أوضحوا الكثير من مفهوم وقضايا هذا الأدب .. الذي نحن بصدده الآن مع كتاب [الأدب الإسلامي .. قضية وبناء ، لسعد أبو الرضا] .

ولقد تناول المؤلف في هذا الكتاب بعض التعاريف والدراسات لكل من الموضوعات الجزئية والعامة التالية : حاجتنا إلى أدب إسلامي ، ومفهوم الأدب الإسلامي ، ولمحات من التصور الإسلامي للكون والحياة ، وتاريخية الاتجاه ، ومعطيات الفكر الإسلامي .. وبها يحدد المؤلف :

● أولا : في الشعر ، فيبحث من خلاله الموضوعات الثلاثة التالية : سيرة الرسول ، وغزوة بدر ، وشوقي والخلافة العثمانية ، ثم يدخل بنا عالم الشاعر الشاب السعودي (عبد الرحمن العشماوي) وديوانه (إلى أمتي) ليعرفنا ببعض خصائص هذا الشاعر الفكرية والتعبيرية . ويخرج المؤلف ، ليدخل عالم شاعر سعودي آخر هو (مقبل العيسى) ومجموعة قصائده ، ليركز من خلالها على : (الإحساس الديني والهمس) ، ثم يعود المؤلف إلى معطيات الفكر الإسلامي ـ وبدون أن يحدد .

● ثانياً : في النثر كصنيعه أولا في الشعر ـ لكل من : القصة ، والمسرح ، والرسالة ، والمقالة . فيعرض لنا ويحلل نموذجين من القصة القصيرة : الأخضر لمحمد مستجاب ، ودماء وأشلاء لمحمد المجذوب ، ثم مسرحيتي : وجه الطوفان لمحمد عبد الحميد أحمد ، وصرخة عند المسجد الأقصى لعماد الدين خليل . وأخيراً بعض الرسائل والمقالات لكل من الشيوخ : محمد بن عبد الوهاب ، وجمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، وأبي الحسن الندوي . ويختم المؤلف كتابه بملحقين : الأول يشمل توصيات الندوة العالمية الأولى للأدب الإسلامي بالهند ١٤٠١ هـ ، والثاني توصيات الحوار حول الأدب الإسلامي بالمدينة المنورة ١٤٠٢ هـ .

وإننا لنخرج بالملاحظات والآراء التالية ، مرتبة حسب تسلسل مضمون هذا الكتاب :

★ أولا : بالرغم من استئناس المؤلف بآراء العلماء والأدباء الإسلاميين في تحديد مفهوم الأدب الإسلامي وقضاياه ، وإعجابه بهم ، فإنه لا يفتأ ينفرد بآرائه ، معبراً عن وجهة نظره ، لا سيما وأن مفهوم الأدب الإسلامي وتصوره للكون والحياة ما زال يتراوح



★ حمد الزيد ★

ما بين النظرات الخاصة الضيقة، والعامة الشمولية.

★ ثانياً: كان المؤلف لا يفصل بين التراث والمعاصرة.. بين موضوعه المعاصر وارتباطه بجذور التاريخ، أي كان يتخذ من تسلسله التاريخي منهجاً لعرض أفكاره حتى يصل بها إلى غايته من الفكرة، أو الشخصية، أو الفن.

★ ثالثاً: إن النظرات التاريخية من خلال المعاصرة، كانت تقوده أحياناً إلى الدراسة التي تنهج أسلوب الأدب المقارن، كموقف يشف عن ثقافة عامة، وتذوق أدبي ونقدي.

★ رابعاً: إن إعجاب المؤلف بهذه الأرض المعطاء ديناً وفكراً وأدباً.. كان يجره إلى الوقوف الطويل أو القصير عند بعض الأعلام والشعراء السعوديين، أمثال الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وابن مشرف، وعبد الرحمن العشماوي، ومقبل العيسى.. وإن بدا في وقفاته ونقلاته شيء من التجاوز.

★ خامساً: يبدو أن المؤلف مطلع عى الحركات الأدبية والنقدية الحديثة، إذ نلاحظ أنه يحاول في دراسته ونقده أن يكون عصرياً في كثير من المصطلحات والألفاظ التي تروق للقارئ المعاصر. وإن أغرق في تكرار بعضها بشكل ملموس، ربما كان ذلك عن قناعة.

وأخيراً فإن المؤلف عبر في خاتمته عن تقويمه لكتابه بقوله: «وهكذا تأتي هذه المحاولة إلى الحد الذي أريد لها أن تصل إليه، وإني لآمل أن تكون قد كشفت عن شيء مما (أتيناه)، وهو محاولة تقديم تصور للأدب الإسلامي، وعرض نماذج منه تناقش بعض قضاياه الفنية».

☆ ☆ ☆

● الكتاب: حروف على أفق الأصيل (ديوان شعر).

● المؤلف: حمد الزيد.

● الناشر: النادي الأدبي بجدة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

في ١٣٨ صفحة ـ بدون الفهرس ـ أو في ١٢٩ صفحة بواقع الأمر، قدم حمد الزيد إحدى وأربعين قصيدة ومقطّعة يغلب عليها السهولة التي تصل في بعض الأحيان إلى مستوى لغة الحديث العادي.. ونحن لا نعترض على ذلك، بشرط أن تتضمن هذه اللغة العادية خاطراً شاعرياً أو هجساً في تشكيل يعطيه البُعْد الشاعري الذي يجعله جزءً من بنية جميلة محددة، أما أن يقول (ص ١٠):

أريحيني
فإن النوم لي مكسب
دعيني...
أشخر الساعات إني للسبات أرغب
فإن النائمين اليوم
سعيدو الحظ والمطلب!.

ونحن لو قرأنا في الصفحة التالية من «احتقار» سطوره المتقنة:

هو ريشة رعناء واهنة
وهي القضاء
فاستمرأت غصص الحنَقْ
من أن تَجُرِّح كبرياء تحترقْ.

نحس أننا بين يدي فنان تعنيه اللغة المعبرة التي تقول شيئاً، وهذا الشيء نسق في بنية قسّمت بعناية، وقدم هو بالتوازن المفضي إلى مفارقة صورة ربما كانت تكون أنصع لو خلّص القصيدة من قوله «هل تلوي به في ومضة صوْبَ القرار» و «ألوت به صوْبَ الفضاء».. فالفعل «ألوى» ويتعدى بالباء الجارّة لا يعني ـ كما هو يريد ـ أطاح به أو رمى به، وإنما يعني

«أشار به»، يقول الحارث بن حلزة في همزيته التي يقال إنها كانت إحدى المعلقات:

وبعينيكِ أوقدَتْ هندُ النارَ
أخيراً تُلوي بها العلياءُ

أي أشارت بها العلياء ـ المكان المشرف العالي ـ ودلّ على ذلك تعقيبه بقوله وقد التفت إلى نفسه «فتنوّرت نارَها من بعيد» ولو كانت في واد أو سهل لما رآها!.

إنما نقصد سلامة اللغة ـ كسلامة العروض تماماً ـ وهذا مبدأ لا مندوحة عنه، ومن ثم يبدو حمد الزيد مطالباً في قصيدته «كادحون» بأن يجري قلمه بتصويب استهلاله «يا كادحين» فيستبدل به «يا كادحون» منادى مبني على ما يرفع به ـ لأنه نكرة مقصودة ـ على طول القصيدة، وأما مقطعها الرابع بصفة خاصة فيحتاج إلى ترميم شامل ليصبح:

يا كادحون
بل يا عبيدَ الأرضْ
الآكلين العشْبَ والخبازْ
في الزمن المطير
الطابخين الذلَّ
للأطفال والشيخ الكبير
من أنتم، غير المرارة...
غير أشجان الحياة ووجهها
العاني الكسير
يا كادحون
يا صورة الأمس البغيض...

ومن الواضح أن هذا الوصف الحماسي مما يحفل به الديوان الصغير، إلا أنه لا يفسده، لأنه قائم أساساً على انفعاليات الشاعر بقومياته.. لكن المدهش وجود رقة بالغة تقابله في الجانب الآخر، حيث يصغر حبه ويصغر ليكون امرأة ساحرة، أو فلنقل ليصبح كالنجم الذي يقع في أسر الثقب الأسود بالسماء ثم يبتلعه!.

إذن فما يقوله حمد الزيد في الحالين حبّ، غير أنه عندما يتجه به إلى الإنسان الذي يرتبط به ـ عشقاً ـ يصبح أغنية عذبة شديدة العذوبة، يقول (ص ٦٥):

في نزهتنا عصر الجمعه
كنت أميرتي الحلوه
كل الروعه
وعلى القمه
كنا كالطير يناغي إلفه
ويرى العالم
شيئاً أصغر من حجمه.

وفي موضع آخر من الديوان الصغير الكبير، يقدم قصيدة «درس قصير في الحب» شاهداً من شواهد كثيرة على شاعريته وشاعرية الحبّ، وإن يتشح بغلالة تشاؤم، يقول (ص ٩٧):

حبيبتي تنام باكره
لأنها صغيره
كما الطيور
ناعمه
كما الزهور
لأنها ليست مغامره
لأنها في سن طفلتي
لو لم أعش حريتي!.

لباقة في التبرير، وسلاسة تذكرنا بالسهل الممتنع، ويوظفه هو التوظيف الذي يتوجه نحو الأشياء ليكوّن بها تلك الأفكار العفوية، أو ليعيد اكتشافها ـ حدساً ـ فيكشف عن نفسه لنعرف نحن أنفسنا.

ولكن حمد الزيد في شعره القومي يرفع غلالة التشاؤم عنه، فيفقد للعجب الشديد القدرة أو بعض القدرة على التصوير، ويعوض عن ذلك بنغمة تفاؤلية وبإيحاءات للمستقبل كم كنا نرجو لو تمت.. إذن لما تفرّقنا، ولما عزل بعضنا في أرض الشتات، ولما مات منا الألوف بعد الألوف من أجل أن يعيش طامع ويخذل صاحب حق.. وعبثاً يقول فيما يقول (ص ١٩):

يا تربة الأجداد
لا لوم عليك لا تثريب
فأنت تنبتين النخل والصبار واليعشوب
وفيك تورق الأشواك
والحنظل والطيوب

بل لم نعد نرى إلا الصبار والحنظل والأشواك، وأما غير ذلك فللمتآمرين والعملاء، حتى لكأنه لن يشرق الصباح علينا:

بقوة السلاح والسجال
بالوعي بالمصير
بالصمود والنضال
بنشوة الأرض اليباب
للنجيع من دم الرجال!.





★ أحمد السباعي ★

موت السباعي

أجل توفي الرجل ، الشيخ ، الشاب ، الذي أعطى كثيراً وخدم كثيراً قولا وفعلاً ، سلوكاً وإبداعاً ، والشهادة حاصلة لا نقاش فيها برأي الناس كلهم ، من كان قريباً جداً منهم ومن كان بعيداً جداً ، وما على البعيدين إلا أن يقرءوا ما تفتقت عنه قريحته ، ودبجته يراعته ، وأن يقرءوا شهادات له ترفعه عالياً ، ولم تكن الجائزة التقديرية التي نالها بحق وحقيق آخر الشهادات ، وإنما كانت سبباً لتكاثرها على مستوى عال وعلى المستويات الأدبية كلها . وماذا ينكر الذي تحدثه نفسه بإنكار الفضل ، والتنكر للفاضل ؟ ماذا ؟ الرأي أم الفعل ؟

بقلم: د. علي جواد الطاهر

الريادة أم المثابرة والاحتفاظ بالذهن طرياً والقلب ندياً والروح وطنياً ؟ .

نحن في يوم الثلاثاء ١٦/١٢/١٤٠٤ هـ ، والفقيد من مواليد عام ١٣٢٣ هـ ، تعلّم وعلّم وشرع منذ طراوة العود ، في أواسط العقد الثاني من عمره يكتب ويقرأ بعد أن قرأ ما كتب فاتحاً صدره للآفاق كلها من قديمة وحديثة ، وقديمة جداً وحديثة جداً مما يرد من **مصر والشام** ، وما يرد من المهجريين وراء البحار ، ومن **الهند** وما يترجم وما يحقق . وليس ذلك النهم بقليل فضلاً عن أن يكون مهماً . ولهذا فإنك ترى **السباعي** أو ترى الحجاز خلاله فإذا هو نهضة بمعنى الكلمة من فكر ومشاعر وطنية وإحساس بالزمن وضرورة تدارك الفائت واستقبال المستقبل واللحاق بركب السابقين ثم السير معهم وقد تسبقهم ، ولم لا إذا صحت العزيمة وحسنت النية واتصل العمل ؟ لم لا ؟ وقد كان من ذلك شيء وأشياء .

تصور شباباً في الحجاز ، وفي أعقاب فترة مظلمة وجهل سائد ، يقرءون آخر النظريات في الحياة والفكر والأدب ويستجيبون لها ، ويكتبون ، فتكون لهم المقالة والصحافة والجديد في الأدب ووجهة النظر ، والتجمع والمداولة وإقرار ما يجب عمله ، ويعملون .

ويلحق بأول الركب الشاب اليافع الذي أخذت منه الغَيْرةُ على وطنه مأخذها ودفعته الثقة بصحة الرأي إلى الجرأة والصراحة وتقبل الأذى ، ومجالات العمل لمن طلبها واسعة ، منها ميدان التعلم والتعليم والكتاب المدرسي ، ومنها تأمل أسباب التخلف والجد في فضحها وعلاجها ، ومن تلك الأسباب عادات بالية ، وأفكار سقيمة ونفوس متجمدة ، ومصطادون في الماء العكر ومنها ومنها . . . مما لا بد من إعلان الحرب عليها والدعوة إلى البديل الصالح عنها ، ويأتي جهل المرأة ـ وهي الأم والأخت والزوجة . . . ـ وتجهيلها في مقدمة تلك الأسباب ، ولا بد ـ حينئذ ـ من إيصال نور العلم إليها لتستأنف حياة طبيعية لها ولوطنها وتتضافر جهودها مع جهود أبيها وأخيها وزوجها . . . لخدمة المصلحة العامة ، ولدفع السوء ودرء الخطر ولإقامة أسس النهضة متينة قويمة .

وآراؤه صائبة في كل ما قال وفعل ، لأنها تصدر عن روية واطلاع ، ونظر إلى الواقع المحلي في صور التقدم العالمي ، في البيت ، في المدرسة ، في الشارع ، في الحكم ، . . . في الأدب والفن . . . وهي سائرة من حسن إلى





وأنت
تقرأ

أحسن ويلتقي جيدها بالأجود . ويطول بك المقام لو سردتها ، ويكفيك منها ما بلغ حدود المسرح والمسرحية وكاد ينفذ إلى ما وراءها . ويكفيك ما أثبتته الأيام من صحتها ونقائها وتجرد صاحبها . . .

وإذا كان أمره من **تعليم المرأة** ما علمت وما لم تعلم ، ومن **المسرح** ما سمعت وما لم تسمع ، فلك أن تتصور أمره في الشؤون الأخرى من شؤون البلاد ، على مر الزمن منذ البداية حتى ما نحن عليه وفيه ولا أقول النهاية لأنها لم تنته .

ولعلك سمعت بجريدة «**صوت الحجاز**» ، ومجلة «**قريش**» ، وجريدة «**الندوة**» ، والمطوفين والمطبعة ، والتاريخ والقصة والخاطرة والمقالة . . . وهو فيها كلها المخلص الجريء الواعي الحريص على الإصلاح وعلى أن يعيش مواطنوه كراماً ، وأن يستقر المجتمع على الإنصاف والعدالة والاستمتاع بالحياة الكريمة .

وإذا كتب لك أن تقرأ مؤلفاته ، وتطلع على مقالاته أدركت مدى ما كان يضطرم في نفسه ، وأفق ما كان يتسع آلية أفقه ، وأنه ليقدم لك ذلك الزاد بلغة سلسة وروح طرية وفكر نفاذ وإخلاص يُطل من وراء الحروف ويدلك على نفسه من بين السطور ، ويهمه أن يقرن الخطاب بسمات من الإبداع ، وأن يمزج التقرير بقسط من السخرية .

إنك لا تجد السباعي مؤرخاً في «**تاريخ مكة**» وحده ، وإنما تجده وبأوسع معانيه في شتى الأنواع الأدبية التي طرقها ما بين القصة والشعر المنثور ، وخلال السيرة الذاتية تعكس سيرة المجتمع القديم وتومئ إلى المجتمع الجديد . إن كلمة «تاريخ» ضيقة على قلمه ولو قلت «الحياة» لما أبعدت ولاقتربت من المطلوب ، الحياة كما هي إذ تسوء وتأسن فيثير عجاجها ويفضح نتنها ، والحياة كما يجب أن تكون فيزينها ويجلوها .

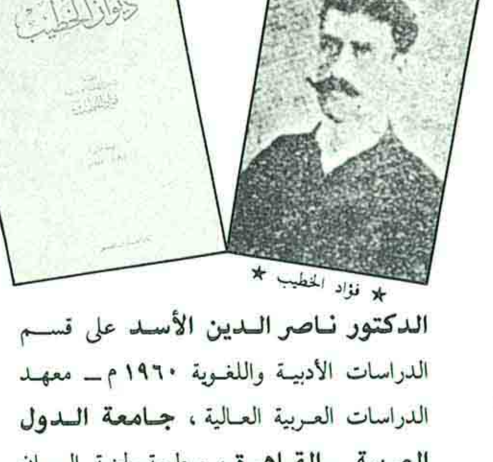
صحيح أن السباعي لقي عنتاً ، ولقي مقاومة ، واصطدم بالجهاد ، وتضارب مع الحجر ، ولكنه تقبل ذلك راضياً كمن حسب له الحساب ، وإنه لحاسب حسابه ، فما كان لمثل رأيه أو قلمه أو فعله ليمر من دون مَن يقف عثرة في السبيل ، ومن يختلق ويتهم ويتطاول . . . صحيح ولكن السباعي لقي التقدير والتكريم في كل مكان وعلى كل لسان . . . والسباعي عاش حتى رأى ما بذره ينبت ، وما أنبته يورق ، وما أورق يثمر . . والسعداء من أمثاله قليلون . وإني لسعيد له ولنفسي بما فعل وقال وعمل ورأى ، إني سعيد على البعد مسافة ، للقرب الذي أشاعه روحاً . . . ولن يختلف عني أيُّ سمع عنه الأخبار أو قرأ له الآثار . . . أما مواطنوه فهم مواطنوه ، وسيكون — إذا لم يكن — عما قريب موضوعاً لماجستير أو دكتوراه ، وقد يكون أكثر من موضوع ، ويكفيه ، وماذا يطلب امرؤ من حياته وفي حياته فوق ذاك ؟ .

أجل ، وإني لعارف بهذا المعرفة كلها ، مم فيما قال الرجل وفعل ورأى وأبدع . . . وعارف أكثر من ذلك أن الرجل نيّف على الثمانين من الأعوام الهجرية . . .

أجل ، ومع هذا ، فقد كان نبأ وفاته فاجعاً لي وكأنه المفاجئ . . فكيف بالآخرين الذين عرفوه عن قرب ، وأدركوا كنه ذاته وسر ثمراته ، كيف ؟ إن حزن عام ١٤٠٤ هـ ، ليلتقي بفرح عام ١٣٢٣ هـ ، لينهض خلالها مجد لفرد قام على مجد لأمة .

فؤاد الخطيب في يافا وعمّان والخرطوم

لم يُعنَ الدارسون **بفؤاد الخطيب** (١٨٨٠ — ١٩٥٧ م / ١٢٩٧ — ١٣٧٦ هـ) . . . ورحتَ تراجع «الدراسات» وتتأكد ظنك ، وتقع على كتاب «**محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن** — ألقاها



★ فؤاد الخطيب ★

الدكتور ناصر الدين الأسد على قسم الدراسات الأدبية واللغوية ١٩٦٠ م — معهد الدراسات العربية العالية ، **جامعة الدول العربية — القاهرة** ، مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٦١ م — ٣٣٢ ص» ، فقلتَ ربما ولعل . . . وتذكرت أن الخطيب أقام في **يافا** مدرِّساً أعواماً ، وأقام في **عمّان** مستشاراً **للأمير عبد الله** نحواً من ثلاثة عشر عاماً . . . فقلتَ قد يكون الدكتور الأسد قد نوّر لنا هاتين المنطقتين اللتين ظلتا مجهولتين في تحديد شعره . وتنظر في «الفهرس» وتجد اسمه ص ٧٦ — ٨٠ فتخف — مع علمك أن الخطيب لا يعد من شعراء فلسطين والأردن — فيخلف ظنك الدكتور الأسد — مع ثقتك به ومكانته لديك ، ومكانة كتابه «**مصادر الشعر الجاهلي**» لدى الجميع — فما زاد الذي جاء لديه — هنا — عما جاء في مقدمة ديوان الشاعر عن حياته . . ومثلاً من شعره يعاتب به الأتراك ومثالان منه في **الملك حسين بن علي** وثورته سنة ١٩١٦ م — وثلاثة الأمثلة لا علاقة لها بيافا أو عمّان ، وأنك لواجدها في أكثر من كتاب آخر .

ثم قال : «وللشيخ فؤاد الخطيب شعر جزل جدير بالدراسة . وقد نظم بعضه خلال مقامه في شرق الأردن من سنة ١٩٢٦ م ، حتى سنة ١٩٣٩ م» ، فقلت بلغنا المقصود ، فسيبيّن الدكتور الأسد هذا الشعر ويحدد قصائده وأغراضه ، وما يمكن أن يكون له في الأمير عبد الله نفسه . ولكن الدكتور الأسد لم يجب عن أسئلتنا واكتفى بقوله : «نظم بعضه خلال مقامه في شرق الأردن» وتبقى الأسئلة مكانها : ماذا نظم ؟ وماذا أراد ؟ وأين نجد هذا النظم محدداً بزمانه ومكانه ؟ وحصة الأمير عبد الله منه ؟ .

قلتُ : ربما نجد الأجوبة في موضوع خاص

من الكتاب عنوانه « **البلاط الشعري للأمير عبد الله بن الحسين** » ، وقد خصص له الأستاذ الباحث قدراً صالحاً من الصفحات (٨٦ ــ ٩٥) جاء فيها : « إن الأمير عبد الله كان واسع الاطلاع على الأدب العربي والتركي ، وذواقة ، ينظم الشعر ، ويحب مجالس الأدب (...) فانضمت (لعلها انتظمت) من حوله طاقة عبقة من الشعراء والكتّاب ألّفوا « بلاطاً » أدبياً عامراً ، وكان من أشهرهم (...) الشيخ فؤاد الخطيب (...) ... » .
لم يذكر لنا شيئاً عن الشيخ فؤاد الخطيب في البلاط الأدبي ، واكتفى بقوله : « وقد تحدثنا عنه » .. أي عن الشيخ فؤاد الخطيب .

تبق الأسئلة ــ إذاً ــ حيث هي ... عن شعر الخطيب في عمّان ؟؟ .

ونبحث عن شعره في يافا ، ماذا قال الخطيب لدن إقامته في فلسطين ، وهو الشاعر القومي الذي يشهد ما يعانيه العرب في فلسطين ، وما يتيحه الإنكليز من امتيازات للصهيونية يمكن أن يدرك معه اللبيب الشريف ما يُبيَّت لفلسطين ؟ لم ترد أية إشارة إلى ذلك حتى عندما وقف الأستاذ الباحث عند شاعر لبناني المولد والنشأة (...) هو وديع البستاني . وكان فؤاد الخطيب سابقاً عليه في الإقامة في فلسطين .

● وبعد ...

فالقصد الأول من هذه الملاحظة ، محاولة الحصول على جواب لسؤال يطلب تحديداً وتبييناً لشعر فؤاد الخطيب لدن إقامته في فلسطين وشرق الأردن ، وقد يكون الدكتور ناصر الدين الأسد أول من يتولى الإجابة ، فهو المعني بالشعر الحديث في فلسطين والأردن كما نعرف عنه ، وكما رأيناه في كتابه الذي ورد ذكره ، وفيما له من كتاب له سابق عليه هو « **الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن** ... معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ١٩٥٧ م » ، ورد فيه اسم فؤاد الخطيب (ص ٤٨) عابراً لدى الكلام على الأمير عبد الله بن الحسين في شرق الأردن : « انضمت من حوله طاقة عبقة من الشعراء والكتّاب ألّفوا بلاطاً أدبياً عامراً ، وكان من أشهرهم : الأمير **عادل عسيران** ، والشيخ **مصطفى الغلاييني** ، والشيخ **فؤاد الخطيب** ، والأستاذ **خير الدين الزركلي** ... » وهو الخبر الذي تكرر في الكتاب التالي للدكتور الأسد : محاضرات في الشعر الحديث .. وقد رأيناه .

ويبقى السؤال عن شعر فؤاد الخطيب قائماً ، عن شعره كله ــ مع علمنا بديوانه الذي صدر عن دار المعارف بالقاهرة سنة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م ــ وعن شعره في يافا ، وشعره في عمّان ... ثم عن شعره في الخرطوم .

أجل ، شعره في الخرطوم ، فثابت أنه درس العربية في **كلية غوردون بالخرطوم** حوالي خمسة أعوام . ولدينا شهادة يرويها **سعد ميخائيل** في كتابه **آداب العصر** عن تلاميذ الخطيب في السودان تنص على شعره هناك ، وتقول ــ فيما تقول ــ : « الأستاذ فؤاد الخطيب معروف لدى كل الناس في السودان (...) ولا عجب فقد أظهر هذا الأستاذ مقدرة تامة في جميع قصائده ، لأنها كانت موضوع إعجاب جميع الناس » . ولعل سعد ميخائيل قال شيئاً آخر في كتابه « **شعراء السودان** » .

إن المنطق والواقع يدلان على قصائد للخطيب نظمها وهو في السودان فأين هي وأين ؟ **وللشعر الحديث في السودان** كتاب ، هو في أصله محاضرات ألقاها **الدكتور محمد إبراهيم الشوش** على طلبة معهد الدراسات العالية (القاهرة ١٩٦٢ م) ، لم نقف فيه لفؤاد الخطيب على مكان إلا ما كان من إشارة عابرة (ص ٤٢) إلى فضله في نشاط الحركة الأدبية وتحرير مجلة « الرائد » .

وللاتجاهات الحديثة في النثر العربي في السودان كتاب ــ هو كسابقه ــ محاضرات ألقاها **الدكتور عبد الله الطيب** على طلبة معهد الدراسات العليا (القاهرة ١٩٥٩ م) ، ولكنه لم يشر إلى فؤاد الخطيب .

وبعد ...

فلن يبخل المستقبل بإعادة الحق الذي ضيعه الحاضر من شأن فؤاد الخطيب شاعراً كاتباً ، وإن الخطيب لموضوع مكتمل لمن يبحث عن موضوع قيّم للماجستير أو الدكتوراه .



★ محمد مهدي البصير ★

بعث الشعر الجاهلي

أصدر الدكتور **طه حسين** كتابه « الشعر الجاهلي » سنة ١٣٤٤ هـ ــ ١٩٢٦ م ، فأحدث ضجة وردوداً ، ومن هذه الردود كتب صدرت في مصر ، وهي معروفة ، وقد يكون من غير المعروف ما كان من رد خارج مصر ؛ ومنه ما عمله الشيخ ــ آنذاك ــ **محمد مهدي البصير** أستاذ الأدب العربي في « **جامعة آل البيت** » **ببغداد** ، فلقد رأى أن فكرة الكتاب « غير صحيحة ، وأن الصواب هو الاعتراف بكثير من الشعر الجاهلي ولا سيما ــ **المعلقات** ــ أو « **المطولات السبع** » ، فوضع في ذلك كتاب بعنوان « **الأدب العربي قبل الإسلام** » أنجزه سنة ١٩٢٩ م ، ودرّسه في « جامعة آل البيت » ، وبقي الكتاب مخطوطاً » . ولما غادر العراق عام ١٩٣٠ م ، للدراسة العالية في **فرنسا** كان عزمه « نقل ذلك الكتاب إلى الفرنسية وتقديمه بشكل أطروحة في **السوربون** » ، وحال دون تنفيذ العزم إنكار المستشرقين ، وعلى رأسهم **ماسينيون** « أن يكون هناك شعر جاهلي » ، ومضى يعمل للدكتوراه في موضوع فرنسي صرف من شعر « **كورني** » فحصل عليها وعاد إلى بغداد ، وعُيِّن أستاذاً للأدب العربي بدار المعلمين العالية سنة ١٩٣٨ م ، ولكنه لم يترك عزمه الأول ورأيه المطمئن ، وقد قصر البحث على إثبات « جاهلية المعلقات أو ــ السبع المطولات ــ ومتى تم لنا القول إن هذه القصائد السبع جاهلية حقاً ، فإننا نكون قد أنقذنا أمجد صفحات الشعر الجاهلي من الجحود والإنكار ، ذلك لأن هذه المطولات أقوى وأجمل وأمتع ما وصلنا من الشعر الجاهلي على الإطلاق » وهذا خلاصة رأيه ، ومن البرهان عليه :

« إن أكبر سلاح يستعمله منكرو الشعر

الجاهلي للطعن في المعلقات هو القول إن **حماد الراوية** المعروف بـ « الكذاب » أول من جمعها ودوّنها في سفر . ولست أريد أن أناقش فساد ذمة حماد ، ولكني أقول : إنه أعجز بكثير من أن يقول هذه المطولات السبع أو واحدة منها أو جزءً تاماً من أجزاء إحداهن . إن حماداً يستطيع أن يقول البيت أو الأبيات القليلة من الشعر المبتذل وأن يدسها في شعر أحد الجاهليين ليدل بذلك على أنه أغزر علماً وأصدق رواية من غيره من الرواة ، ولكنه لا يستطيع أن يقول قصيدة واحدة ذات شخصية أدبية وقيمة فنية !! . وقد أحصيت ما عُرف لحماد من الشعر ، على أنه له ، أو على أنه محمول على بعض الشعراء الجاهليين أو المخضرمين ، فكان كله أربعة وعشرين بيتاً . . . » ومضى الدكتور البصير ينشد هذه الأبيات .

أقول : ينشد ، لأنه يتحدث في « بعث الشعر الجاهلي » من « **دار الإذاعة اللاسلكية** » وقد ألقى في ذلك ثمانية أحاديث سماها « محاضرات » هي : **امرؤ القيس** ، **زهير** ، معلقتان (**عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة**) ، **عنترة العبسي** ، اطروحتان (بيّن فيها الأساس في كتابه والدافع إليه) ، قيمة الشعر الجاهلي (في محاضرتين) ، الشعر الفني كما أتصوره . كانت المحاضرة الأولى بتاريخ ٢ /٨ /١٩٣٨ م ، وطبعت المحاضرات الثماني في كتاب ١٩٣٩ م ، (بغداد ، مطبعة التفيض الأهلية) .

ومن منهجه في الحديث عن الشعراء : إثبات وجودهم الحقيقي ، ونفي الشك عن معلقاتهم ، ثم دراسة المعلقة تحليلاً وتعليقاً في بيان خصائصها الفنية ، وقيمتها التاريخية ، وصلتها بمجتمعها وبيئتها الطبيعية ، دون أن يمنعه ذلك عن بيان شك في هذا البيت أو ذاك منها ، وبيان السلب في هذا المعنى أو ذلك الخبر .

ووقف أطول وقفة مع الدكتور طه حسين في « محاضرته » عن امرئ القيس ، فلم ير « مسوغاً للشك بشعره عن طريق اللغة ، فمائة سنة تكفي لجعله نجدياً صميماً وللحيلولة بين شعره وبين نحو اللغة الحميرية وصرفها » « إن لغة نجد جرت مع الدم في عروق امرئ القيس » . وسخر من رأي الدكتور طه حسين القائل إن « قفا نبك » من نظم جماعة من الرواة أو (الشعراء) !! . . . وكان بودنا أن « يخبرنا . . . كيف ومتى وأين ولماذا تعاون أولئك الرواة على نظم هذه القصيدة ؟؟! » .

وشرع يشرح الأسباب التي دعته إلى إثبات المعلقة فقال : « رويت هذه القصيدة على أنها لامرئ القيس في القرن الثاني للهجرة ، وكبار الرواة وثقاتهم كالمفضل الضبي وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وغيرهم أحياء ، ولم يطعن أحد منهم بجاهليتها أو في نسبتها إلى امرئ القيس ، ولم يكن هؤلاء الناس من السذاجة وفساد الذمة بحيث يسكتون عن تخرص كهذا في رواية الأدب . . . » . وبيّن كيف أنهم أبطلوا نسبة لامية العرب للشنفرى ، وأنهم « أكدوا للجمهور أنها من نظم خلف الأحمر » ، وأنهم فعلوا مثل ذلك في مرثية تأبط شراً التي مطلعها :

إن في الشعب الذي دون سلع
لقتيلاً دمه لا يطل

بل إنهم نقدوا « جزءً من معلقة امرئ القيس نفسها . . . فهم يبرؤنها » من أبيات (ذكرها) .

وبعد ففي الوقفة المخلصة الموضوعية الناقدة التي وقفها الدكتور البصير من آراء الدكتور طه حسين في « الشعر الجاهلي » ما يحسن العلم به ونشره وضمه إلى ما هو معروف مشهور في الكتب التي تصدت للرد على كتاب الدكتور طه حسين ، ففي آراء البصير أصالة وتميز ، ولم يرد أن يكرر ما قاله الآخرون ، فهو ـ والحالة هذه ـ متمم لهم ، وقد اكتفى بمعالجة المشكلة في صميمها . لقد حمل حماد الراوية الجانب الأكبر من نسبة افتعال الشعر الجاهلي (المعلقات خصوصاً) ، فإذا لم يكن حماد من الشاعرية على الدرجة التي تجعله أهلاً لنظم هذا النسق العالي من الشعر المبدع ، فكيف يتأتى له الاختلاق ؟ وإذا كان من الكذب على الدرجة التي اشتهر بها فكيف يسكت عن الرواة الثقات المتأثمون ؟! .

و « بعث الشعر الجاهلي » جدير بإعادة الطبع لقيمته ولحاجة الباحث إلى مثله . ولا يبعد أن تقع إعادة الطبع هذه ، ولهذا فإني أقترح لدى وقوعها أن « يلحق » به موضوعان نشرهما الدكتور البصير في **مجلة « الميزان »** (١٣٦١ هـ ـ ١٩٤٢ م) هما من صميم الشعر الجاهلي ، ولم يحوهما كتاب من كتبه المطبوعة . الأول عن « **النابغة الذبياني** » والثاني عن « **أعشى بكر** » .

وأفتقد في « بعث الشعر الجاهلي » ، لأول مرة وبعد مرور نحو من خمسة وأربعين عاماً ، لبيداً فأرجع إلى الكتاب فلا أجد « محاضرة » عن الشاعر أو معلقته ، وذلك أمر عجب . وقد يجد السائل شيئاً في سطرين وردا في لمحة عن أسلوب لبيد وأسطراً في مناسبة ثانية ، وكأن المؤلف لم يكن معجباً بالمعلقة وإن كان لا يخالجه شك في صحة نسبتها وصحة جاهليتها . أتراه بحث لبيداً ـ أو معلقته ـ في مكان آخر أو زمن تال ؟ قد ، ولا أدري ، ولا أحسب . وفات أوان الوقوع على جواب حاسم أو محاولة الدخول في نقاش مجد .

ويذكر أن الدكتور البصير لم ينصرف ـ بعد محاضراته ـ إلى الشعر الجاهلي دراسة أو تدريساً ، وإنما كان يكتفي منه بأن يُهدي الطلبة الجدد من كل عام نسخاً من كتابه ، فيقرءوه ـ بإشرافه وعلى سمعه ـ ثم « يملي » عليهم صفحات جديدة عن « النابغة » و « الأعشى » .

أما انصرافه الأكبر بحثاً ومحاضرة فقد اتجه لعصور تالية ، يظل يكرر مادتها كل عام مع شيء من التشذيب والزيادة ، منتظراً الفرصة التي تخفف عن كاهله المال اللازم للطبع ، فإذا حلّت ، كأن تقرر عمادة « الدار » الطبع على نفقتها ، لم يتأخر . ومن هنا كان ـ فيما كان ـ الكتاب الذي سنقف عنده في مناسبة قابلة : **عصر القرآن الكريم** .

لبنان في حائل

شعر: سليم الرافعي

أبا حاتم[1] ! نُوديتُ يوماً بحائل　　وأيقظني التاريخُ بين الأوائلِ
رُدِدْتُ إلى قومي بها في مقانبٍ[2]　　من العَرَبِ الأحرار أوْ في محافلِ
وقالتْ ليَ الأفياءُ في كلِّ منزلٍ　　نُلاقيكَ أهلاً يا غريبَ المنازلِ
بنو طيِّء[3] والعبقريَّةُ تنتمي　　إلى المَثَلِ الأعلى بهمْ في الشمائلِ
تُناديكَ أجدادٌ عظامٌ وأُمةٌ　　هي الشمسُ لمْ تبرحْ لظىً في المشاعلِ
تنسَّمْ نسيمَ الجود من عهْدِ « حاتم »　　وقفْ بين آثارٍ بها ومعاقلِ
رمالٌ وأشواقٌ ففي كلِّ حبَّةٍ　　من الرمْلِ تاريخُ النَّدى في القبائلِ
يقولونَ لي فيها : مِنَ البحر جئتنا ؟　　فقلتُ : لعمري ! تلك إحدى المسائلِ
أنا البَدَويُّ القحُّ يا آلَ طيِّءٍ　　وَلَدْتُ لقومي (حاتماً) من سلائلِ
وما عشْتُ في (لبنانَ) إلا كطائرٍ　　تنقَّلَ في الأفنانِ بين الخمائلِ
أغنّي بكمْ .. والبحرُ يسمعُ والذُرا　　من (الأرز) لم تُنكرْ غناءَ البلابلِ
أنا العربيُّ المستبدُّ بشاهقٍ　　على جبَلَيْ (سلمى) حليفُ الصَّواهلِ
ألمْ تحملِ الآفاقُ صوتي مُدوِّياً　　بآي كتابِ الله بين الرسائلِ ؟
إذا جادَ (لبنانٌ) بشاعرِ نَهْضةٍ　　فمنْ (طيِّءٍ) في الجود دمْعُ الجداولِ



الهوامش

(١) كنية الشاعر.
(٢) مقانب : جماعات ، مفردها مقنب.
(٣) طيِّء ، بتشديد الياء ، اسم القبيلة المشهورة.

غرس الشجر بالمساجد

(وثيقــة أندلسية)

دراسة وتحقيق : د. محمد عبد الوهاب خلاف

نص الوثيقة

غرس الشجر في صحن المسجد*

[٣٢٥] كان (ابن عتاب)[1] ــ رحمه الله ــ لا يرى غرسها في صحون المساجد ، ولا شيئاً مما ينبت . وكان ينكر ذلك ويمنع منه ويغيره إذا (أمكنه)[2] .

وذكر (أحمد بن خالد)[3] ، أنه سأل (ابن وضاح)[4] عن الشجرة تكون في صحن المسجد .

فقال : أحب إلي أن تقطع ولا تترك فيه ، ولم أر في مساجد الأمصار شجرة لا بالشام ولا (بغيرها)[5] . قلت : فإذا كانت هل ترجع ترى أن الأكل منها مباح .

(فقال)[6] : إنما هي للمؤذن وشبهه وما كنت أحب أن آكل منها .

وذكر (أحمد بن عبد البر)[7] في تاريخه : في باب (صعصعة بن سلام)[8] : أنه أعني صعصعة : ولي الصلاة بقرطبة قال : وفي أيامه غرست الشجرة في الجامع وهو مذهب (الأوزاعي)[9] ، والشاميين و (مالك)[10] وأصحابه يكرهونه ، وتوفي صعصعة[11] سنة اثنتين وتسعين ومائة هجرية .

غرس الشجر في صحن المسجد

الوثيقة التي نتناولها بالدراسة والتعليق والتحقيق مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٦ هـ .

وفي هذه الوثيقة طرح سؤال على الفقيه المشاور ابن عتاب عما إذا كان غرس الأشجار في صحن المساجد أمراً مباحاً أم غير مستحب . وقد كان رأي ابن عتاب عدم غرس الأشجار في صحون المساجد ، وعدم غرس أي شيء آخر مما ينبت ، وكان ينكر ذلك ويمنعه ولم يفصح عن المبرر الشرعي لهذا التحريم .

وقد سئل أحمد بن خالد عما يتبع في شأن الشجرة التي تنبت في صحن المسجد ، فكان جوابه أن تقطع ولا تترك فيه ، إذ لم ير في مساجد الأمصار بالشام ولا في غيرها غراساً في صحن مساجدها ، وإذا وجدت شجرة وآتت أكلها فلا يستحب أكل ثمارها ، وإنما هي لمؤذن المسجد ومن هم على شاكلته ممن يقومون على خدمة المسجد .

وقد حدث في أيام صعصعة بن سلام

المراجع

ابن خلكان : (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) ، وفيات الأعيان ، تحقيق : د . إحسان عباس ، دار صادر ، ١٩٧١ م ، بيروت .

ابن سهل : (أبو الأصبغ عيسى ... الأسدي الأندلسي) ، الأحكام الكبرى (مخطوط) نسخة مكتبة الزاوية الناصرية ، بتمكروت رقم ١١٨٩ ، مخطوطات الأوقاف رقم ٨٣٨ ق ، الخزانة العامة ــ الرباط .

ابن فرحون : (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد) ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، جزءان ، تحقيق : د . محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، بدون تاريخ .

ابن الفرضي : (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ) ، تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م ، القاهرة .

الحميدي : (أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله) ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م ، القاهرة .

خلاف : (محمد عبد الوهاب ــ دكتور) :

ــ وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس ، ١٩٨٠ م ، القاهرة .

ــ وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس ، ١٩٨٠ م ، القاهرة .

الضبي : (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧ م ، القاهرة .

التعليقات والحواشي

★ النسخة الأصلية التي اعتمدنا عليها في تحقيق هذه الوثيقة هي نسخة مكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت رقم ١١٨٩ من مخطوطات الأوقاف رقم ٨٣٨ ق ، الخزانة العامة بالرباط ورمزنا لها بـ « الأصل » الذي التزمنا بترقيم صفحاته وأثبتناه . والنسخة الثانية من مخطوطات مكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت تحت رقم ٣٧٠ ق ، مخطوطات الأوقاف ، ورمزنا لها بالرمز « قج » ، والنسخة الثالثة تحت رقم ٣٣٩٨ ، المكتبة العامة بالرباط ورمزنا لها بالرمز « دب » .

انظر التعريف بهذه المخطوطات ومؤلفها في تمهيد كتابينا « وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس » ، و « وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس » .

(١) ابن عتاب : هو الفقيه « محمد بن عتاب بن محسن » . ويكنى : أبا عبد الله . كان شيخ أهل الشورى في زمانه ، وعليه مدار الفتوى في وقته . دعي إلى القضاء مراراً فأبى من ذلك وامتنع ، توفي سنة ٤٦٢ هـ ــ ١٠٧٠ م ، انظر في ترجمته محمد خلاف : وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس حاشية رقم ٢٣٣ ، ص ٦٥ ، وما ورد فيها من مصادر .

(٢) في قج : أمكن .

(٣) أحمد بن خالد : هو « أحمد بن خالد بن يزيد بن محمد بن سالم بن سليمان » . ويعرف : بابن الجباب ؛ من أهل قرطبة ، يكنى : أبا عمر . كان إماماً في الفقه والحديث والعبادة . توفي سنة ٣٢٢ هـ ، انظر في ترجمته ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس : ترجمة رقم ٩٤ ، الحميدي : جذوة المقتبس ترجمة رقم ٢٠٥ ، ابن فرحون : الديباج المذهب : ١ / ١٥٩ ــ ١٦٠ .

(٤) ابن وضاح : هو « محمد بن وضاح بن بزيغ » مولى عبد الرحمن بن معاوية ، من أهل قرطبة . يكنى : أبا عبد الله . كان عالماً بالحديث ، بصيراً بطرقه متكلماً على علله ، توفي سنة ٢٨٧ هـ ، انظر في ترجمته ابن الفرضي : ترجمة رقم ١١٣٦ .

(٥) في قج : غيرها .

(٦) في قج : قال .

(٧) أحمد بن عبد البر : هو « أحمد بن محمد بن عبد البر » ، من أهل قرطبة ، من موالي بني أمية . يكنى : أبا عبد الملك ، كان بصيراً بالحديث ، فقيهاً نبيلاً متصرفاً في فنون العلم ، وكان علم الحديث أغلب عليه ، وله كتاب مؤلف في

عندما ولي الصلاة بجامع قرطبة ، أن غرست شجرة في صحن المسجد الجامع جرياً على مذهب الأوزاعي والشاميين ، ولكن مالك وأصحابه يكرهونه .

وإذا كان من سلف ذكرهم ، ممن أنكروا غرس الأشجار في صحون المساجد وكرهوه ، لم يبدوا سبباً للتحريم الذي انتهى إليه رأيهم ، سوى أنهم لم يشهدوا لهذا نظيراً في الأمصار من قبل . إلا أنه يمكن تعليل هذا الرأي ، بأن الأصل في المساجد أنها دور للعبادة وإقامة شعائر الدين بتفرغ تام لهذه العبادة ، فلا تستغل كمزارع للغراس على وجه يخرجها عن غرضها الأصلي ، ويصرف الأذهان عن التفكر في أمور العبادة إلى الانشغال برعاية هذه الغراس وسقياها وترقب ثمارها بما يستتبعه ذلك من جهد في حرث الأرض وتهيئتها وتسميدها ، مما لا علاقة له بشؤون العبادة ، بل ومن أثره صرف الاهتمام بالعبادة إلى الاهتمام بالأشجار وثمارها ، والتهافت عليها واقتسامها وما إلى ذلك مما يخرج عن أغراض العبادة ، فضلاً عن التلوث واستنفاد الماء .

الفقهاء بقرطبة ، توفي سنة ٣٣٨ هـ ، انظر في ترجمته : ابن القرطبي : ترجمة رقم ١٢٠ .

(٨) صعصعة بن سلام : هو « صعصعة بن سلام الشامي . يكنى : أبا عبد الله . يروي عن الأوزاعي وغيره . وكانت الفتيا دائرة عليه بالأندلس أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، وصدراً من أيام هشام بن عبد الرحمن وولي الصلاة بقرطبة ، وفي أيامه غرست الشجر في المسجد الجامع ، توفي سنة ١٨٠ هـ ، انظر في ترجمته ابن الفرضي : ترجمة رقم ٦١٠ ، الحميدي : ترجمة رقم ٥١٠ ، الضبي : بغية الملتمس ، ترجمة رقم ٨٥٣ .

(٩) الأوزاعي : هو « أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي ، إمام أهل الشام . قيل إنه أجاب في سبعين ألف مسألة . وكان يسكن ببيروت ، وتوفي سنة ١٥٧ هـ ، انظر في ترجمته ابن خلكان : وفيات الأعيان ، المجلد ٣ ، ترجمة رقم ٣٦١ ، وما ورد فيها من مصادر .

(١٠) مالك : هو الإمام مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة وصاحب المذهب الذي ينسب إليه . توفي سنة ١٧٩ هـ ، وهو أشهر من أن نترجم له ، وكتابه (الموطأ) هو أساس المذهب المالكي .

(١١) ساقطة في دب .



يا ليلُ .. !

شعر : أحمد حسن القضاة

كم تَطْوي يا ليلُ أسْراراً مغلّقةً
ويَنْقضي العمْرُ لا يبْدو لها أثَرُ !!
وأنتَ مُلْهمُ أهْلِ الفنِّ تَمْنَحهمْ
منْ سحْرك العَذْبِ أنغاماً لها صُوَرُ
كَمْ مِنْ مُغَنٍّ يَصُوغُ اللحْنَ مُنْطَلِقاً
رفيقُه الدَمْعُ والآهاتُ والوتَرُ !!
وشاعرٍ منْكَ يَسْتوحي فَرائدَهُ
باتَتْ كأنَّ قوافيهُ هيَ الدُرَرُ !
وكَمْ تَلاقَتْ منَ الأحْبابِ أفْئدَةٌ
في جَوْفِكَ الرَحْبِ واسْتَرعاهمُ القَمَرُ !
فَمِنْ ظَلامِكَ يَتَّخِذُونَ سِتْرَهُمو
لوْلاكَ يا لَيْلُ ما جاءوا وما اسْتَتَروا !
وكَمْ تَعَبَّدَ زُهَّادٌ وما سَئِمُوا
طُولَ التعبّدِ .. وانْصَاعوا لِمَا أُمِروا !
وكَمْ تآمَرَ أشْرارٌ لِمسْأَلَةٍ
في جُنْحِ لَيْلٍ .. وقد غَشَّاهُمُ الحَذَرُ !
فإنْ (يَفُوزوا) فيا بُؤساً لقَوْمهمو
وإنْ يَبوءُوا فيا تَبًّا لِمَا ائْتَمَروا !



من المصنفات الصرفية

حفل التاريخ بالعديد من كتب الصرف التي ضاعت بمرور الزمن ولم يبق منها إلا الأسماء، ومن أقدم هذه الكتب كتاب «الهمز» لعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ هـ، وكتاب «التصاريف» لابن كيسان المتوفى سنة ١٢٠ هـ، وكتاب «التصريف» لأبي الحسن علي بن مبارك المعروف بالأحمر الكوفي المتوفى سنة ١٩٤ هـ[١].

ومن الملاحظ أن الصرف ظهر مبكّراً في الكوفة، وبرع علماؤها فيه، ثم كثرت منذ نهاية القرن الثاني الهجري كتابة أعلام الكوفة والبصرة للصرف، في موضوعات مستقلة.

فمّا ورد من ذلك لأعلام الكوفة كتب[٢]: التصغير، والوقف والابتداء الكبير، والوقف والابتداء الصغير، والإفراد والجمع، المنسوبة جميعاً **لأبي جعفر الرؤاسي أستاذ الكسائي والفراء** المتوفى سنة ١٨٧ هـ، وكتاب المصادر للكسائي المتوفى سنة ١٩٧ هـ، وكتب: فعل وأفعل، والمقصور والممدود، والمذكر والمؤنث، وحدّ الفعل الرباعي، وحدّ الفعل الثلاثي، وحدّ الهمز، وحدّ الأبنية، وحدّ المقصور والممدود، للفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ، وذكر **أبو علي الفارسي** أن الفراء صنّف كتاب «التصريف»[٣]، وهو أيضاً من الكتب التي أفردت هذا العلم كما هو واضح بتأليف مستقل.

ومما ورد من ذلك لأعلام[٢] البصرة: كتاب المقصور والممدود **لليزيدي** المتوفى سنة ٢٠٢ هـ، وكتاب المصادر **للنضر بن شميل** المتوفى سنة ٢٠٤ هـ، وكتاب الهمز، وكتاب فعيل وأفعل **لقطرب** المتوفى سنة ٢٠٦ هـ، وكتب: الهمز، والمقصور والممدود، والاشتقاق، والإبدال، وفعل وأفعل **للأصمعي** المتوفى سنة ٢١٣ هـ، وكتب: فعيل وأفعل، والمصادر، والجمع والتثنية **لأبي عبيدة معمر بن المثنى** المتوفى سنة ٢١٣ هـ، وكتب: الجمع والتثنية، وتحقيق الهمز، والمصادر، والهمز، **لأبي زيد الأنصاري** المتوفى سنة ٢١٤ هـ.

أشهر كتب الصرف

ومن أشهر كتب الصرف منذ بداية القرن الثالث الهجري، وحتى منتصف القرن السابع[٤] الهجري: المقصور والممدود **لأبي عبيد بن سلام** المتوفى سنة ٢٢٤ هـ، والتصريف **للتوزي** المتوفى سنة ٢٣٨ هـ، والتصريف، والقلب والإبدال، والمقصور والممدود، والمذكر والمؤنث، وفعل وأفعل **ليعقوب بن السكيت** المتوفى سنة ٢٤٦ هـ، والمقصور والممدود **لأبي حاتم السجستاني** المتوفى سنة ٢٥٠ هـ، والتصريف، والمذكر والمؤنث، والمقصور والممدود **للمبرد** المتوفى سنة ٢٨٥ هـ، والتصغير، والوقف والابتداء **لثعلب** المتوفى سنة ٢٩١ هـ، والوقف والابتداء، والتصاريف، والمقصور والممدود **لابن كيسان** المتوفى سنة ٢٩٩ هـ، والاشتقاق **للزجاج** المتوفى سنة ٣١٠ هـ، والاشتقاق **لابن السرّاج** المتوفى سنة ٣١٦ هـ، والمقصور والممدود، والمذكر والمؤنث **لابن شقير** المتوفى سنة ٣١٧ هـ، والاشتقاق **لابن دريد** المتوفى سنة ٣٢١ هـ، والمقصور والممدود، والتصريف **لابن درستويه** المتوفى سنة ٣٤٧ هـ، والأفعال **لابن القوطية** المتوفى سنة ٣٦٧ هـ، وألفات الوصل والقطع **للسيرافي** المتوفى سنة ٣٦٨ هـ، والاشتقاق، والمقصور والممدود **لابن خالويه** المتوفى سنة ٣٧٠ هـ، والمقصور والممدود، والتكملة في التصريف **للفارسي** المتوفى سنة ٣٧٧ هـ، وأبنية الأفعال **لابن القطاع الصقلي** المتوفى سنة ٥١٥ هـ، والمقتصد في التصريف **للحسن بن صافي** الملقب بملك النحاة المتوفى سنة ٥٣٨ هـ، والوجيز في التصريف، وميزان العربية **لأبي البركات كمال الدين الأنباري** المتوفى سنة ٥٧٧ هـ، ونزهة الطرف في إيضاح قانون الصرف، والترصيف في علم التصريف **لأبي البقاء العكبري** المتوفى سنة ٦١٦ هـ، وكتاب في التصريف **للصاغاني** المتوفى سنة ٦٥٠ هـ.

ويعدّ «تصريف **المازني**» المتوفى سنة ٢٤٩ هـ، رأس المصنفات الصرفية الخالصة وأهمها وأشهرها، وقد شرحه **ابن جني** المتوفى سنة ٣٩٢ هـ، شرحاً مستفيضاً سمّاه «المنصف» وذيّله بشرح الغريب مما ورد في أبواب تصريف المازني باباً باباً، ولكنه مع نفاسته لم يجمع كل أبواب الصرف. ومن أشهرها كذلك كتاب الأبنية **لأبي بكر الزبيدي** المتوفى سنة ٣٧٩ هـ. ومن أشهرها أيضاً «التصريف الملوكي» وهو مختصر لطيف ونفيس **لابن جني**، وقد شرحه **ابن الشجري** المتوفى سنة ٥٤٢ هـ، **والواسطي** المتوفى سنة ٦٢٦ هـ، **وابن يعيش** المتوفى سنة ٦٤٣ هـ، وهو كذلك غير جامع لقواعد الصرف. ومنها «نزهة الطرف في علم الصرف» **لأحمد بن محمد الميداني** المتوفى سنة ٥١٨ هـ، و«الوجيز في علم التصريف» **لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري** المتوفى سنة ٥٧٧ هـ، ومنها شافية **ابن الحاجب** المتوفى سنة ٦٤٦ هـ، وهي كتاب جامع لكل أبواب الصرف إلا قليلاً، وما فيه هو زبدة فن التصريف في أوراق قليلة أشار مؤلفها فيها إلى اختلاف العلماء أحياناً وإلى لغات العرب ولهجاتهم أحياناً أخرى بترتيب مبتكر، وقد وصفها **نقره كار** بقوله: «كتاب صغير حجمه بل عباب كثير علمه منطو على دقائق الأسرار العربية محتو على المباحث التي هي مفتاح العلوم الأدبية»[٥].

وقد جمعت الشافية خلاصة كتاب سيبويه وزبدة مفصّل الزمخشري، وعني بها العلماء وشرحها كثيرون منهم، وأشهر شروحها وأكثرها تفصيلاً ودقة شرح **الرضي الاستراباذي** المتوفى سنة ٦٨٨ هـ، وقد وصف شرحه قائلاً: «قد عزمت على أن أشرح مقدمة ابن الحاجب في التصريف والخط، وأبسط الكلام في شرحها كما في شرح أختها بعض البسط، فإن الشرّاح قد اقتصروا على شرح مقدمة الإعراب ـ يعني بذلك كافيته ـ وهذا ـ مع قرب التصريف من

في الأطوار المتعاقبة

بقلم: د. محمد عبد الكريم الأسعد

الإعراب في مساس الحاجة إليه ومع كونهما من جنس واحد ـ بعيد من الصواب »[٦].

ويلي هذا الشرح في التوسع شرح **أحمد بن الحسن** المشهور بالجاربَرْدي المتوفى سنة ٧٤٦ هـ، ثم شرح السيد عبد الله بن محمد الحسيني المعروف بنقره كار المتوفى سنة ٧٧٦ هـ، وقد وصف شرحه فقال: « كتبت له ـ يعني لمختصر ابن الحاجب ـ شرحاً مراعياً فيه شريطة الاختصار، متجافياً عن وصمة الإطالة والإكثار، إذ الإيجاز قد يخلّ، والإطناب قد يُملّ، وافياً بتلخيص مقاصده ومبانيه، كافياً بانحلال ألفاظه ومعانيه، مع إيرادات سمح بها الخاطر، وتقييدات هدى إليها الناظر »[٧].

وهناك شرح على الشافية لشيخ الإسلام **زكريا الأنصاري** المتوفى سنة ٩٢٦ هـ، وعلى هذا الشرح حاشية **للشنواني** المتوفى سنة ١٠١٩ هـ، تدعى « المناهل الصافية على المناهل الكافية »، ومن شروح الشافية الهامة أيضاً شرح **العصام الأسفراييني** المتوفى سنة ٩٤٥ هـ.

ومن كتب الصرف المشهورة أيضاً « التصريف العزي » للشيخ **عز الدين أبي المعالي إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجاني**[٤] المتوفى سنة ٦٥٥ هـ، والمعروف بالعزّي، وكتابه هذا مختصر ذائع الصيت، شرحه كثير من المؤلفين، منهم السيد **الشريف الجرجاني** المتوفى سنة ٨١٦ هـ، وقد قال أحد الباحثين عن شرحه: كان العمل في الجامع الأزهر جارياً على تدريس هذا الفن في كتب ابن مالك وابن هشام التي لم تُعْنَ بمباحث الأفعال العناية الخليقة بها مع أن هذه المباحث في المكان الأول من مباحث هذا الفن، ثم رؤي أنه يجب تدريس مباحث الأفعال وما يرتبط بها في كتاب شرح السيد الشريف الجرجاني على تصريف العزي وهو كتاب واسع المباحث، دقيق العبارات، كثير التعليلات، جمّ الفائدة كثير العائدة جمع شذور الفن وما تفرّق منه »[٨].

وممّن شرح التصريف العزي أيضاً **سعد الدين التفتازاني** المتوفى سنة ٨٩١ هـ، وعلى هذا الشرح حواش مهمة منها حاشية **كمال الدين دده خليفة** التركي المعروف بقره دَدَه، أو دَدَه جونكي المتوفى سنة ٩٧٥ هـ، وحاشية « تدريج الأداني إلى قراءة شرح السعد على تصريف الزنجاني »[٩] للشيخ **عبد الحق سبط العلامة** النووي الثاني.

وممّن شرح التصريف العزي أيضاً **أبو الحسن علي بن هشام الكيلاني، وعلي بن حامد الأشنوي**، وشرح الأشنوي هذا شرح جيّد وصفه صاحبه بقوله: « أردت أن أضمّ إليه ـ أي إلى المتن ـ ما يتمّم فوائده، وأزيد عليه ما يعمّم فرائده مع نسخ بعض عباراته آتياً بخير منها وتبديل قواصر كلماته شاغلاً بأشمل منها »[١٠]، وعلى هذا الشرح حاشيتان إحداهما **لعمر بن محمد أمين** الشهير بابن القره داغي المتوفى سنة ١٣٥٥ هـ، والثانية **لعلي القزلجي**.

وموضوعات التصريف العزي وما عليه من شروح وما على الشروح من الحواشي هي تصريف الأفعال وصوغ أسماء الفاعلين والمفعولين والزمان والمكان والآلة والمرّة تقريباً.

ومن كتب الصرف المشهورة أيضاً « الممتع في التصريف » **لابن عصفور الإشبيلي** المتوفى سنة ٦٦٣ هـ، و « المبدع في التصريف » وهو كتاب جيّد **لأبي حيان الأندلسي** المتوفى سنة ٧٤٥ هـ، لخّص فيه ممتع ابن عصفور « فاختزل عباراته، وأسقط شواهده وما فيه من احتجاج وجدل واستطراد، وقدّم وأخّر في بعض عباراته تبعاً لتنسيقه الخاص في عرض المادة دون أن يجري في تلك المادة تنقيحاً أو تصويباً يذكر »[١١].

وممّا اشتهر في فن الصرف « لامية الأفعال » أو « كتاب المفتاح في أبنية الأفعال » **لابن مالك** المتوفى سنة ٦٧٢ هـ، وهي منظومة في مائة وأربعة عشر بيتاً مفتتحها قوله:

الحمد لله لا أبغي به بدلا ... حمداً يبلّغ من رضوانه الأملا

ومن أبياتها قوله:

وبعد، فالفعل من يحكم تصرفه ... يحز من اللغة الأبواب والسبلا

فهاك نظماً محيطاً بالمهمّ وقد ... يحوي التفاصيل من يستحضر الجملا

و « فتح الأقفال وحلّ الأشكال بشرح لامية الأفعال لابن مالك » وهو **لجمال الدين محمد بن عمر بن مبارك اليمني الحضرمي** المعروف ببحرق المتوفى سنة ٩٣٠ هـ، وهذا هو الشرح الكبير، وله شرح آخر صغير على هذه اللامية، وموضوعات الشرحين واحدة، وقد تابع فيهما موضوعات اللامية نفسها، وهي أيضاً إلى حدّ كبير نفس موضوعات التصريف العزي، وقد وصف بحرق شرحيه بقوله: « إني كنت شرحت القصيدة اللامية المسمّاة بلامية الأفعال في علم الصرف للإمام جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك بشرح بسطته بكثرة الأمثال وإيراد معظم مواد الأفعال ليكون صاحبه بأبواب اللغة وسبلها ظافراً وحائزاً منها حظًّا وافراً ثم رأيت أن أجرّد من مقاصده وأسرد من فوائده ما ينبّه عزائم الطالبين عليه ويدعو همم الراغبين إليه، فإنه كتاب عظيم الفوائد جمّ العوائد »[١٢].

وهناك حواش متعددة على شرح بحرق الصغير خاصة، منها حاشية **ابن حمدون بن الحاج** المتوفى سنة ١٢٧٣ هـ، وحاشية **أحمد الرفاعي** المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ.

وقد صنعت للامية ابن مالك هذه شروح أخرى **لابن الناظم**

من المصنفات الصرفية في الأطوار المتعاقبة

بدر الدين المتوفى سنة ٦٨٦ هـ ، **وللبرماوي** المتوفى سنة ٨٣١ هـ ، ولابن يحيى .

مصنفات ابن مالك

ولابن مالك أيضاً العديد من المصنفات الصرفية ، منها « إيجاز التعريف في علم التصريف » ، و « تحفة المودود في المقصور والممدود » ، و « الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد » ، و « الاعتماد في نظائر الظاء والضاد » ، و « النظم الأوجز فيما يهمز وما لا يهمز وشرحه » ، و « ذكر معاني أبنية الأسماء الموجودة في المفصّل » ، و « منظومة فيما ورد[13] من الأفعال بالواو والياء » وهي منظومة لطيفة في طائفة كبيرة من الأفعال المعتلة الآخر بالواو والياء من باب فعَل يفعُل « فتح ضم » أو باب فعَل يفعِل « فتح كسر » وعدد أبياتها اثنان وستون بيتاً ومطلعها :

قـــل إن نسـبتَ عـَزَوْتُهُ وعـزَيْتُهُ
وكنَوْتُ أحمـــد كنيَة وكنيتُهُ

ومن أبياتها :

ودنوتُ مثلُ دنيـــتُ قـــد حــكيا معـــاً
وكذاك يُحــكى في شـــكوتُ شكيْتُهُ
وناوت مثلُ نــأيتُ حـين بعــدتُ عــن
وطـني وعـودي قـد بَـرَوتُ بَرَيْتُهُ

وآخرها :

فتـــواه[14] كالفتيـــا لما يفـــتي بـــه
وعفـــوتُ شعْري أي تـــركتُ عفَيْتُهُ

وقد تضمنت كتب ابن مالك النحوية الكبرى أيضاً كمنظومة الكافية الشافية ، ومنظومة الخلاصة الألفية ، وكتاب التسهيل ، أبحاثاً طيبة في الصرف إلى جانب أبحاثها النحوية الواسعة ، ونحن على سبيل المثال إذا نظرنا في الموضوعات الصرفية في ألفيته نجد أنّها تتضمّن أبحاثاً تختصّ بالأفعال وأخرى تختصّ بالأسماء وثالثة تعمّ النوعين ، وهذا لم يمنعه أن يؤثر الأفعال بالعناية فيصنّف في تصريفها خاصة « لامية الأفعال » المشهورة التي تحدثنا عنها ، ومع هذا فقد أخذت الأسماء حقها في ألفيته وإن لم يُعْنَ بالترتيب فيما تعرّض له من تصريفها ولم يجعله متصل الحلقات ، بل ذكر بعضاً منه في خلال النحو ، وبعضاً منه عقيبه ، وبعضاً منه ممزوجاً بتصريف الأفعال ، أمّا ما ذكره في خلال النحو فهو ما يتعلّق بأبنية الجوامد والمشتقات ، وأمّا ما ذكره بعد أبحاثه النحوية فهو ما يتعلّق بالمذكر والمؤنث ، والمقصور والممدود ، والتثنية وجمعي التصحيح والتكسير ، والتصغير والنسب ، وقد ذكر هذه الأبواب مرتبة متوالية ، أما القسم الثالث فهو ما يرتبط بالمجرد والمزيد ، وقد طوى ابن مالك هذا النوع مع المجرد والمزيد من الأفعال في باب واحد هو باب التصريف .

ويعدّ ابن مالك من أهمّ علماء الصرف والنحو معاً بسبب ما ذكرناه له من المؤلفات سواء ما كان منها في الصرف وحده ، أو ما اجتمع فيه النحو والصرف .

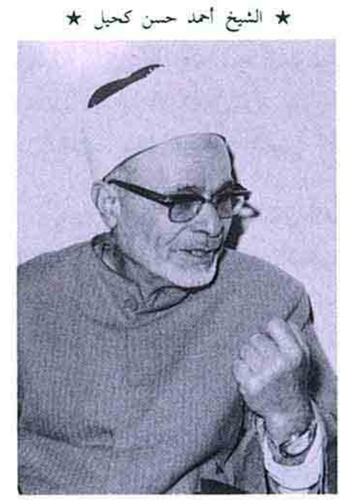
مصنفات مختلفة

ومن كتب الصرف المختلفة الأحجام المتنوعة المستويات المتعددة الألوان المستقلة أو الممتزجة بغيرها من العلوم : متن المقصود للإمام **يوسف الحنفي** وقيل للإمام الأعظم **أبي حنيفة النعمان** المتوفى[15] سنة ١٥٠ هـ ، وكتاب « كفاية التعريف في علم التصريف » **لابن هشام الأنصاري** المتوفى سنة ٧٦١ هـ ، و « الهارونية في التصريف » **لنجم الدين عمر الهروي** المتوفى بعد السبعمائة ، ومنظومة « البسط والتعريف في علم التصريف » **للمكودي** المتوفى سنة ٨٠٧ هـ ، و « عنقود الجواهر » لابن قاضي **سماونه** المتوفى سنة ٨٢٣ هـ ، وقد شرح فيه متن المقصود ، ومتن مراح الأرواح **لأحمد بن علي بن مسعود**[16] من أبناء القرن الثامن أو التاسع للهجرة ، ومتن البناء والأساس وشرحه وكلاهما **لأحمد الرشدي** القره أغاجي ، وكتاب « تلخيص الأساس شرح متن البناء والأساس » للشيخ **علي بن عثمان الأوشي الفرغاني** ، وشرح محمد بن الحاج حميد **الكفوي**[17] من أبناء القرن التاسع أو العاشر للهجرة على متن البناء والأساس ، وباب الصرف من كتاب « ميزان الأدب » لعصام الدين إبراهيم بن محمد بن عرب شاه **الأسفراييني** المتوفى سنة ٩٤٥ هـ ، وشرح « إمعان الأنظار » على متن المقصود **لمحمد بن بير علي البركلي** المتوفى سنة ٩٨١ هـ ، ومنظومة « الترصيف في التصريف » **لعبد الرحمن العمري** المتوفى سنة ١٠٣٧ هـ ، و « فتح اللطيف في علم التصريف » **لمحمد الدلائي** المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ ، على منظومة المكودي في التصريف ، و « إتحاف الرفاق ببيان أقسام الاشتقاق » **لابن الجوهري** المتوفى سنة ١٢١٥ هـ ، و « بناء الأفعال » وهو مختصر مشهور لمصنّف مجهول أوّله « اعلم أنّ أبواب التصريف خمسة وثلاثون باباً » ، ولحسين بن أحمد الشهير بزيني زاده من علماء أواخر القرن الثاني عشر للهجرة رسالة ذكر فيها ما بقي من أبواب التصريف وهي ستة أبواب زادها على الخمسة والثلاثين التي ذكرها صاحب بناء الأفعال ، و « رسالة الأمثلة » أي جداول التصاريف ، وهي لمجهول ، و « شرح رسالة الأمثلة » **للشيخ داود بن محمد القارصي**


★ د. البدراوي زهران ★



★ الشيخ أحمد حسن كحيل ★



الحنفي[١٨]، ومنظومة الشيخ **أحمد عبد الرحيم الطهطاوي** المتوفى سنة ١٣٠٢ هـ، لمتن المقصود، وشرح الشيخ **محمد أحمد عليش** المتوفى سنة ١٢٩٩ هـ، لهذه المنظومة وقد سماه «حلّ المعقود من نظم المقصود»، وكتاب «الأصول الوافية الموسومة بأنوار الربيع في الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع» **للشيخ محمود العالم المنزلي** المتوفى سنة ١٣١١ هـ، و «المنيف في علم التصريف» **لمحسن الأمين العاملي** الدمشقي المتوفى سنة ١٣٧١ هـ، وكتاب «السلسل المدخل في علم الصرف» للشيخ **أبي حامد محمد بن محمد إلياس الجاوي القندلي**، وشرح «روح الشروح» على متن المقصود **لعيسى السَّيروي**، وشرح «المطلوب على المقصود» لا يعرف صاحبه.

ومن أشهر كتب الصرف المتداولة لدى الدارسين «شذا العرف في فن الصرف» للشيخ **أحمد الحملاوي** المتوفى سنة ١٣٥١ هـ، وفيه كل أبواب التصريف موجزة ومرتبة ترتيباً حسناً ومقسّمة إلى مقدمة فيما لا بدّ منه في فن الصرف، وإلى ثلاثة أبواب في الفعل وفي الاسم وفي أحكام تعمّهما على التوالي، والكتاب خلاصة من توضيح ابن هشام لألفية ابن مالك، ومن مفصّل الزمخشري، ومن شافية ابن الحاجب وشروحها المتعددة كشرح الرضي ونقره كار والعصام والجاربردي، ومن كتب ابن مالك وشروحها، ولا ينقصه إلا التعليل العلمي والتوسّع في جلّ أبوابه[١٩].

كتب نشرت أخيراً

ومن كتب الصرف التي نشرت أخيراً كتاب «شراب الراح فيما يتوصّل به للعزّي والمرَاح» للشيخ **عمر الطرابيشي** من علماء القرن الثالث عشر، وهو شرح ــ فرغ منه سنة ١٢٧٦ هـ ــ على ستة أبيات لعبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ، في فعل الأمر الباقي على حرف واحد، وهذه الأبيات الستة هي:

إنّي أقول لمن ترجى وقايته
قِ المستجير قياه قوه قي قين
وإن هموا لم يفوا بالوعد قلت له
فِ العهد ويك فياه فوه في فين
وقل لراءٍ رأى صيداً ليقتله
رِ الصيد ويك رياه رُوه ري رين
وإن هموا لم يعوا قولي أقول له
عِ القول ويك عياه عُوه عي عين
وقل لقاتل إنسان على خطأ
دِ مَنْ قتلت دياه دوه دي دين
وإن هموا لم يلوا شغلي أقول له
لِ شُغْلَ ويك لياه لوه لي لين

★ الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ★

★ د. محمد علي السمان ★



يقول **الدكتور البدراوي زهران**[٢٠] إن الشيخ عمر الطرابيشي استدرك على عبد القاهر في شرحه ما فاته، فقد فاته وَأى بمعنى وعد، واهتدى الشيخ الطرابيشي إلى أنّ فعل وَأى كفعل وقى والأمر منه إِيا رجل، وإذا أمرت مؤنثه قلت إِيْ، فإذا أدخلت نون التوكيد الثقيلة قلت إِنَّ، وعلى هذا خرّج ــ يعني الطرابيشي ــ لغزاً مشهوراً هو:

إنّ هندُ المليحةُ الحسناءَ
وَأْيَ مَنْ أضْمَرَتْ لخلٍّ وَفاءَ[٢١]

وينقل الدكتور زهران عن الطرابيشي أيضاً أنّه إذا وقع قبل هذا الفعل وهو إِ ساكن من كلمة مثل قُلْ أو قَالَتْ جاز نقل حركة الهمزة لذلك الساكن فتحذف الهمزة ولا يبقى من فعل الأمر هذا غير الكسرة المنقولة إلى اللام من قل والتاء من قالتِ، ومن هنا ألغز بعضهم في قُلِ وقالتِ بقولهم:

في أيِّ لفظة يا نحاة الملّه
حركة قامت مقام الجمله

والغزوا في قالتِ بقولهم:

نحاة العصر ما حرف إذا ما
تحرّك حاز أجزاء الكلام
به التحريك قام فعل
به استتر الضمير على الدوام[٢٢]

وينقل عنه أيضاً أنّ حرف م المكسورة الذي جاء على حرف واحد مختصر من أيمن الله في القسم على قول وليس فيه إعلال[٢٣].

ولقد وجدت الشيخ **محمد عبادة العدوي** المتوفى سنة ١١٩٣ هـ، قد ذكر قبل الطرابيشي تحت عنوان فائدة «من المبني على حذف حرف العلّة إِ الشيء أي صنه ود زيداً أي ادفع ديته وإِ زيداً بمعنى عده بالخير وقد تنقل حركة الهمزة إلى ما قبلها فيقال قُلِ إذا أمرت إنساناً بقوله هذه الصيغة أعني الهمزة فيجوز نقل حركة الهمزة إلى اللام ثم حذفت الهمزة فيكون الباقي من فعل الأمر حركة وفي قُلِ ألغز بعضهم بقوله:

حاجيتكم نحاتنا المصريهْ
أولي الذكا والعلم والفهميّهْ
ما لكلمات أربع نحويهْ
جُمِعْنَ في حرفين للأحجيهْ

وفي حركة اللام ألغز بعضهم بقوله:

في أيّ قول يا نحاة المله
حركة قامت مقام الجمله»[٢٤]

من المصنفات الصرفية في الأطوار المتعاقبة

مصنفات حديثة

وهناك أيضاً كتب أو كتيبات حديثة كثيرة مختلفة الموضوعات بعضها في الصرف وحده ، وبعضها في النحو والصرف معاً ، وبعضها فيهما مع غيرهما من علوم الآلة ، ألّفها معاصرون لغرض تعليمي أو نحوه ، واعتمدت على ما سبقها من مصنفات أو شروح أو حواشي فأخذت منها وتركت ، ولم تضف إلى ما نقلته شيئاً ، وقد كان بعضها شاملاً لكل أبواب الصرف ، وبعضها الآخر مقصوراً على بعض أبوابه ، وهي جميعاً متداولة بين الطلاب في المدارس والمعاهد والجامعات ، ومن هذه المؤلفات : دروس التصريف للشيخ **محمد محيي الدين عبد الحميد** وقد جعله في ثلاثة أقسام : الأول في المقدمات وتصريف الأفعال ، والثاني في تصريف الأسماء ، والثالث في المشترك بين الصنفين . ومؤلفان للشيخ **أحمد إبراهيم عمارة** أحدهما في التصغير والنسب ، والثاني في الإبدال والإعلال والإدغام والتقاء الساكنين . وكتاب تصريف الأفعال ، وكتاب القول الفصل في التصغير والنسب والوقف والإمالة وهمز الوصل ، وكلاهما **للشيخ عبد الحميد عنتر** .

وكتاب قانون لغة العرب للشيخ **علي منصور بركة** ، وكتاب سلّم اللسان في الصرف والنحو والبيان **لجرجي شاهين عطية** ، وشرح فتح اللطيف على منظومة حديقة التصريف وكلاهما للشيخ **عبد الرحمن بن أحمد الكسلان** ، وتيسير الإعلال والإبدال للأستاذ **عبد العليم إبراهيم** ، والخلاصة السنيّة في القواعد النحوية والصرفية للشيخ **السيد حلمي أحمد محفوظ** ، وقد ذكر مصنفها أنها كالشرح لألفية ابن مالك وزبدة الشروح وكتابة الكاتبين عليها ، والتطبيق الصرفي للدكتور **عبده الراجحي** ، ودراسة نظرية تطبيقية في علمي الصرف والعروض للدكتور **محمد بدوي المختون** ، والفيصل في ألوان الجموع للأستاذ **عباس أبو السعود** ، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه للدكتورة **خديجة الحديثي** ، وتجديد الصرف على ألفية ابن مالك للشيخ **عبد الرحمن خليل إبراهيم** ، والمغني في تصريف الأفعال للشيخ **محمد عبد الخالق عضيمة** ، وهداية الطالب للشيخ **أحمد مصطفى المراغي** ، والسراج المنير في الصرف للدكتور **محمد عبد الحميد سعد** ، والتوضيح في علم الصرف للدكتورة **أميرة علي توفيق** ، وفي تصريف الأسماء للدكتور **عبد الرحمن شاهين** ، وفي علم الصرف للدكتور **أمين علي السيد** ، و « تهذيب التوضيح ـ قسم الصرف » للشيخ **أحمد مصطفى المراغي** ، والشيخ **محمد سالم علي** ، وتصريف الأسماء للشيخ **محمد الطنطاوي** ، والتبيان في تصريف الأسماء للشيخ **أحمد حسن كحيل** ، واليسير في الصرف وتطبيقاته للدكتور **محمود علي السمّان** ، والصرف للشيخ **طه محمد الزيني** ، وغير ذلك كثير .

الهوامش

(١) انظر د . عبد الرحمن شاهين ، في تصريف الأسماء ٥٧ .

(٢) انظر في جميع ذلك ابن النديم ، الفهرست ٨٠ وما بعدها .

(٣) انظر د . عبد الرحمن شاهين ، في تصريف الأسماء ٥٨ .

(٤) انظر ابن النديم ، الفهرست ٨٠ وما بعدها .

(٥) شرح نقره‌كار على الشافية ٣ .

(٦) شرح الرضي للشافية ، القسم الأول ، ط ١ ، ص ١ .

(٧) شرح نقره‌كار للشافية ٣ .

(٨) انظر محمد محيي الدين عبد الحميد ، مقدمته على شرح السيد الشريف الجرجاني على تصريف العزّي ٣ .

(٩) زنجان مدينة طيبة الهواء في شمالي بلاد الجبل أي العراق العجمي من بلاد فارس ، وعلى الطريق المؤدي من تبريز إلى همذان ، انظر . فنديك ، اكتفاء القنوع ٣٠١ .

(١٠) تصريف الأشنوي ٦ ـ ٧ .

(١١) ابن عصفور ، الممتع في التصريف ، التمهيد ١٠ ، تحقيق د . فخر الدين قباوه .

(١٢) انظر حاشية أحمد الرفاعي على شرح بحرق على لامية الأفعال ٦ ـ ٧ .

(١٣) هناك منظومات أخرى في الصرف مثل منظومة ابن مالك هذه ، فهناك مثلاً أرجوزة لأحد الصرفيين في أفعال وردت بالواو غالباً واطراداً وهي من باب فعَل يفعُل « فتح ضم » وعدد أبياتها عشرون بيتاً ومطلعها :

واوية الأفعال وهْي ما أتت ... بالفو في رسمها قد ثبتتْ

ومن أبياتها :

ما صفَا شعر ضفَا حُوت طغَا ... مولىً عفا عمّن هفا وقد غفا
جاث جثا كفٌ سخا وجه عَنَا ... فحل نزا عافو صحا قلب حنا

وآخرها :

طحوتُه دحوتُه حَسَوْتُه مَحَوْتُه أسَوْتُه كسَوْتُه

وهناك أرجوزة أخرى لأحدهم في أفعال وردت بالياء غالباً واطراداً وهي من باب فعَل يفعِل « فتح كسر » ، وعدد أبياتها واحد وعشرون بيتاً ومطلعها :

وهاك أفعالا يراها الرائي ... تُرسم فيما بينهم بالياء

ومن أبياتها :

قدر غَلى خِدْن قلى حكيتُه ... نهيْتُه لويتُه نكيتُه
رأيتُها وقيتُها رقيتُها ... طليتُها كفيتُها سقيتُها

وآخرها :

ونحو قد صفّيتُ أو أصفْيتُ ... أو اصطفيتُه أو استصفيْتُ
ممّا الثلاثي كان فيه بالألفْ ... إذا تعدّى بابُه باليا أُلِفْ

« انظر عبد الحميد عنتر ، تصريف الأفعال ١٩٥ ـ ١٩٧ » .

(١٤) الفتيا والفتوى بضمّهما وتفتح الأخيرة اسما مصدر لأفتى أي أجاب عن مسألة أو أبان ما أشكل ، ولم يستعمل لهما فعل مجرد ، « انظر الزبيدي ، تاج العروس ١٠ : ٢٧٥ » .

(١٥) انظر فنديك ، اكتفاء القنوع ٣١٠ .

(١٦) انظر سركيس ، معجم المطبوعات ١ : ٣٧٤ .

(١٧) انظر سركيس ، معجم المطبوعات ٢ : ١٥٦٥ .

(١٨) انظر فنديك ، اكتفاء القنوع ٣١٠ ـ ٣١١ .

(١٩) حققه ونشره الدكتور البدراوي زهران بمصر ، عام ١٩٨١ م .

(٢٠) انظر تصدير د . البدراوي زهران لشراب الراح : ٥ ، وانظر عمر الطرابيشي ، شراب الراح ١٢٢ ـ ١٢٤ ، ١٣٦ ـ ١٣٧ ، تحقيق د . البدراوي زهران .

(٢١) هند منادى بياء محذوفة ، والمليمة نعت لهند باعتبار لفظها ، والحسناء نعت آخر لها باعتبار محلّها ، وَأْيَ مفعول مطلق بفعل الأمر وهو إنّ ، ومَن اسم موصول مضاف إليه ، والتقدير : وَأْيَ المرأة التي أضمرت وفاءً لخِلٍ « انظر عمر الطرابيشي ، شراب الراح ١٣٥ ـ ١٣٦ ، تحقيق د . البدراوي زهران » .

(٢٢) وجه اللغز أن الحركة التي تحت التاء قائمة مقام فعل الأمر وفاعله المستتر فيه فهذا فعل واسم والتاء نفسها حرف لأنها تاء التأنيث فبسبب تحريكها حازت أجزاء الكلام التي هي الاسم والفعل والحرف « انظر عمر الطرابيشي ، شراب الراح ١٣٧ ، تحقيق د . البدراوي زهران » .

(٢٣) انظر عمر الطرابيشي ، شراب الراح ١٣٨ ، تحقيق د . البدراوي زهران .

(٢٤) حاشية العدوي على شرح شذور الذهب ١ : ٩٩ .



من بواكير الدعوات الإصلاحية في اليمن

بقلم: عبدالله محمد الحبشي

كان لدعوات الإصلاح في مصر (خلال القرن التاسع عشر الميلادي)، أثر كبير على المجتمعات الإسلامية عامة، والعالم العربي خاصة. وفي اليمن (مجتمع جنوب الجزيرة العربية) تلقى الناس هناك أفكار الشيخ محمد عبده، وشيخه جمال الدين الأفغاني بكل نهم واهتمام، وكانت صحيفة (المنار) من أولى الصحف التي قرأها المثقف في اليمن، ووقف فيها على فكر إسلامي جديد لم يكن له عهد به من قبل.

وفي المهجر كان أكثر المثقفين اليمنيين يتابعون بشغف سير الحركة الثقافية والأدبية في مصر والشام. ومنهم من تأثر بأدبائها وعلمائها. وقد حاول أحدهم شق طريق لنفسه في الإصلاح تشبه تلك التي قام بها الشيخ محمد عبده في مصر ومحاربة بعض العلماء المتزمتين والبدع.

ابن شهاب الدين

ذلك هو الأديب **حسن بن علوي بن شهاب الدين** صاحب أول أثر علمي في الإصلاح الاجتماعي والديني.

ولد بمدينة «**تريم**» في حضرموت سنة ١٢٦٨ هـ ـ ١٨٥١ م، ونشأ في أسرة علمية تبحر أفرادها في علم الفقه والأدب، وقد تلقى العلم على جل شيوخ عصره. ويقول عنه تلميذه المؤرخ **عبد الله بن محمد السقاف**:

«منذ تعلق بالصحف المصرية ينتقد العلماء في وطنه ويستهجن أساليب تعاليمهم، ولكن القضية انعكست من سخط العلماء عليه قاطبة».

وظل في منازعة مع أهل عصره حتى أدركته الوفاة سنة ١٣٣١ هـ ـ ١٩١٢ م.

وكان قد رحل إلى (**بتاوى**) **من ناحية جاو**، وأسَّس هناك صحيفة أطلق عليها اسم (**الإمام**)، واشترك معه في تحريرها **العلامة محمد بن عقيل**، سنة ١٣١٠ هـ، ثم اختلف معه وأسَّس **جريدة (الإصلاح)**، وكان يتابع الكتابة في صحف مصر **كالمؤيد والمنار**. وألَّف كتباً كثيرة منها رسالة في الرد على (النصائح الكافية) لصديقه ابن عقيل السابق الذكر.

واحتل شعره الإصلاحي مكانة عند معاصريه فكانوا يتناقلونه ويستنسخونه.. من ذلك قوله:

الغرب في برد السعادة يرفل
والشرق شق من الشقاء خميسا



★ الشيخ محمد عبده ★



★ جمال الدين الأفغاني ★



من بواكير الدعوات الإصلاحية في اليمن

العلم عندهم غدا متعززاً
والجهل قدّس عندنا تقديسا
هم ينعمون ونحن في أقوالنا
ما بين أحمد والمسيح وموسى
هم يرشفون من المعارف أكؤساً
لمعت فأضحت أنجماً وشموسا
وكبارنا راموا التقاعد فاغتدوا
متجاذبين الزور والتلبيسا
هم يطلعون من الظلام أشعة
ونبيت نحن مع الظلام جلوسا
هم يصرفون الوقت في طلب العلا
والوقت صيَّر شعبنا مرؤوسا
هم يجعلون الاتحاد جليسهم
ورجالنا جعلوا العداء أنيسا
يستخدمون البرق في أشغالهم
وبأرضنا نستخدم الجاموسا
نمشي على مهل كأن نفوسنا
ليست على هذا الوجود نفوسا

وقوله ينعي على قومه :

يا نصارى ويا مجوس هلموا
أوطؤوا بالأقدام شعباً ذليلا
عاقه الجهل عن منال ذراكم
فاستخار الهوان عنه بديلا
يا بني الأصفر الملوك أجيدوا الحكـ
ـم في هؤلاء واشفوا الغليلا
حكِّموا النفي في البغاة ولا تبـ
ـقوا على كل جامد تنكيلا
حيث أرض الأحجار أولى بقوم
خسروا دينهم وضلّوا السبيلا
حظهم في التعذيب أضحى جزيلا
بينما في التهذيب أمسى ضئيلا
هكذا حال من ينبذ العلـ
ـم ثباتاً ويقصد التدجيلا

وله قصائد غير ذلك في الدعوة إلى الإصلاح والنعي على قومه في جمودهم وتقليدهم .

نحلة الوطن

وأهم أثر تركه مصلحنا هو كتابه الفريد في بابه « نحلة الوطن في استنهاض همم ذوي الفطن ومن به قطن » ، وقد طبعه على نفقته سنة ١٣٢٣ هـ ـ ١٩٠٥ م ، ووزّعه على بعض أعيان بلده بعد أن كتب على غلافه ما يلي : « المطلوب ممن بعثنا إليهم بهذه الكلمات إنما هو وجود النهضة وقيامهم بطلب الرقي والإصلاح وما به تتحسّن الأحوال في الحال والمستقبل » .

ونسمع من هذا الإلحاح في استنهاض الهمم إلى الرقي والتقدم من مقدمة الكتاب فما بعدها يقول :

« أما بعد ، فهذه كلمات جمعتها وسميتها « نحلة الوطن » تذكرة لي ولكافة أهل وطني فيما يجب للوطن على بنيه إذ له حق يعترف به من عرف . . وما هو إلا أن يبذل كل فرد من أفراد بنيه شيئاً مما قدر عليه فيما يعود على الوطن وأهله بالمنفعة العامة ، فالعالم بالتعليم والإرشاد والغني ببذل المال وهكذا » .

وهكذا تستمر صيحات المؤلف في الدعوة إلى التقدم حاثًّا بني قومه إلى النظر في أمر الوطن ونهضته حتى نسمعه يقول :

« فهل آن لهم أن ينفوا عن أنفسهم هذا التقصير والإهمال ، فيهبّوا من سبات غفلتهم مطالبين أنفسهم ببذل المجهود في إصلاح أحوال تلك الديار وأهلها في إعادة مجدها القديم » .

سكوت العلماء وحيرة المصلح

يرى المؤلف أن من أسباب التأخر سقوط همم العلماء عن الأخذ بمعالي الأمور وعدم النهي عن المنكر والأمر بالمعروف ، وأن ما أصاب الأمة يعود أساساً إلى سكوت العلماء يقول :

« كثر الظلم والطغيان والتمادي في العصيان كما هو كذلك في جميع البلدان والسبَّب في ذلك سكوت أهل العلم والحجة والبرهان وفقد الدعاة الناصحين والهداة المرشدين حتى طمى الجهل وانتشر وفقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .

ويكون من أسباب الفشل عدم التصاغي إلى المصلح ، بل وعدم

وجود هذا المصلح في كثير من الأحيان إما خوفاً من الإنكار أو إيثاراً للسلامة والعافية تاركين الحبل على الغارب.

ونجده يعود إلى هذا الأمر في عدة مواضع من كتابه يقول في بعضها محدثاً عن ركود العلماء وتخاذلهم:

« تركوا الوطن يصرخ ويستغيث. ولا مغيث ولا مجير فكأنما لا صلة بيننا في الدين. وما يرى أحد من علمائنا أو غيرهم ينبس ببنت شفة حتى صارت تلك الديار فذة في كثرة وقائعها ».

وهكذا يكون النعي عند مؤلفنا منصبًّا أساساً على علماء الدين الذين عرفوا الحق وتركوا نهجه تاركين أبناء جنسهم يعمهون في ظلمات من الجهل والتأخر.

فالعالم عنده ـ إن شئت قلت المصلح ـ هو مسؤول أمام الله، ثم أمام الناس، لا عذر له في عدم البوح بالحق والجهر بأمر الدعوة:

« **العالم مسؤول عن نفسه وعن غيره أمام الله، فلا يكفيه أن يصلح نفسه دون أن يسعى في صلاح قومه** ».

وتلك مهام الداعية المصلح أن يصلح قومه قبل أن يلتفت إلى خاصة نفسه والسعي في منافعها الذاتية.

ثم يطنب في شرح هذه المسألة وقد منيت البلاد بجمهرة من العلماء غلّبوا مصالحهم على مصالح العباد، وأن « ضررهم أكثر من نفعهم يسيئون من حيث يريدوا أن يحسنوا فلا ينبغي أن يتصدّى للإرشاد قوم هم من هذا القبيل يتكالبون على مجرد حصول الشهرة يتخذونها ذريعة إلى تيسير أمر المعاش ».

وأمام هذه الفئة من العلماء الجهلة يحتار المصلح في دعوته حيث لا يجد عندهم المناصر والمعين وإنما الحرب والخذلان. وقد لقي داعيتنا عنتاً كبيراً منهم كما أسلفنا فيما سبق.

دعوته إلى التعليم

وكان الجهل من أكبر العوائق أمام تقدم الوطن، وهو موضوع حظي بمكانة كبيرة عند المؤلف. إذ الجهل عنده من أكبر الموانع للتقدم والرقي « **وبالعلم وكثرة العلماء تصلح جميع الأحوال** ».

ولا يكون ذلك إلا بالنقد الذاتي للنفس، والاعتراف بالحالة المتخلفة ثم تخطيها:

« وهل آن لنا جميعاً أن نعترف بما نحن فيه من الإهمال والتقصير، والتأخر والانحطاط، والجمود على الموجود، فلا نرضى بذلك لأنفسنا، أم تأخذنا العزة بالإثم فلا نعترف بذلك ونعيش فيما نحن فيه من الجهل ».

والتعليم عنده من أهم أسباب التقدم بل أقدمها:

« ومن المعلوم أنه إذا لم توجد الداعية القلبية للتعليم والإرشاد والإصلاح والصلاح في نفس العالم والمرشد والمصلح يكون النجاح بعيداً كما هو واقع الحال، وعلماؤنا وتعليمهم والمتعلمون على خطّة غير موصّلة إلى المقصود، ولا يفهمون مني إني أريد التشهير بالوطن وعلمائه، ولا أقصد إلا النفع والانتفاع والاستنهاض للهمم ».

ويعرج على حالة التعلم في عصره فيجدها عبارة عن رسوم من العلم بالية لا تفيد الوطن إلا تبلّد الأذهان والجمود على الموروث المباد من خرافات وأوهام، يقول:

« وأما التعليم اليوم الصادر عن غالب علمائنا، فما تراه إلا أصبح عندهم من الأمور المعتادة التي لا نجد في النفس داعية لتكميلها، وصار أمر التعليم عند الكثير من الرسوم والتقاليد التي يجب أن تؤدّى فقط... فَهِمَ الطلاب أم لم يفهموا، عرفوا أم لم يعرفوا... وإنما الغاية التي يرمي أكثرهم إليها هي صور الدرس وحفلات الوعظ ».

ومثل هذا الكلام نجده يتكرر في كتاب صاحبنا، وكأنه يعني بالتعليم، ذلك الذي يستفيد منه الطالب في حياته الدينية والدنيوية.

مجمل أسباب التأخّر

والكتاب كله دعوة إلى النهوض والرقي، وفيما قدمناه من نماذج دليل حسن على أسلوب كاتبنا الإصلاحي، وتلك دعوة مبكّرة تجعله ممن يحتل الرّيادة الأولى إن لم يكن صاحبها. انظر إليه وهو يشرح مفهوم الوطن وإصلاحه يقول:

« ولعمري إن الوطن كلمة جلّ معناها ولكن عزّ فهمها بيننا فلهذا يظن كثير أنهم يحبّون وطنهم لكونهم لا يفارقونه... والمحب للشيء يهون بذل المال عليه، ثم النفس طلباً لمرضات من يحبّه ورغبة في نفع محبوبه. وهنا المحك لمزاعم من يدعي حب تلك الديار وصلاحها فما أسهل الدعوى وما أعسر المعنى ».

إن مقياس الوطنية عنده يكون بالبذل والفداء، وهذا كلام سابق لأوانه في ذلك الوقت.

ثم يجمل أسباب التأخر ودواعي الازدهار والرقي فيقول:

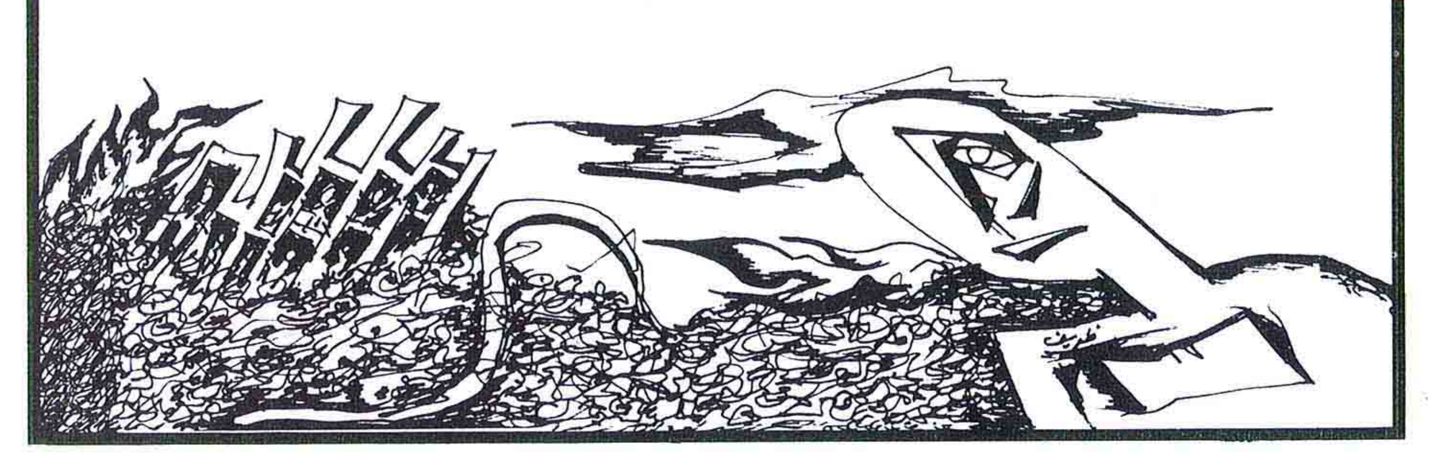
« وبما نعتذر وبماذا نتعلل وما ثم مانع أو معارض أو مضاد يحول بيننا وبين أن نجمع كلمتنا وننهض طالبين صلاحنا وصلاح أبنائنا وجميع إخواننا ونرقي وطننا بالعلوم وبثّها وبنشر الدعوة إلى الله وبالسعي في تحصيل السعادة الدينية والدنيوية... وحيث إنه لا مانع لنا نراه ونشاهد بأعيننا وبارزاً أمامنا. فالمانع هو جهلنا بما يتحصل بذلك من المنافع الخاصة والعامة. وما هو إلا الجهل بغوائل الحسد الذي بسببه تفوت مصلحة الحاسد والمحسود معاً. ما هو إلا محبة الاستئثار والانفراد بالسلطة والظهور. ما هو إلا عدم الانقياد للحق وعدم الرضوخ لرأي الغير مطلقاً. ما هو إلا عدم الاكتراث بشأن الأمة وعدم الاهتمام بها سعدت أم شقيت. ما هو إلا تلاشي الهمم وسقوطها. ما هو إلا إهمال علمائنا وتقصيرهم. ما هو إلا بخل الأغنياء. ما هو إلا فقد الحكماء ».

إلى آخر أسباب التأخر كما يشرحها صاحب كتاب « نحلة الوطن ».

وبعد، فهذه جولة سريعة في صفحات الكتاب المذكور، أول كتاب إصلاحي يدعو إلى النهضة والرقي في جنوب الجزيرة العربية. ولعلي لا أغالي في القول إذا قلت إنه أول كتاب من نوعه ظهر في حينه في جزيرة العرب قاطبة.



يا أخا الدَّرب لا تسلْ عن مُصابي … إنَّني تائهٌ، فقدتُ صوابي
لا تسلْني عن محنَتي وصراعي … واضطرابٍ يموجُ في أعصابي
أنا مِنْ قسوةِ الزمانِ شظايا … تَتلظّى على الجليدِ المُذابِ
ماتَ أهلي على الحرابِ وعشنا … بعدَهمْ ميتّينَ فوقَ الحِرابِ
وفقدنا مِنَ الرجال نُجوماً … في سجونٍ مفتوحةِ الأبوابِ
وسقانا الزَّمانُ سُمَّ الأفاعي … في كؤوس الأعداءِ والأصحابِ
وحرمنا هناءةَ العيش حتّى … لمْ نعُدْ نستطيبُ حُلْوَ الشَّرابِ
أبداً أقطعُ البلادَ وحيداً … أتحدّى الصِّعابَ تلوَ الصِّعابِ
فتراني مُغَرِّباً في شُروقٍ … وتراني مشرِّقاً في غيابِ
تارةً في البحارِ أحتضِنُ المو … جَ وأخرى أحومُ فوقَ السَّحابِ
لا أطيقُ البقاءَ فوقَ تُرابٍ … وفؤادي معلَّقٌ بتُرابي
كلَّما ارتحتُ من عناءٍ طويلٍ … هزَّني الشوقُ للسُّرى والرِّكابِ
فطعامُ الأهلينَ ما شدَّ أزري … ومياهُ البحارِ غيرُ عِذابِ
وبنفسي مِنَ المرارة نارٌ … عَصفَت بي، وأحرَقت أعصابي
تقذفُ الشعرَ كاللَّهيبِ فألقي … باللَّهيبِ العنيفِ فوقَ العُبابِ
أمنعُ النارَ أن تُدمِّرَ غيري … فتصبُّ القطرانَ في أكوابي
وإذا قلتُ خفِّفِي الوطءَ صاحتْ … أوَ تخشى في الحقِّ مُرَّ العذابِ
لتَمُتْ أيُّها الذَّميمُ فإنّي … أكرهُ الشعرَ مِنْ فَمِ الكذَّابِ
فصراعي مِنْ كيِّها في فؤادي … وهِياجي مِنْ نارِها في ثيابي
واقتداري على احتمالِ البَلايا … دونَ ما تبتغيهِ مِنْ أسبابِ
فشَدَدْتُ الرِّحالَ أنشدُ أرضاً … عزَّها اللهُ بالرَّسولِ المُجابِ
أنقِذُ النفسَ مِنْ شُرورِ هَواها … مُستعيناً بالواحدِ الوهّابِ
فرحيقُ القرآنِ خيرُ رحيقٍ … يرتوي منهُ ظامئٌ للشَّرابِ
وعبيرُ الرسولِ خيرُ عَبيرٍ … ينتشي منهُ غارقٌ في الضَّبابِ



رحلة في كتاب

وضع: مجموعة من الخبراء
عرض وتقديم: عدنان عضيمة



مكننة العمل ٢

مَن المسؤول عن حياة ومستقبل أولئك الذين تصرفهم التكنولوجيا عن أعمالهم ... ؟ .

بالطبع ليس المخترعون ولا التكنولوجيون . كما أن الدولة لا يمكنها أن تستمر في الحفاظ على كفاية مستويات الإنتاج الزراعي إذا أوقفت الأبحاث . ولقد سبق أن وجه هذا السؤال عام ١٩٤٠ م ، إلى **هنري والاش Henry Wallace الذي كان يشغل منصب وزير الزراعة** ، وحيث كانت الأبحاث المتعلقة بمكننة الزراعة تُقابل بالهجوم والاحتجاج من قبل بعض اتحادات العمل الزراعية ، فقال :

« إن العلم بلا شك ليس كالقمح والسيارات ، فالمعرفة إما أن تنمو أو تموت ، إذ لا يمكن أن نحفظها في الثلاجات لأنها قابلة للتلف ويجب تجديدها بانتظام ، وفي الحقيقة تعد آخر المعارف هي أفضلها » .

كما أنه ليست من مهمات صناع ومبتكري الآلات الزراعية أن يقرروا فيما إذا كان تطبيق التكنولوجيا يجب أن يتوقف إذا اضطر بعض الناس للتخلي عن أعمالهم . ولقد لاحظ الأخوان راست أن مثل هذه الضوابط لا يمكن أن تعمل جنباً إلى جنب مع آلة حصاد القطن .

ويقول راسماسون : إن حل هذه المشكلة لا يكمن بالطبع بتجميد الأبحاث ، ولا بالتوقف عن استخدام الآلات وتعطيل الإنتاج ، كما لا يمكن أن تحل المشكلة بإعادة العمال إلى الحقول لجمع ألياف القطن وتنقية الشوندر السكري . وفي مطلع عقد الثمانينات كانت هناك بعض الدلائل التي تشير إلى أن الإنتاجية الزراعية في الولايات المتحدة قد بلغت أوجها ، أو على الأقل لم تعد تزداد وفق المعدل الذي سجلته بين عامي ١٩٥٠ م ، و ١٩٨٠ م ، ولعل الشيء المفاجئ الذي سجل لأول مرة منذ بداية الثورة الصناعية وحتى الآن ، هو بدء عدد سكان المزارع بالازدياد بأكثر من نسبة تزايد عدد السكان خلال السنوات العشر الماضية . فالكثيرون ممن رفضتهم قطاعات الإنتاج الصناعي أصبحوا يعيشون الآن حياة نصف حضرية في مناطق صنفت فيما بعد بأنها فلاحية rural .

وفيما عدا (استثناء واحد) فإنه ليس من المعتقد أن تحدث تطورات ذات أهمية في مجال المكننة الزراعية في الولايات المتحدة . وإذا أمكن الحكم على المستقبل من خلال ما حدث في الماضي فإنه لن يحدث تطور يذكر إلا عندما يتم ابتكار مصدر جديد للطاقة المحركة للآلات يعوض المحرك ذو الانفجار الداخلي ، مثلما عوض بدوره الطاقة المحركة للحيوانات ، كما يجب أن يكون هذا المصدر الجديد للطاقة سهل الانتشار والاستيعاب من قبل المزارعين . وقد يتوقع المرء أن يستمر العاملون في الأبحاث الزراعية بتطوير تكنولوجيا المكننة من حيث تحسين مواصفات الآلات المستعملة حالياً وتكييفها مع مهمة الاستغناء عن المزيد من الأيدي العاملة ، إلا أن أي تطور من هذا النوع يرتبط بإعادة تنشيط قطاع الأبحاث الزراعية الذي يعاني منذ بضع سنوات من تراجع مخصصاته المالية في قطاعيه العام والخاص .

أمّا (الاستثناء الوحيد) فيتعلق بتطبيقات **استخدام الكومبيوتر في إدارة المزارع** ، فهذه المهمة هي قيد الانتشار الفعلي على نطاق واسع ، ويبدو أنه ستكون لها تأثيرات قوية على مجريات الأمور ، فالكومبيوتر سيؤدي إلى تحقيق إدارة فعالة للمزرعة ، كتنظيم الحسابات ، ومزج الأعلاف والأسمدة ، واستعمال الآلات ، وصرف الطاقة ، وإنجاز الدراسات المتعلقة بالإنتاج . والآن أصبح الكثير من المزارعين يعتمدون على الكومبيوتر ، والكثير من البرامج التطبيقية application programs المخصصة لمعالجة المعلومات المتعلقة بالمزرعة بواسطة الكومبيوتر أصبحت تنتج وتطور على نطاق واسع لتغطية حاجة المزارعين .

والسؤال المطروح الآن هو : **ماذا يمكن للمزرعة الأمريكية الممكننة أن تشبه في عام ٢٠٢٠ م ، مثلاً .. ؟ .**

يقول راسماسون : ستكون مكاناً واسعاً للعمل التجاري الذي تديره الأسرة ، لأن الأسرة تستطيع بفضل المكننة أن تقوم بأداء معظم الأعمال ،



كالإشراف على العدد القليل من العمال الذين قد تحتاجهم ، كما أن المكننة ستؤدي إلى تناقص الجهد المبذول في الأعمال الزراعية أكثر فأكثر ، فالآلات والأنظمة المتحركة أوتوماتيكياً automated systems ستكون قيد العمل في مجال قطاف الفواكه والخضار ، والتحكم الآلي بتدفق المياه في أنظمة الري ، وبشكل عام يمكن القول إن المزارعين سيتمتعون بكل الميزات التي يتمتع بها سكان المدن ، وفي نفس الوقت سيكون المزارع بعيداً عن العمل في التراب والماء والبذور لتزويد أعداد كبيرة من الناس بالكميات الوافرة من المؤن الغذائية .

مكننة التصميم والتصنيع

يعد المصنع مكان العمل الذي يعكس قمة التطور في حقل المكننة ، وهو أيضاً من أهم الميادين التي يتجلى فيها التسابق التكنولوجي . ويرجع تاريخ نشأة المصنع الحديث إلى بداية عهد الآلات التي تعمل بطاقة الماء وطاقة البخار في القرن التاسع عشر الميلادي ، وكانت المصانع الحديثة في تلك الفترة تكاد تنحصر مهمتها في صناعة النسيج بشكل خاص . أما اليوم ، فإن المصنع الحديث يعتمد على الآلات المتطورة الكثيرة التنوع ، حتى أصبح التصنيع يعد واحداً من أكثر القطاعات الاقتصادية تعقيداً ، لأنه القطاع الذي يتضمن جميع القدرات الكامنة في التكنولوجيا .

والمجالات الحقيقية لمكننة العمل في المصنع بشكل كلي ، وخاصة بعد اختراع **الإنسان الآلي الصناعي** industrial robot ، وهو عبارة عن آلة صممت لتعويض العامل المنتج وفقاً لمبدأ (واحد لواحد one to one) .

ومن الناحية الفعلية ، فإن **العمل المباشر** direct labor لصنع الإنتاج ، أو تشكيله ، لم يعد المجال الأساسي الذي تنعكس فيه تأثيرات ونتائج المكننة . فالعمل المباشر لا يتطلب سوى ١٠ إلى ٢٥ ٪ من تكاليف التصنيع ، والعمال المنشغلون بهذه المهمة لا يشكلون أكثر من ثلثي القوة العاملة في التصنيع ، فالتحدي الرئيسي القائم الآن ، والفرصة الحقيقية لتحسين الإنتاجية productivity في المصنع ، تكمن في تنظيم وبرمجة وإدارة أعمال التصنيع ، من تصميم الإنتاج product design ، إلى الفبركة fabrication ، ثم التوزيع والصيانة . والتعقيدات الإدارية في المصنع الحديث أصبحت هائلة ، ففي بعض المصانع تقتضي العمليات التنظيمية القيام بتصنيف وحفظ الآلاف من قطع الآلات المتنوعة اللازمة لإنتاج أنواع مختلفة من النواتج ، وغالباً ما تؤدي التعقيدات التي تصاحب إنجاز العمليات المختلفة إلى مواقف شديدة التشابك في صلب العمل في المصنع ، ولم يعد غريباً أن نرى قطعة معدنية وهي تقضي ٩٥ ٪ من الوقت اللازم لتصنيعها في انتظار دورها لتدخل في عملية التصنيع أو الفبركة . ومن ثم فإن إنتاجية عامل المصنع تعتمد بدرجة كبيرة على تصميم الإنتاج ، وأسلوب تنظيم العلاقة بين عناصر العمل ، كالآلات ، والمواد الأولية ، والعمال ، وبدون تطوير هذه العلاقة فإن من الواضح أن الاستبدال الكلي للعمال الكادحين blue - collar workers بالبشر الآليين (**الروبوتات**) لن يكون له تأثير كبير على مردودية المصنع أو على تكاليف الإنتاج . ولهذه الأسباب فإن أهم التطورات التي تقتضيها العملية الإنتاجية ترتبط بتطوير تكنولوجيا معالجة المعلومات وتسخيرها لتحقيق الترابط المفهوم بين التصميم والإدارة والتصنيع ، وصياغة كل هذه العناصر والمعطيات في شبكة من المعلومات يسهل تداولها والاستفادة منها . أما المردود الاجتماعي لعملية الترابط هذه فيمكن أن يتمثل في التحول من أعمال الكادحين blue - collar jobs إلى أعمال السادة white - collar jobs .

ويتضمن التصنيع عدداً كبيراً يكاد لا يحصى من أنواع النشاطات والأعمال . وفي بعض المصانع يصنّع الإنتاج وفق عمليات مستمرة ومتسلسلة ، وأفضل الأمثلة عن ذلك تتمثل في **صناعة تكرير البترول** petrolium refining ، وصناعة الورق ، والمواد الكيميائية . والسمة الأساسية لهذه الطريقة في التصنيع هي سهولة تحقيقها وضبط عملياتها المختلفة اعتماداً على ما يدعى **بأنظمة التغذية الاسترجاعية بالدورات المغلقة** closed - loop feedbadk systems التي تسمح بمراقبة طبيعة النواتج بشكل مستمر ، وأي تغيّر في خصائص هذه النواتج يُصحّح إما بتغيير نسب المواد الأولية أو بتصحيح وتعديل الخطوات الوسيطة لعملية التصنيع .

وفي هذا البحث يركز **توماس جن** على شرح أسلوب العمل والتنظيم في مصانع من نوع آخر ، وهي تلك التي تصمم وتُصنّع منتجات منفصلة discrete products تختلف عن تلك التي تصنع بالطريقة المستمرة ، وتشمل مهمة هذه المصانع فبركة وتجميع قطع السيارات والطائرات والحاسبات الإلكترونية والأثاث والأدوات والألبسة والأطعمة والتعليب ، وفي مثل هذه المهام تكون الفائدة الكامنة لتكنولوجيا معالجة المعلومات أكثر وضوحاً .

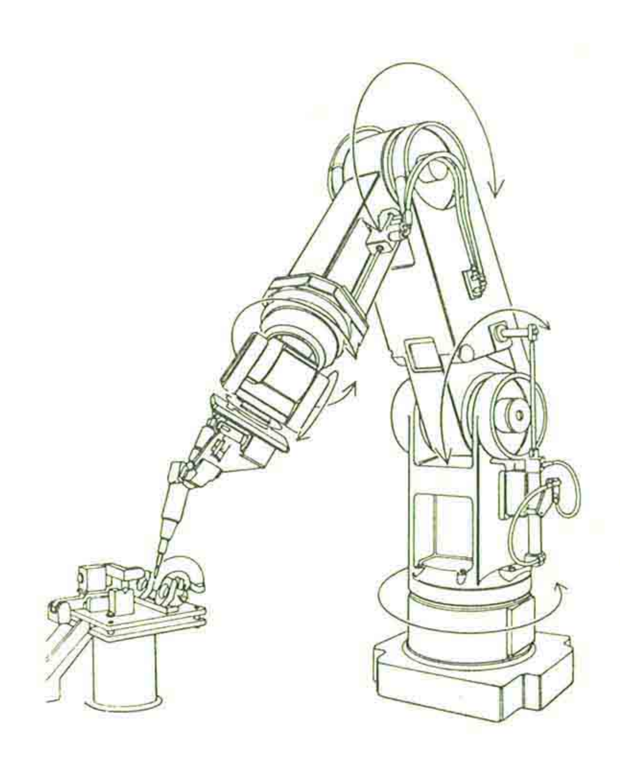
وخلال السنوات العشرين الماضية بدأ صانعو المنتجات المنفصلة يمتلكون الوسائل اللازمة لتحقيق التغذية الاسترجاعية في عمليات الإنتاج ، مما يسهل المراقبة المستمرة لمختلف مراحل عمليات صنع القطع وتجميعها . والمثال الذي نسوقه عن مصانع المنتجات المنفصلة هو (**ورشة الآلة** machine shop) التي تصنع أجزاؤها المعدنية المختلفة خلال سلسلة من العمليات تتضمن **التقطيع** cutting ، **والتثقيب** boring ، **والصقل** milling ، **والتشكيل بالخرط** turning on a lathe ، ونفس مجموعة الأدوات الآلية المستعملة في هذه المهام يمكن استعمالها لصناعة أنواع أخرى من القطع ، وكل ما يتغير هنا هو سلسلة العمليات التي تؤديها كل أداة مستخدمة . والشيء الذي يبدو واضحاً من خلال هذا المثال ، هو أن التنوع الكبير للأدوات الآلية المستخدمة يجعل التنسيق المتكامل بينها أمراً صعباً ، لذا كان لا بد للمتخصصين من ابتكار أساليب للبرمجة programming أو التحكم متعدد الجوانب numeriacally controlling بالأدوات الآلية لتحقيق الانسجام بينها ، ولقد تم التوصل إلى هذه الأساليب في الآونة الأخرى ، كما تم استيعابها على نطاق واسع .

وخلال السنوات العديدة الماضية سعى أرباب المصانع في الولايات المتحدة إلى تخطيط وضبط إنجاز العمليات المعقدة المتعلقة بالمصنع عن طريق تشييد البيروقراطيات bureaucracies (**الدواوين**) ذات درجات المسؤولية المتنوعة. ففي بعض الشركات يوجد ما يقارب ١٤ طبقة من المستخدمين في سلم المسؤولية، من المدير المسؤول عن التنفيذ وحتى أقل العمال شأناً، وهذا **التنظيم الطبقي** hierarchical structur مكن إدارات الشركات من توجيه كافة النشاطات بشكل فعال، إلا أن المسافة التنظيمية organizational distance بين القمة والقاعدة خلقت عدة مشاكل إدارية، من أهمها صعوبة تحقيق التواصل بين العمل والأدوات المستخدمة لتحقيق أقصى الفعالية، كما أن تسلسل المسؤولية يمكن أن يؤدي إلى العوائق التنظيمية بين الإدارات، ويعيق التدفق الداخلي للمعلومات internal flow of informations، ويخلق أيضاً بين الإدارات موقفاً تنافسياً وفقاً لمبدأ (**نحن ضدهم** us against them) من شأنه أن يشل فعالية أداء الأعمال في المؤسسة ككل.

يضاف إلى ذلك أن الحوامل المنظمة للاتصالات comunications غالباً ما تتعرض للإعاقة الجسدية physical، فالمعلومات المنقولة بصفة كتابية أو شفهية يمكن أن تتعرض للتأخير أو الخطأ أو الغموض خلال انتقالها من شخص إلى آخر، والوقت اللازم لدوران المذكرة memorandum قد يجعل العمل السريع والمتناسق مستحيلاً. وهناك عوائق تنظيمية أخرى تتمثل في الحاجة المستمرة إلى خزن وتصنيف الكثير من تصاميم الاختراعات للقطع والآلات والتأمين عليها ضد الأخطار. وهذه العوائق جعلت المؤسسات الصناعية الكبيرة تستجيب إلى التغيرات الطارئة على وضعية السوق بشكل بطيء.

وبهدف التغلب على كل هذه المصاعب لجأت الشركات الصناعية إلى استعمال الكومبيوتر منذ بداية عقد الستينات. وكانت أولى تطبيقاته تنحصر بإنجاز العمليات الحسابية الروتينية، وبالتدريج بدأ استخدامه في إنجاز مهمات متنوعة كضبط قوائم الموجودات والمخترعات، **وجدولة الإنتاج** sheduling of production، وتوجيه القطع التي يجري تصنيعها من إحدى العمليات إلى الأخرى. وفيما كانت تطبيقات استخدام الكومبيوتر تزداد تنوعاً مع مرور الوقت، وكانت الشركات تزداد تفهماً لدوره وتسخره لأداء المهمات الجديدة، فقد كان من الواضح أن فوائد تكنولوجيا الحساب computing technology في كل مصلحة يمكن مضاعفتها عدة مرات إذا تمكنت مختلف المصالح أو الفروع من الاتصال ببعضها.

ولم تكن أولى الوظائف المتطورة التي أمكن تحقيقها بواسطة الكومبيوتر في العمليات الصناعية ترتكز على عملية التصنيع نفسها، بل على عملية **تصميم المنتجات** design of products. ففي أواسط عقد الستينات بدأ مهندسو **شركة جنرال موتورز كوربوريشن** General Motors Corporation بالتعاون مع المختصين في البرمجة في **شركة أنترناشونال بيزنيس ماشينز كوربوريشن** International Buisness Machines Corporation بابتكار ما يسمى **بنظام التصميم بمساعدة الكومبيوتر** Computer - aided design، وهذا النظام عبارة عن وسيلة مساعدة متطورة يستعين فيها مهندسو التصميم بلوحة المفاتيح keyboard للتحكم بفيض المعلومات التي تتعلق بأجزاء الآلات. وحالما تم ابتكار هذا النظام توصل المهندسون إلى إضافة ابتكار آخر تمثل في اختراع **القلم الحساس للضوء** light - sensetive stylus الذي يسجل المعلومات مباشرة على شاشة الكومبيوتر بواسطة أنبوب الأشعة المهبطية cathod - ray tube، ويمكن بهذه الطريقة رسم القطعة وخزن المعلومات الهندسية المتعلقة بها في الكومبيوتر. وبالرغم من أن حركة القلم على الشاشة تقتصر على تحديد الشكل الخارجي للقطعة، إلا أنه أمكن برمجة الكومبيوتر بحيث يجمع بين المعلومات الهندسية والحسابية المتعلقة بالقطعة المصممة مما يمكن من تحويل مخطط المصمم designe's sketch بسرعة إلى رسوم هندسية دقيقة. وبسبب إمكانية خزن الرسوم في **ذاكرة الكومبيوتر**



★ الإنسان الآلي (الروبوت) بذراع يمكنه الدوران حول ستة محاور مختلفة تسمح له بحرية الحركة في الأبعاد الثلاثة، ويبرمج الكومبيوتر الموجود فيه بحيث يؤدي الروبوت مهمات معقدة ولكنها متكررة كالقيام بتثقيب أو تلحيم قطع الآلات ★



computer memory فإن بالإمكان استعادة المعلومات من الذاكرة عند الحاجة .

والمعلومات التي تتعلق بالتصميم الهندسي للقطعة المراد صنعها تلزم أيضاً لتحديد الطرق المفضلة الواجب اتباعها لتشكيل القطعة ، كنوع شفرة آلة القطع ، وضبط حز القطع cutting path وعمقه depth ، مع أخذ استطاعة آلة القطع وسرعتها في الأداء ونوع المادة المشكلة بعين الاعتبار .

وهذه المعلومات المفصلة المتعلقة بتصميم القطع ، وبرمجة الأدوات الآلية لتسهيل عملية تصنيعها ، أوعزت بفكرة الربط بين المعلومات المبرمجة التي يمكن استغلالها في ما يسمى بتصنيع الإنتاجية manufacturing productivity ، إلا أن غزارة المعلومات الواجب الاستفادة منها خلقت صعوبات تتمثل بكيفية خزنها والاحتفاظ بدقة عناصرها . ولقد حدد توماس جن ورفاقه في **شركة آرثور ليتل** Arthur little ستة مجالات وظيفية للكومبيوتر تم الربط بينها للتحكم بدفق المعلومات في المصنع وهي :

١ ـ التصميم .

٢ ـ خزن واسترجاع المعلومات storage and retreival المتعلقة بالقطعة المراد صنعها .

٣ ـ الإدارة management والتحكم control بالإمكانات المتوفرة ، كالقوة العاملة والآلات والمواد ، وتكييف الإنتاج مع تغيّر الطلب .

٤ ـ توجيه المواد handling of materials .

٥ ـ التحكم بالأدوات الآلية machine tools .

٦ ـ التحكم بالإنسان الآلي controle of robots .

وبإجراء الربط بين هذه الوظائف يمكن التوصل إلى ما سماه **جوزيف هارينغتون** من شركة آرثور ليتل (**التصنيع التكاملي بالكومبيوتر** computer – integrated manufacturing) . ومن المهم الإشارة إلى أن تكنولوجيا معالجة المعلومات ستبقى ناقصة التطور في هذه المجالات ما لم تتم الاستفادة من الربط بينها ويصبح هذا الربط أكثر سهولة .

والبرامج التطبيقية الجاهزة المتعلقة بحقل التصميم بمساعدة الكومبيوتر يمكنها أن تنجز عمليات التحويل الهندسية geometric transformations بالسرعة التي تجعل المصمم غير مقيد بعد الآن بسقف أو حد معيّن ، فالمساقط الجانبية والأمامية side and front views للقطعة التي كانت ترسم بجهد كبير أصبح من الممكن استنتاجها واستظهارها display على شاشة الكومبيوتر مباشرة ، إذ يمكن للمصمم أن يتفحص شكل القطعة الهندسي وأبعادها حول أي من محاور دورانها واستنتاج البعد الفراغي بين مختلف نقاطها ، وإذا كانت القطعة مصممة بحيث تتداخل مع قطع أخرى فإن باستطاعة المصمم أن يحرك الرسم الموافق لها بعد استظهارها جنباً إلى جنب مع باقي القطع ، وإجراء عملية التداخل على الشاشة ، فإذا لاحظ عدم مطابقة تصميم قطعة لأخرى فإن بإمكانه تعديل التصميم أو استبداله بآخر .

ويمكن خزن صور التصاميم المستظهرة على الشاشة في الذاكرة التي تتألف عادة من **شريط مغناطيسي** magnetic tape أو قرص ممغنط disk . وإذا أراد المصمم الحصول على صور التصاميم مطبوعة على الورق فيمكنه تحقيق ذلك بسرعة فائقة بواسطة الجهاز الراسم plotting device المسيّر من قبل الكومبيوتر ، ونظراً لسهولة تعديل التصاميم إلكترونياً فإن بالإمكان تغييرها أو تعديلها عدداً من المرات بحسب ما يتطلب الأمر دون الحاجة إلى إعادة رسمها من جديد .

وجاهزية التصاميم للاستظهار والتعديل توفر على الشركة الحاجة لحوامل المعلومات بين مصالح التصميم والتصنيع ، لأن القطعة يمكن رؤيتها وفق أي اتجاه وأي مقياس scale مما يجعل الأمر أسهل تخيلاً بالنسبة للمصمم أو المنفذ مما لو كانت القطعة ممثلة ضمن الأبعاد الثلاثة .

ولعل من أكثر فوائد طريقة (التصميم بمساعدة الكومبيوتر) أهمية بالنسبة للمصمم هو أن التحليل الهندسي يمكن إجراءه بالسرعة التي تكفي لحل المشاكل التصميمية بصفة فورية ، فمثلاً يمكن للمهندسين دراسة تأثير مختلف الإجهادات stresses على القطعة دون الحاجة لبناء نموذج مادي لها . ويتم التحليل الهندسي على شاشة الاستظهار بعدة طرق من أهمها الطريقة التي تدعى (التحليل العنصري المحدود finite – element analysis) بحيث تقسم القطعة على الشاشة إلى مجموعة عناصر صغيرة أو خلايا cells وتشاهد كيفية استجابة كل منها للإجهاد ، وبذلك يقدم الكومبيوتر صورة القطعة كما ستبدو حقيقة لو تشوهت deformed بتأثير الإجهاد الميكانيكي mechanical stress فيوضح مواطن الضعف فيها .

ولقد أدى تطبيق طريقة التصميم بمساعدة الكومبيوتر إلى تطوير الإنتاجية في المصنع الحديث بمعدل ثلاث أو أربع مرات ، وحققت لأرباب المصانع الفوائد الجمة ، ففي شركة جنرال موتورز كوربوريشن مثلاً كانت عملية إعادة تصميم redesighn نموذج السيارة الواحدة تستغرق ٢٤ شهراً أما الآن فتستغرق ١٤ شهراً ، وصناع قوالب القطع البلاستيكية استطاعوا أن يزيدوا مردود إنتاجهم من ٣٠ قالباً في العام إلى ١٤٠ ، وأكثر من هذا فقد أدت تطبيقات نظام التصميم بمساعدة الكومبيوتر إلى خفض تكاليف الإنتاج لأنها أنقصت من الوقت اللازم لتصميمه ومن عدد العاملين في قطاع التصميم وزادت من جودة الصنع .

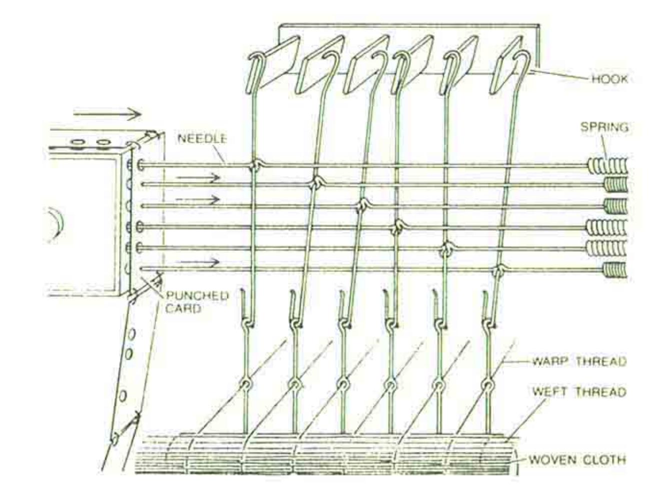
وتجدر الإشارة إلى أن المعلومات التي تتعلق بالتصميم الهندسي لقطعة ما والمخزونة في ذاكرة الكومبيوتر يمكن الاستفادة منها في تصميم قطع جديدة ، فعند الاحتياج لتصميم قطعة جديدة وتخطيط كيفية تطوير إنتاجها في المصنع تتم الاستعانة بالمعلومات المخزونة والمتعلقة بالقطع المتشابهة ، ومشكلة الحاجة للتعرف على مثل هذه القطع بسرعة يمكن حلها بواسطة نظام استنتاجي في

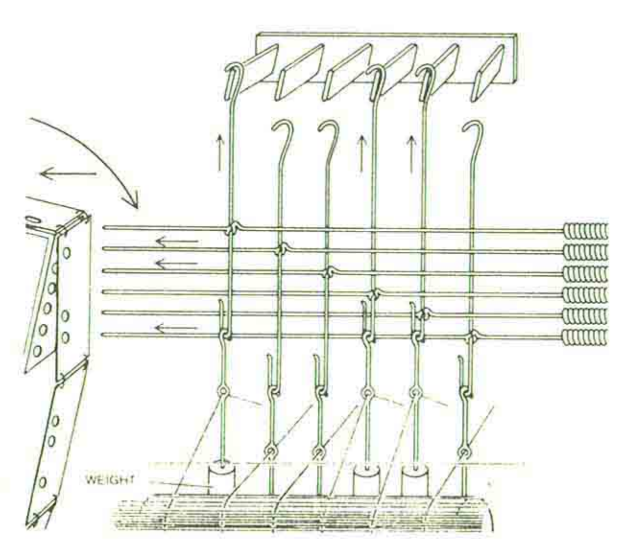
خزن واسترجاع المعلومات ، ويدعى هذا النظام (**تكنولوجيا المجموعات** group technology) ، ويعتمد على تصنيف **ملفات البطاقات الإلكترونية** electronic - card files المتعلقة بكل قطعة تقوم الشركة بصنعها . ويمكن تصنيف بطاقات القطع بأية طريقة تراها الشركة مناسبة لها ، ولكن عادة ما تصنف القطع وفق خصائصها الفيزيائية كالحجم والشكل ونوع المادة التي تصنع منها ومواصفات طريقة الصنع ، مثل الوقت اللازم لمرورها على آلات التصنيع المختلفة ، وعدد القطع التي تصنع في كل دفعة ، وحالما يتم تصنيف القطع يمكن للمصمم المهتم بابتكار قطعة جديدة أن يستعيد قائمة القطع القديمة التي تملك خصائص مشابهة للجديدة ، ومن ثم تسهل عليه عملية التصميم باعتبار أن الفروق بين القطع القديمة والجديدة تكون بسيطة ومعروفة .

وبيّنت الإحصائيات التي أجريت في الشركات الصناعية في الولايات المتحدة أن هذه الشركات تحتاج ، من أجل تطوير إنتاجها من الآلات ، إلى إجراء تصميمات جديدة تماماً لـ ٢٠ ٪ من قطع الآلات ، وإلى إجراء تعديلات جوهرية على تصاميم ٤٠ ٪ من القطع ، والإبقاء على التصميمات القديمة للقطع الباقية .

تخطيط موارد التصنيع

ولقد أوحت مكننة التصميم بمساعدة الكومبيوتر بفكرة المكننة الكاملة لجميع المهمات التي تتعلق بالمصنع ، ومن أهم هذه المهمات جدولة العمل ، وتنظيم إدخال القطع في العملية التصنيعية ، وتنسيق العمل بين الأدوات الآلية المختلفة ، وجدولة المواد الأولية والمنتجات ، وهذه المهمات تتطلب قدرة عالية على التخطيط والتحكم لم يتم التوصل إليها إلا بواسطة الكومبيوتر . وتوجد عدة طرق يستخدم فيها الكومبيوتر لحل هذه المشاكل من أهمها الطريقة التي تدعى **تخطيط موارد التصنيع** manufacturing resource - planning ، التي ابتكرتها شركة IBM عام ١٩٦٨ م ، ثم طورت فيما بعد . ومن أجل تطبيق هذه الطريقة فإن على الشركة المعنية أن تمتلك معلومات دقيقة حول القطع اللازمة لكل مرحلة من مراحل تصنيع المادة الناتجة والوقت اللازم لصنع كل منها ، ويشمل هذا الوقت الزمن اللازم لصنع القطعة ، مضافاً إليه الزمن الذي تقتضيه عملية تحضير الآلات ، ونقل القطع من إحدى العمليات إلى الأخرى ، وكذلك زمن التأخير المصروف عند انتظار القطعة ليحل دورها في العملية التالية ، وطريقة تخطيط موارد التصنيع تستجيب بشكل أفضل لاحتياجات المصانع التي تقوم بتصنيع أنواع متعددة من القطع وبكميات مختلفة . أما في المصانع التي تصنع إنتاجها وفق عمليات متشابهة ومتكررة فإن الطريقة الأكثر فعالية للتنسيق بين مختلف المهمات تدعى **نظام كانبان** Kanban system الذي ابتكرته وطورته شركة محركات تويوتا Toyota Motor Co. Ltd ، وفي هذا النظام لا يعطى الأمر لإحدى محطات خط الإنتاج production line - stations ببدء العمل إلا بناء على درجة استعداد المحطة التالية لإتمام العمل ، وسلسلة الأوامر الموجهة من محطة عمل إلى أخرى يصاحبها انتقال الآلة التي يجري صنعها حتى تصل إلى نهاية خط الإنتاج ، **والناتج النهائي** finished product كالسيارة مثلاً تركب عناصره بالتدريج أثناء دفعه عبر خط الإنتاج بناء على سلسلة من أوامر العمل التي تعطى عند الحاجة ، ويتميّز هذا النظام بأنه لا يعتمد سوى على التخطيط المركزي ، وأن القطع اللازمة تصنع وفق حاجة الإنتاج تماماً .





★ نول صناعة (الجاكار) يعد من أول الآلات التي تعمل بالبرمجة باستعمال سلسلة من البطاقات المثقبة ★



ويمكن للكومبيوتر الذي يؤدي هذه المهام المتنوعة والمعقدة أن يقدم أيضاً ملخصاً للتقارير المتعلقة بإدارة الشركة ، وهذه التقارير يمكن أن تشمل كل الأوامر المعطاة إلى الأدوات الآلية المختلفة ، ومستويات الجودة ، وسرعة الإنتاج اليومية ، والفرق اليومي بين معدل إنتاج المصنع ومعدل التصريف ، كما يقدم الكومبيوتر تقريراً عن انجاز العمال والآلات بواسطة ساعة التوقيت التي تحدد نشاطات العمال أوتوماتيكياً .

الأدوات ذات التحكم الآلي

وهي عبارة عن آلات توجه أوتوماتيكياً لأداء مهمات متنوعة دون الحاجة إلى العمال المسيرين ، وأول هذه الأدوات كانت تتم برمجتها بواسطة الشريط الورقي المثقب punched paper tape ، وأي تعليمة instruction موجهة للآلة تمثل بمجموعة من الثقوب holes على الشريط الورقي ، والتطور الذي شهدته هذه الطريقة تمثل باستبدال الأشرطة الورقية التي تسيّر الآلة ،

بكومبيوتر رقمي digital computer موصل إليها . ويمكن لهذه الآلات أن تنجز ذاتياً مهمات متنوعة كتقطيع المعادن بدقة كبيرة وتشكيلها ونقلها . وعند توصيل عدة أدوات آلية من التي يتحكم في أدائها الكومبيوتر الرقمي بمجموعة من الكومبيوترات ، فإن النظام الناتج يدعى نظام الأدوات الآلية ذات التحكم الرقمي المباشر direct – numerically controlled machine tools ، الذي يسمح بالتحكم بكل آلة بواسطة مايكروكومبيوتر microcomputer ، وعدة آلات تكون مرتبطة بالمينيكومبيوتر minicomputer ، وعدة مينيكومبيوترات ترتبط بالكومبيوتر الرئيسي ، وبرامج تصنيع أي قطعة من التي ينتجها المصنع يمكن خزنها في محطة المعلومات المركزية central data base ، ويمكن نقلها من الكومبيوتر الرئيسي إلى أي من الأدوات الآلية في شبكة التصنيع .

وبالإضافة لذلك فإن المعلومات المتعلقة بوضعية كل آلة وحجم إنتاجها والمواصفات النهائية للقطع التي تصنعها يمكن خزنها في الكومبيوتر الرئيسي **بواسطة جهاز التحكم الإلكتروني** electronic controller ، وبهذه الطريقة يمكن التحكم بأكثر من مائة من الأدوات الآلية دفعة واحدة عن طريق الكومبيوتر المركزي الذي يجمع بينها . **ومن الواضح أن أهم فوائد هذا النظام تتمثل في أن الاتصال والانسجام بين مختلف الأدوات التي تصنع الإنتاج يتم بطريقة إلكترونية ، والمشكلة التي ما زالت قائمة في هذا النظام تتلخص في أن تحريك القطع المصنوعة ، من إحدى الآلات إلى الأخرى ، ما زال يتم بطريقة يدوية** manual method ، فإذا تم ربط هذا النظام بنظام آخر يدعى نظام توجيه المواد material handling ، وبرمج الكومبيوتر بحيث يتحكم في تشغيل جملة الأدوات بتعاقب معين ، فإن النظام الجديد الناتج يدعى **نظام التصنيع المرن** flexible manufacturing system الذي يتم فيه تصنيع العديد من أنواع القطع بطريقة آلية بحتة ، والمصانع التي تمتلك مثل هذا النظام لا تحتاج إلا إلى عمليتي الشحن loading بالمواد الخام وتفريغ unloading النواتج ، ويمكن لشخص بمفرده أن يؤدي هذه المهام ، كما أن هذه الطريقة توفر الكثير من الوقت اللازم لإنتاج القطع .

وفي المصانع المتخصصة بإنتاج كميات كبيرة من القطع المتشابهة ، يُلجأ إلى **طريقة التجميع** assembly process التي يمكن أن تصبح آلية تماماً عند بناء الآلة وحيدة الهدف single purpose machine ، وابتكار مثل هذه الآلة يتضمن أكثر التكنولوجيات تعقيداً لأنه يتطلب ابتكار طرق لتوجيه القطع وتركيبها على بعضها وربطها ، وفي أغلب الأحوال يكون تصميم القطعة المجمعة الناتجة منسقاً بكيفية خاصة تجعله يتلاءم مع عملية التجميع الآلي . والعيب الوحيد في هذه الطريقة يتمثل في اقتصار دور الآلة المنتجة على إنتاج نوع معين من السلع لا يمكنها تبديله ، فمثلاً لا يمكن استخدام آلة لفبركة إبر الخياطة في إنتاج الدبابيس ذات العقب المدبب ، ولهذا لا يمكن لهذه الآلات أن تساير التغيّر في متطلبات السوق .

الإنسان الآلي (الروبوت)

وهو عبارة عن آلة يمكن برمجتها لتحريك المواد والقيام بإنجاز المهمات ذات الصفة التكرارية repetative tasks ، والآن بدأ استخدامها على نطاق ضيق لإنجاز عمليات التجميع الآلية ، وفي مثل هذه الحالات فإن الإنسان الآلي استبدل العامل في انجاز بعض الأعمال الروتينية كتحميل المنتجات وتغليفها وتصنيفها ، وفي حالات أخرى يستخدم نظام من الروبوتات لأداء أعمال أكثر مرونة .

والصعوبة الأساسية في استعمال الروبوتات لأداء مهمة التجميع تكمن في أن الإنسان الآلي ليس بإمكانه أن يلتقط القطع المتناثرة بصفة عشوائية . وأهم تطبيقات استعمال الإنسان الآلي في الولايات المتحدة تتمثل في تحميل وتفريغ المواد وأداء المهمات التي تتصف بالقذارة والخطورة ومن هذه معالجة النفايات ، وإطفاء الحرائق ، وتحريك الوقود النووي في محطات إنتاج الطاقة النووية ، وأيضاً في أداء المهمات العسكرية . **واليوم تستعمل الولايات المتحدة ما بين ٥٠٠٠ و ٧٠٠٠ إنسان آلي . أما في اليابان فيبلغ عدد الروبوتات المستخدمة حوالي ٨٠,٠٠٠ ، إلا أن جمعية الإنسان الآلي الصناعية اليابانية Japan Industrial Robot Association تمكنت من تنويع استعمالاته أكثر فسبقت بذلك الولايات المتحدة .**

ويُبرمج الإنسان الآلي بطريقة مناسبة بحيث يجسد في حركاته حركات البشر العاديين ، إلا أن من عيوبه البطء الشديد في أداء الحركات ، ومن ميزاته أنه لا يتعب ولا ينعس ولا يرفض أية مهمة تسند إليه .

وبأخذ إمكانات تحقيق التكنولوجيات التي أتينا على ذكرها بعين الاعتبار ، فإن من السهل أن نتخيل بشيء من التفصيل كيف يمكن للمصنع أن يعمل

إذا كانت كل من المحطات الست التي أتينا على ذكرها قد ترابطت بنظام متكامل . إن قاعدة المصنع ستقسم في هذه الحالة إلى خلايا بحسب الوظيفة التصنيعية لكل منها ، كخلية التصميم design cell ، وخلية التحريك المرنة flexible machining cell ، وخلية التلحيم welding cell ، وخلية التجميع assembly cell . والعشرات من الروبوتات ستكون مرتبطة بأنظمة الكومبيوتر . وستكون مراقبة المعلومات المتدفقة إلى أنظمة التحكم ، من قبل الروبوتات والآلات ذاتية التنظيم والعمال ، مباشرة وآنية ، ولهذا فإن خطة الإنتاج ستكون مضبوطة باستمرار ومسايرة لكل التغيرات التي تطرأ على عمليات التشغيل ، كما سيكون من السهل التحكم بتصميم الآلات بحيث يصار إلى زيادة مرونتها في الأداء لتنتج مجموعة واحدة منها عدداً كبيراً من المواد المصنعة . والاتصالات بين المصنع وزبائن الشركة والممولين ، يمكن إنجازها مباشرة بواسطة الكومبيوتر ، فطلبات الزبائن الرئيسيين سوف تمرر إلكترونياً عبر

★ التصميم والتحليل الهندسي بواسطة الكومبيوتر توضحه هذه الرسوم ، فمن أجل دراسة تأثير الإجهادات على قطع الآلة تقسم القطع إلى أجزاء عنصرية على شاشة الكومبيوتر ، ثم يلقن الكومبيوتر بالمعلومات حول القوى المؤثرة وطبيعة المادة التي صنعت منها القطعة فيعطي الكومبيوتر صورة القطعة بعد تأثير الإجهادات وتبدو في الأشكال عملية (التشوه) التي غيرت من انتظام مقطع إحدى القطع ★

أجهزة الاتصال ، وسوف تتصل مراكز أقسام الشركة المتباعدة ببعضها عن طريق نظام الاتصال بالأقمار الصناعية . والرسوم drawings مثلاً لن يعهد بها بعد الآن إلى مصمم متخصص بل ستقوم بإنجازها أدوات التصميم الآلية ثم تمررها إلى الكومبيوتر المركزي إلكترونياً .

ومن المتوقع أن تصبح محطات التصنيع أقل استيعاباً للعمال ، إذ لن يزيد عدد العمال في أكبر هذه المحطات عن خمسمائة ، وفي بعض المحطات الصناعية التي تنتج نوعاً واحداً من السلع قد لا يزيد عدد العمال عن خمسة . ونتيجة لذلك ستتفاقم مشكلة الاستغناء عن العمال الكادحين ، مقابل تزايد اللجوء إلى استخدام الروبوتات والنظم التصنيعية المرنة ، وسيتأثر بهذه التغيرات العمال الحرفيين ذوي المهارات ، وكذلك مشغلو الآلات وأرباب العمل ، فأرباب العمل وأشباههم سيتجهون أكثر نحو استخدام التكنولوجيا الحديثة مما سيضطر المهندسين إلى إيجاد أنفسهم في الوضع الذي يستلزم منهم متابعة الدراسة وزيادة التخصص ، ومن ثم فإن من المتوقع أن ترتبط مراكز شركات التصميم الهندسية بالمدن الكبرى التي تضم مراكز التدريب والمعاهد العليا كبوسطن وسان فرانسيسكو .

وبعد . . .

وبالنظر إلى ما سببته التكنولوجيا من ظواهر سلبية على رأسها مشكلة الاستغناء عن الأيدي العاملة البشرية ، فإن على المرء أن يتساءل عما إذا كان من المنطقي الاستمرار في الاعتماد عليها . . . ؟ .

يقول توماس جن :

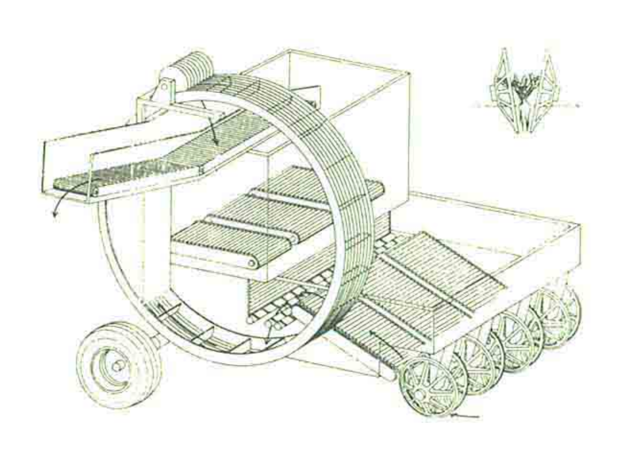
« فيما يتعلق بالمدى القصير فإن الجواب الذي يعطى دائماً هو أن الصناعيين عليهم أن يربحوا جولة التنافس السائد عبر أسواق العالم ، وهؤلاء الصناعيين يعترفون بأن تطوير تطبيق تكنولوجيا المعلومات سيضع الكثير من الناس خارج دائرة العمل ، إلا أنهم يعتقدون أنه بدون اللجوء إلى التكنولوجيا لا يمكنهم الصمود على الإطلاق ، وأغلب مستخدميهم بالتالي سيفقدون عملهم » .

ويضيف جن :

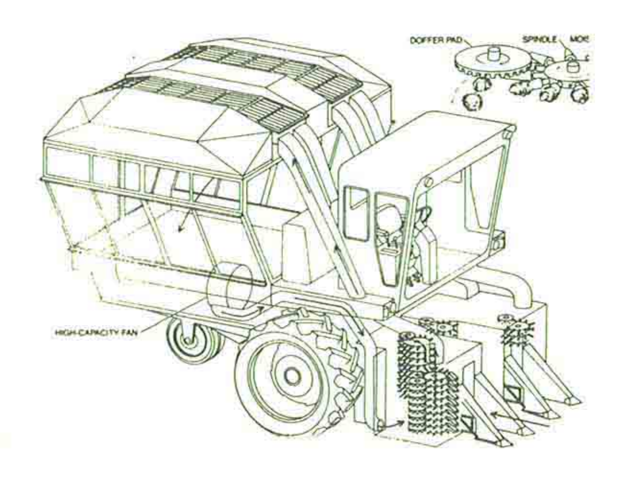
« إن مكننة التصميم والتصنيع قدمت لأرباب الصناعة إمكانات لزيادة الإنتاج وخفض تكاليفه ، وإمكانية تقديم أفضل الخدمات للزبائن ، وحققت ظاهرة المرونة في مواجهة الطلب في محطات الإنتاج المرنة ، وأدت إلى التوصل للخيارات ذات الدورات الزمنية القصيرة التي لم يكن الوصول إليها شيئاً ممكناً في الماضي ، يضاف إلى كل هذا أن الثورة التي تشهدها تكنولوجيا معالجة المعلومات ستستمر بكل تأكيد ، وسوف تخلق ثورة جديدة في طريقة أداء الأعمال المتعلقة بالتصميم والتصنيع .

وأخيراً يمكن القول إن المعلومات ، والقابلية لإمرارها بسرعة ، سوف





★ حصادة الشوندر السكري الآلية (مكننة الزراعة) ★



★ حصادة القطن الآلية (مكننة الزراعة) ★

تصبح بحد ذاتها إحدى أهم المواد ، التي تضاهي في أهميتها الأموال المخزونة في البنوك ، إنها بمعنى آخر بمثابة قطعة من الكتف . . . ؟ » .

بيبليوغرافيا مراجع الأبحاث المنشورة في هذا العرض

مكننة العمل
(THE MECHANIZATION OF WORK)

1 – Good jobs, Bad Jobs, No Jobs. Eli Ginsberg. Harvard University press, 1979.

2 – TECHNOLOGY AND SOCIAL CHANGE. edited by Eli Ginsberg. Columbia University press 1979.

3 – SERVICES / THE NEW ECONOMY. THOMAS M. STANBACK, Jr. and Thierry Noyelle. Allanheld, Osmun & Co. publishers, Inc, 1981.

4 – THE SERVICE SECTOR OF THE U.S. ECONOMY. Eli Ginsberg and George J. Vojta in Scientific American, Vol.244, No.3, pages 32 – 39; March, 1981.

مكننة الزراعة
(THE MECHANIZATION OF AGRICULTURE)

1 – THE NEW REVOLUTION IN THE COTTON ECONOMY: MECHANIZATION AND ITS CONSEQUENCES. James H. Street. University of North Carolina Press, 1957.

2 – POWER TO PRODUCE: YEARBOOK OF AGRICULTURE, 1960. U.S. Department of Agriculture, U.S. Government Printing Office, 1960.

3 – THE AGRICULTURAL TRACTOR, 1855 – 1950. Roy B. Gray. American Society of Agricultural Engineers, 1974.

4 – WHEREBY WE TURIVE: A HISTORY OF AMERICAN FARMING, 1607 – 1972. John T. SCHLEBECKER. Iowa State University Press, 1974.

5 – AGRICULTURE IN THE UNITED STATES: A DOCUMENTARY HISTORY. Wayne D. Rasmussen. Random – House, Inc, 1975.

6 – MECHANIZATION OF COTTON PRODUCTION SINCE WORLD WAR2. Gilbert C. Fite in (Agricultural History), vol 54, pages 190 – 207; January, 1980.

مكننة التصميم والتصنيع
(THE MECHANIZATION OF DESIGN AND MANUFACTURING)

1 – ROBOTICS IN PRACTICE. Joseph F. Engleberger. Kogan Page and Avebury publishing Company, 1980.

2 – COMPUTER APPLICATION IN MANUFACTURING. Thomas G. Gunn. Industrial press Inc, 1981.

3 – IMPLEMENTING CIM. George H. Schaffer in (AMERICAN MACHINIST), Vol 125, No 8, pages 151 – 174; August, 1981.

موضوع خاص

لماذا تنفجر النجوم المحتضرة؟

بقلم: سمير صلاح الدين شعبان



★ هالة حلقية متمددة تضاء ببقايا حرارة نجم منفجر ★

في إحدى أمسيات تشرين الثاني (نوفمبر) ١٥٧٢م، كان الفلكي الدانماركي (تيشو براهي TYCHO BRAHE) يمشي متثاقلاً عائداً إلى بيته. وفجأة لفت نظره ضوء أشد تألقاً من كوكب الزهرة، يشع في كوكبة «ذات الكرسي CASSIOPEIA» لم يكن فيها من قبل. لم يصدق براهي عينيه، إلا أن جيرانه وخدمه أكدوا رؤية هذا النجم. هل يعقل أن يكون ذلك نجماً؟ إذ كان الجميع يعتقدون أن التغيرات التي تجري فوق رؤوسهم تنحصر في الأجرام القريبة من الأرض. فهل هو مذنب إذن؟ راقب براهي هذا النجم الجديد فوجده ثابتاً بدون حراك. فهل يكون هذا النجم واحداً من النجوم الثابتة في قبة السماء غير ممكنة التغيّر؟

لماذا تنفجر النجوم المحتضرة؟

كان هذا النجم الجديد صدمة قوية لسيادة النظام في العالم . لذا فقد سعى معاصرو براهي بإصرار لاختلاق التفسيرات للنجم الجديد ، بغية إنقاذ تصورهم لثبات السماء دون تحول أو تبدل إلى الأبد . وقد صرخ فيهم براهي منبهاً : أيها الناظرون إلى السماء بأعين مغمضة ! .

بعد مضي عام كامل تقريباً دوّن براهي جميع مشاهداته في كتابه الأول « **النجم الجديد DE NOVA STELLA** » ، أقرَّ فيه جهله المطبق بطبيعة « النجم الجديد » وكيفية نشوئه .

قام براهي بتقديم وصف دقيق لموقع النجم « المنفجر » . وفي هذه البقعة وجد **مرقاب جبل بالومار PALOMAR** بعد مضي حوالي ٤٠٠ سنة حلقة ضبابية خافتة ، هي بقايا انفجار النجم في عام ١٥٧٢ م .

وما زال الفلكيون منهمكين ـ حتى يومنا هذا ـ في البحث ، ويحاولون تفسير هذا اللغز وتقديم جواب شاف على التساؤل : لماذا تنفجر النجوم المحتضرة ؟ .

ألا يقرب « موت » النجوم من الأذهان أنها تولد أولا ، لتمر بمرحلة الفتوة والشباب ، ثم الهرم ، قبل أن تستقر في مثواها الأخير؟ .

تشابه النجوم والأحياء

نحن نعرف الآن أن الشمس هي عبارة عن كرة ملتهبة من الغازات الساخنة ، تُطلق إلى الفضاء المحيط بها كميات هائلة من الطاقة ، وأنها « وُلدت » قبل حوالي (٥) آلاف مليون سنة ، « وستموت » بعد مدة تقارب (٥) آلاف مليون سنة .

ومن المتفق عليه بين علماء الفلك المعاصرين أن النجم يولد من سديم (سحابة) كبير من الغبار والغاز ، عندما يتم « تلقيح » هذه السحابة بواسطة إحدى موجات الضغط الكونية ، الناتجة عن تأثرها بحقول جاذبية الأجرام السماوية الأخرى القريبة منها . وهنا تبدأ عملية « المخاض » ؛ فتنكمش السحابة الأم وتتقلص تحت تأثير قوة الجذب الناتجة عن مادتها الخاصة بها . تستمر عملية الانكماش ، فتزداد كثافة الجنين في « بطن » السحابة ومركزها ، مع ارتفاع متصاعد لدرجة حرارته . يستمر ارتفاع الكثافة ودرجة الحرارة حتى « ينضج » الجنين ويصبح جاهزاً « لبث الروح » فيه . يستقبل هذا الجنين نور الحياة بإشعال « الفرن النووي » في مركز السحابة ، التي ضحت بجزء من جسمها في سبيل وليدها .



★ سديم الدُمبُل في كوكبة « الثعلب VULPECULA » ، يتكون من غاز يتمدد بسرعة ★

يستمد النجم الوليد الطاقة اللازمة لاستمرار حياته من « حرق » غاز **الهيدروجين** . ومع الأسف فقد قام الإنسان بتقليد هذه العملية ؛ فصنع القنبلة الهيدروجينية في الخمسينات . وهنا تتحد (٤) من نوى ذرات الهيدروجين في مركز النجم لتبني نواة وحيدة لعنصر أثقل من الهيدروجين هو عنصر **الهليوم** ، محررة أثناء ذلك كمية هائلة من الطاقة .

وعلى سبيل المثال ، فإن شمسنا تحرق ٦٥٧ مليون طن من الهيدروجين في كل ثانية لتبني ٦٥٢,٥ مليون طن من الهليوم . أما الفارق البالغ ٤,٥ ملايين طن فهو يتحول إلى طاقة ضرورية لاستمرار حياة النجم .

تعيش شمسنا حالياً في مرحلة « الفتوة والشباب » بفضل توازن غريب الأطوار . تحاول قوى الجذب المتركزة في وسط النجم « شفط » الغازات البعيدة . لكن إشعاعات الفرن النووي تدفعها بعيداً عن المركز الذي يحاول ابتلاعها . وبالنتيجة يبقى حجم النجم ثابتاً في مرحلة



★ سديم «أوميغا OMEGA»، الذي يبعد السديم عنا حوالي ١٠,٠٠٠ سنة ضوئية ★

الفتوة والشباب، طالما بقي الصراع متكافئاً بين الجاذبية والفرن النووي.

وبمرور الزمن يحدث ما ليس منه بد: تتضاءل ذخائر الفرن النووي وتضعف إشعاعاته، تاركاً غازات النجم تحت رحمة قوى الجاذبية، التي تقدم الغازات إلى مركز النجم لقمة سائغة يفعل فيها ما يشاء.

لقد دبت الشيخوخة في أوصال هذا النجم الهرم، وتغلغلت برودة أرذل العمر في معظم أنحاء جسده، وبدأ بالاحتضار استعداداً للانتقال إلى مثواه الأخير. فهل يغادر النجم المحتضر هذا الوجود ويمضي بسلام؟.

احتضار النجوم العملاقة

تبدأ عملية احتضار النجوم العملاقة، التي تزيد كتلتها عن أضعاف أضعاف كتلة الشمس، بانهيار (تقلص) جزئي يؤدي إلى رفع درجة الحرارة في مركز النجم من جديد إلى سويات أعلى تكفي لإعادة الحياة إلى النجم الميت. وهنا يقوم النجم «بحرق **الرماد النووي**» الناتج عن سلفه، في دورات متعاقبة. في المرحلة الأولى يتم حرق الهليوم إلى **كربون وأكسجين** بعدها ترتفع درجة الحرارة بشكل كاف لحرق رماد الفحم والأكسجين إلى **سيليسيوم**، وأخيراً حرق السيليسيوم إلى **حديد**.

وفي كل من هذه الدورات ينضب الوقود النووي كله تقريباً أولا، فينهار النجم جزئياً حتى ترتفع درجة الحرارة في مركزه بشكل كاف لحرق الرماد الموضوع تحت تصرفه، مركباً في كل مرة نوىً لعناصر كيميائية أثقل فأثقل، حتى يتوقف أخيراً عند عنصر الحديد.

عندما يبدأ النجم «بصهر» الحديد في المركز المحاط بهالات من السيليسيوم، الأكسجين، الكربون، الهليوم، يكون قد اقترب من «حافة قبره». فإذا انهارت نواة الحديد، فليس هنالك أمل للنجم في تحريض تفاعلات نووية جديدة تنقذ حياته؛ لاستحالة حرق الحديد إلى عناصر أثقل «**مع**» تحرير الطاقة في الوقت نفسه. ومن المعروف أن العناصر الأثقل من الحديد بشكل ملموس (مثل **الأورانيوم**) تتفكك بصورة تلقائية إلى عناصر أبسط وأخف وزناً.

بعدها يستجمع النجم آخر أنفاسه ثم يلفظ أنفاسه الأخيرة، ويقيم مراسم جنازته المأساوية بشكل انفجار هائل، يجعل بريقه وحده منافساً لبريق جميع النجوم الموجودة في مجرة كاملة وقد أطلق الفلكيون على هذه الخاتمة الحزينة اسم انفجار «**سوبر نوفا SUPER NOVA**».

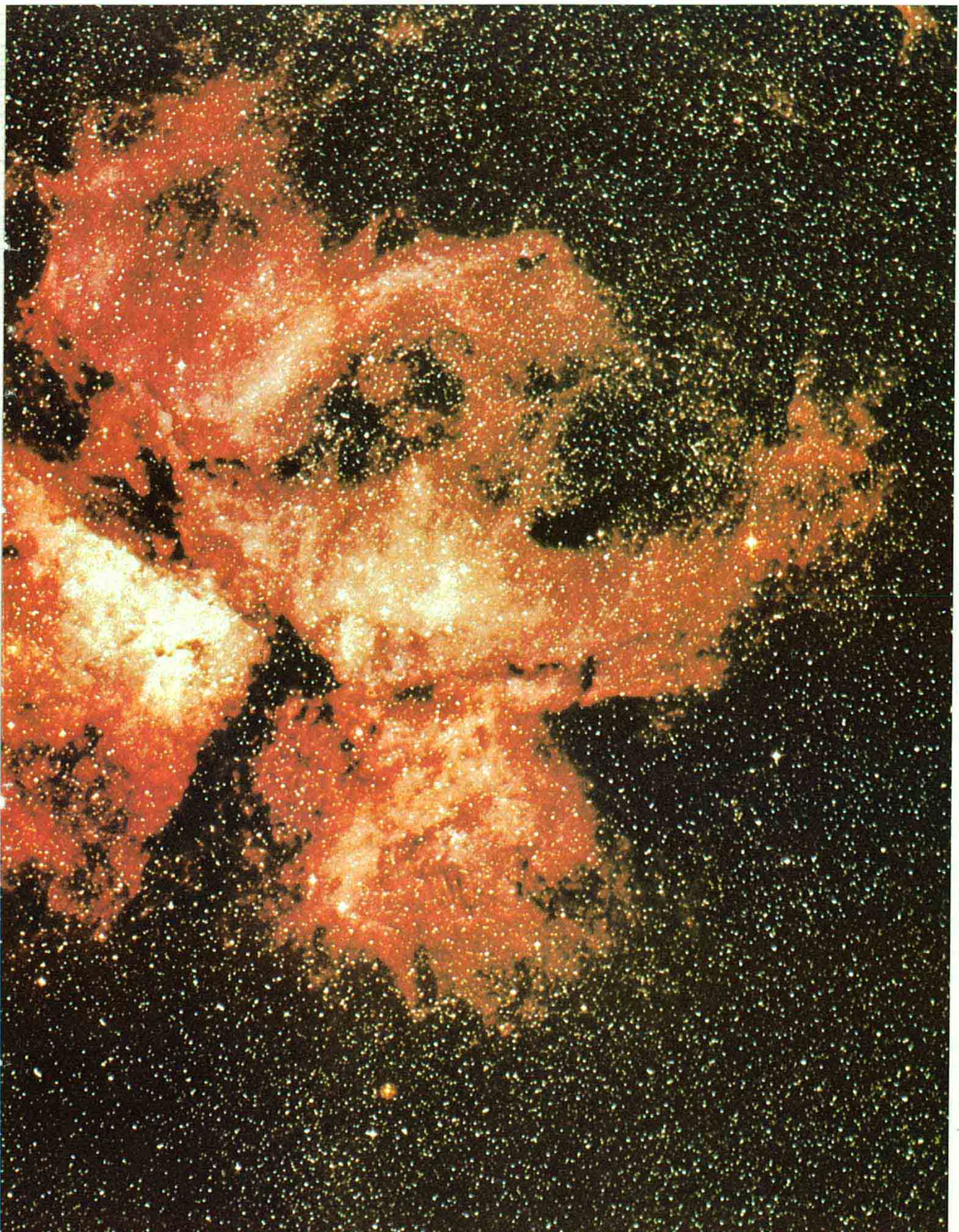
لم يتوقف حزن الفلكيين عند متابعة المشاهد الحزينة للجنازة، بل شعروا بالأسى مرة بعد أخرى نتيجة عدم ارتياحهم للأجوبة المقدمة على التساؤل: لماذا تنفجر النجوم؟.

لماذا تنفجر النجوم؟

مضى على مشاهدة براهي للنجم المنفجر ما ينوف عن أربعة قرون، قام خلالها علم الفلك بإنجاز خطوات كبيرة نحو فهمنا الصحيح للكون المحيط بنا. ورغم كل هذا فإن (**راينهارد بروير REINHARD BREUER**) أعرب في مجلة «**صورة العلم**» الألمانية عن اعتقاده بأننا ما زلنا عاجزين عن تقديم تفسير دقيق لسبب انفجار النجوم المحتضرة، رغم أن العديد من الكتب الفلكية يوحي للقارئ بأن المشكلة قد تم حلها بشكل مرضٍ.

ويضرب على ذلك أحد التفاسير المقدمة: «يتم تحريض انفجار السوبر نوفا بواسطة الطاقة المتحررة نتيجة «الانهيار المفاجئ IMPLOSION» لنواة النجم الحديدية، وتحولها إلى نجم نترونات، أو إلى ثقب أسود. وهنا يتم «قذف» الطبقات الخارجية للنجم إلى الفضاء الموجود





لماذا تنفجر النجوم المحتضرة؟

بين النجوم ، بصورة تؤدي إلى توزيع جديد للمادة التي تشكل جيلاً جديداً من النجوم .

ويعتقد بروير باحتواء هذا الوصف على الأخطاء ، ويعترض عليه متسائلاً : **« كيف ينقلب الانهيار المفاجئ إلى انفجار ؟ »** .

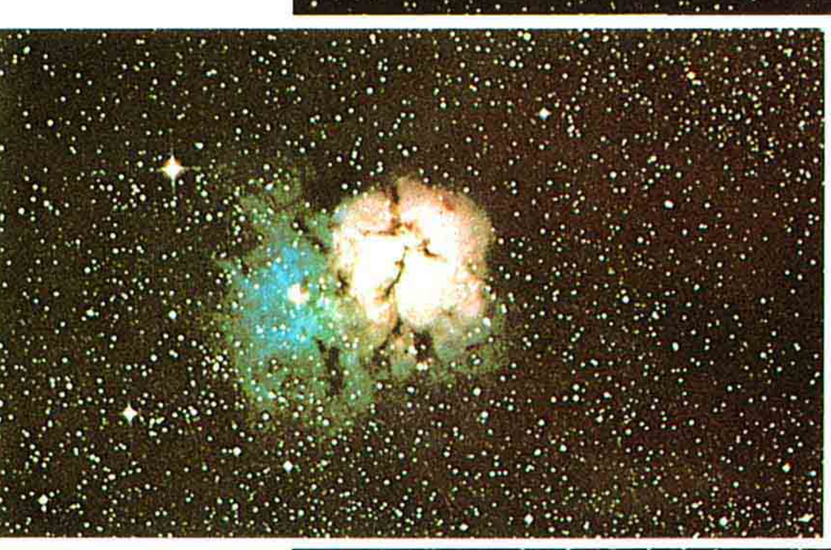
ويوحي ذلك بأن الأمر يتعلق بتفسير ناقص للمسرحية السماوية التي يشاهدها الفلكيون بصورة وسطية مرة كل ٣٠ سنة في المجرات الحلزونية الشبيهة بمجرتنا : إذ يرافق موت النجم انتشار قوي للمواد والإشعاعات ، وتحرر



★ سديم « كارينا CARINA » ، ينيره النجم المتحول إيتا كارينا ؛ ليجعله إحدى عجائب السماء الجنوبية ★



★ سديم الجبار يحول مخلفات النجوم المنفجرة الغبار والغازات إلى نجوم وليدة تسمى « نجوم الجيل الثاني » ★



★ السديم ثلاثي الشعب TRIFID NEBULA يُعتقد احتوائه على سحب منهارة من الغاز والغبار في طريقها « لإنجاب » نجوم جديدة ★



كمية هائلة من الطاقة تسمح للسوبر نوفا بالتألق ببريق يفوق بريق المجرة الكاملة . ويتخلف عن الانفجار سُدُم غازية تتوسع بسرعة ، مثل سديم السرطان ، وسديم ڤيلا VELA .

وعلى ما يبدو فإن الفضول الذي يثيره انفجار النجوم العملاقة لا يكفي وحده لمعرفة سببه المعقد ، الذي تتدخل فيه ظواهر مختلفة تندرج تحت العديد من فروع الفيزياء منها :

١ ـ **الفيزياء النووية** ، ولا سيما ما يتعلق منها بالاندماج النووي (FUSION) .

٢ ـ **نظرية الجاذبية** .

٣ ـ **الترمو ديناميك** (الديناميكا الحرارية THERMO DYNAMICS) .

٤ ـ **ديناميكية الغازات** GAS DYNAMICS .

٥ ـ **الفيزياء الفلكية** .

لمواجهة هذا التعقيد ، فقد لجأ العلماء إلى الاستعانة بالنماذج النظرية لعملية الانفجار وقسموها إلى ثلاث مراحل أساسية :

١ ـ الحياة العادية للنجم حتى يستهلك مدخراته من الوقود النووي ، ويتحول إلى عملاق أحمر RED GIANT .

٢ ـ تقلص النجم وانهياره بعد استهلاك وقوده النووي .

٣ ـ انقلاب الانهيار المفاجئ في مركز النجم (VORE BOUNCE) إلى انفجار .

بعدها تم البدء بوضع التصورات الفيزيائية النظرية لهذه الأجزاء منذ أواخر ستينات القرن الحالي ، دون تحقيق نجاح في الإجابة على التساؤل الأساسي حول سبب الانفجار .

وفي أيامنا هذه يتم الاعتماد على أسرع الحاسبات الإلكترونية لفهم هذه المعضلة بشكل أفضل ، في العديد من مراكز الأبحاث العالمية : وهنا يتم تزويد الحاسب الإلكتروني لجميع المعلومات والمعادلات الرياضية المعقدة ، التي تسمح بوصف التفاعلات التي يتعرض لها عدد كبير من نوى العناصر المختلفة ، في درجات حرارة تصل إلى بضعة مليارات درجة مئوية ، وفي حالة من المادة هائلة الكثافة ، يتم بلوغها خلال فترة زمنية قصيرة جداً .

أجرى واحد من أكبر الحاسبات الإلكترونية في العالم حسابات معقدة استغرقت حوالي (١٥) ساعة ، وقدم نتائجه الدقيقة عن مسار حياة النجم ، في المرحلتين الأولى والثانية (الحياة العادية والانهيار الأولي) ، بعدها « تخور قواه العقلية » ، تماماً عند المشهد المثير الذي يترقبه الجمهور على أحر من الجمر . إنه يعرض عدداً محدوداً من الحركات الاهتزازية لجثة النجم الميت ، ولا شيء بعدها . فماذا صنع الحاسب بالانفجار السوبر « السوبر نوفا » ؟ .

السوبر نوفا والحاسب

في بعض الحالات يتوصل الحاسب الإلكتروني إلى انفجار حقيقي ؛ لكن ذلك لم يحدث حتى الآن « **إلا** » عند الانطلاق من مسلّمات مناقضة لبعض قوانين الفيزياء المعتمدة حالياً ، التي كان الهدف الوحيد من وضعها هو التوصل إلى حدوث الانفجار « بأي ثمن » .

★ سديم الخمار VEIL هو آخر مخلفات سوبرنوفا يعتقد أنها انفجرت قبل حوالي ٥٠,٠٠٠ سنة ، وأن السديم سيتلاشى بعد حوالي ٢٥,٠٠٠ سنة ★

أما عند التقيد بحالة المادة « الموضوعية » وقوانينها ، فإن الحاسبات تقدم النتيجة التالية : بعض الطبقات الموجودة في الجزء الداخلي من النجم ، التي تحيط بنجم النترونات المصنوع من الحديد (والنيكل) ، تنعكس على سطح نجم النترونات عند حدوث الانهيار المفاجئ ، فيتم قذفها بعيداً عن المركز بسرعة تقارب ٣٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية ، لكن إلى مسافة محدودة فحسب .

أما « **موجة الصدم** SHOCK WAVE » فهي تنطلق من الداخل إلى الخارج بسرعة تقارب ٦٠٠٠٠ كيلومتر في الثانية لتشفط معها جزءً من المادة ، لكنها ما تلبث أن تميل إلى الهدوء بعد ثوان معدودات وحسب . وهنا تتبخر نوى الذرات التي رافقت موجة الصدم ، تمتص منها جميع الطاقة التي تمتلكها . لذا يتم كبح موجة الصدم (وبالتالي حركة المواد المتجهة إلى الخارج) قبل وصولها إلى غلاف النجم .

وعليه فإن الحاسب الإلكتروني لا يقر بوجود المرحلة الثالثة : (وقوع انفجار السوبر



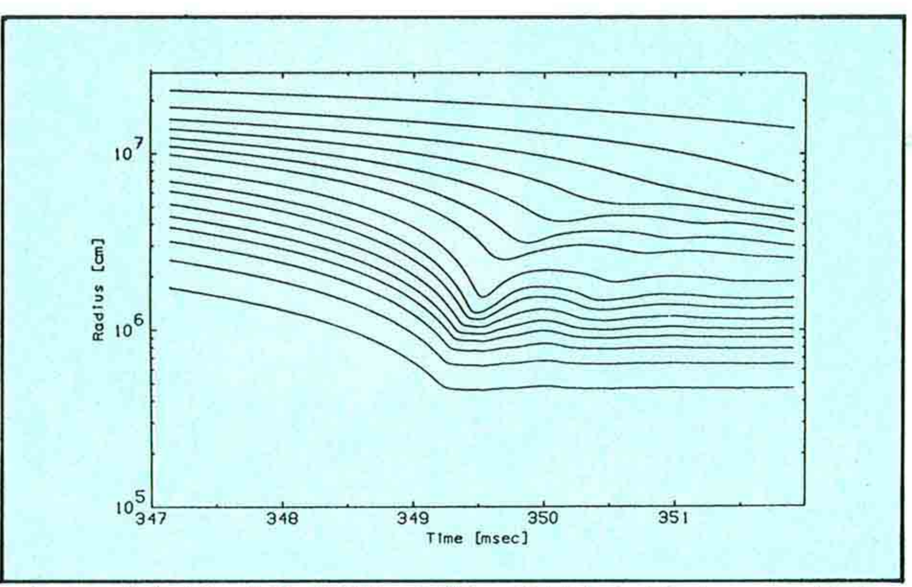


★ زحل وحلقاته وكواكب الأسرة الشمسية برمتها تولدت ــ حسب الاعتقاد السائد حالياً ــ في انفجار سوبرنوفا ★

لماذا تتفجر النجوم المحتضرة ؟

نوفا) . لكن البشر رأوا بأم أعينهم وبمساعدة مراصدهم المتنوعة عدداً كبيراً جداً من هذه الانفجارات . فأيها نصدّق ؟ .

لا بد لنا هنا من الاتعاظ بالرأي القائل ، **إن الحاسب مطيع ، سريع غبي** ، لكن **«كفاءة الحاسب تحددها كفاءة الإنسان الذي يبرمجه»** .



★ مقطع صغير، من النتيجة التي توصل إليها الحاسب الإلكتروني : لحظة تكاثف مادة النجم المنهارة إلى نجم نترونات ★

السوبر نوفا والعقل

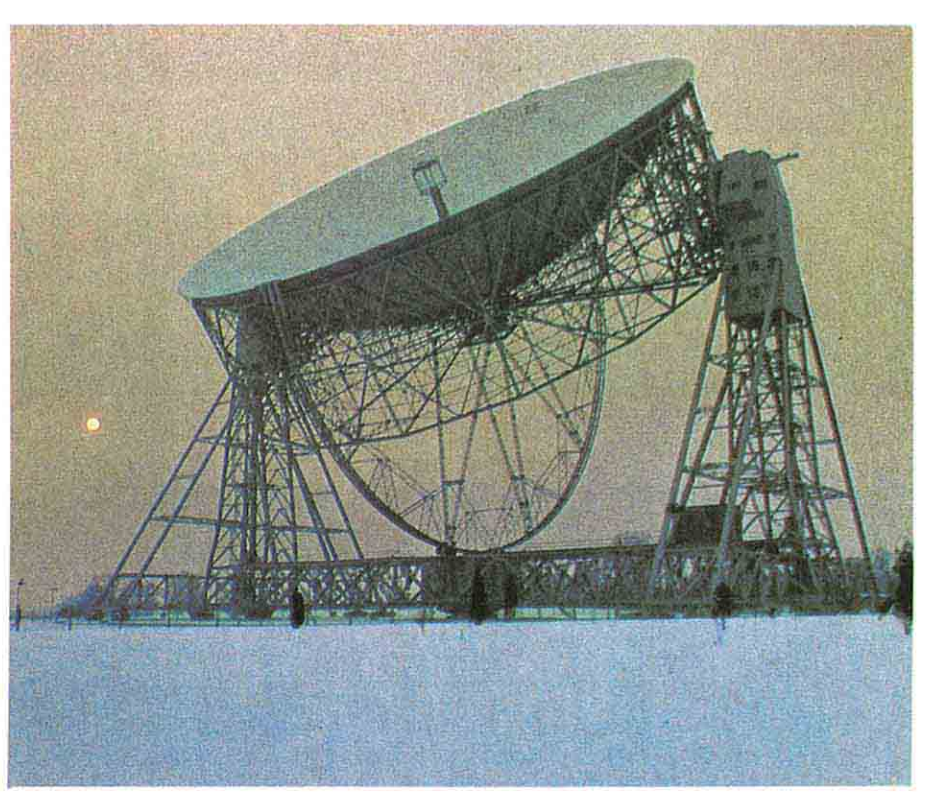
لماذا لا يقوم الحاسب بتفجير النجوم العملاقة المحتضرة؟ وبما أن الحاسب يفعل ما يؤمر به ، فعلينا أن نطرح تساؤلنا بالشكل التالي : ما هو الخطأ الذي يقع فيه العلماء المعاصرون؟ .

تمت تغذية الحاسب الإلكتروني بمعلومات «مختلفة» عن موجة صدم تخرج من نواة النجم الميت إلى الفضاء الخارجي ، فقدم الحاسب ـ حسب رأي بروير ـ نتائج رائعة ، تتفق مع مشاهدات البشر بشكل منقطع النظير .

فإذا افترضنا نشوء موجة صدم كافية القوة (بغض النظر عن مصدرها) ، واتجهت إلى الأجزاء الخارجية من النجم ، عندها يمكننا تتبع ما يجري «نظرياً» .

خلال أقل من جزء من ١٠ (١/١٠) من الثانية تقوم موجة الصدم باختراق المنطقة الداخلية من نجم النترونات ، لتجتاز بعد ساعات قليلة طبقاته الخارجية . وتتحرك أثناء ذلك بسرعة تعادل خمسة أمثال سرعة الموجات الصوتية في هذا الوسط (أي ٥ ماخ) .

وهنا «تنتفخ» الموجة الكروية بسرعة كبيرة ، فترفع على جبهتها الأمامية كثافة المادة ودرجة حرارتها بمقدار ٤ ـ ٦ أمثال . عندها يتم إشعال الفرن النووي مرة أخرى بضعة أعشار



★ المرصد الراديوي جوردل بانك JORDELL BANK RADIO TELESCOPE يلتقط إشارات من مخلفات انفجار نجم ١٥٧٢م ★

الثانية لتنفيذ ما يسمى **«تركيب النوى الانفجاري EXPLOSIVE NUCLEO SYNTHESIS»** ، الاندماج القسري لنوى الذرات بحيث تلد العناصر الكيميائية الثقيلة جداً ، بما فيها عنصر الأورانيوم .

بعدها تنخفض درجة الحرارة في **«جبهة الصدم»** إلى حوالي ٦ مليارات كلفين ، وتنخفض كثافة المادة إلى عُشر (١/١٠) ما كانت عليه ؛ فيتوقف تفاعل الاندماج (أو الالتحام) النووي . وبذلك تنتهي مرحلة تحولات المواد الأخيرة . أما المادة فتتمدد في الفضاء المحيط بها وتبرد أثناء ذلك .

وأخيراً يتم تفجير هالة النجم (غلافه) ، وتندفع العناصر الكيميائية الثقيلة التي تم «تصنيعها» مؤخراً في سائر أنحاء الفضاء .

رواية الحاسب هذه مقبولة إذن للحوادث التي تقع بعد نشوء موجة الصدم . ويعني ذلك أن الإنسان قدم للحاسب معلومات غير سليمة



★ سديم السرطان ★



★ سديم أميركا الشمالية لنجم انفجر قبل حوالي ٥,٠٠٠ سنة . مخلفاً وراءه هذه الكمية الكبيرة من غبار العناصر الثقيلة ★

مائة بالمائة حول نهاية عملية الانهيار ، وبدء انقلاب الانهيار المفاجئ إلى انفجار .

خلاصة

وضع غموض ظاهرة السوبر نوفا علماء الغرب في موقف حرج ، اضطرهم إلى وضع تصوراتهم على المحك . قدموا جميع المعلومات عن مسار حياة النجوم الكبيرة إلى الحاسب الإلكتروني « عديم العواطف » ، السريع ، الذي ينفذ ما يطلب منه بحذافيره . لكنه خيب آمال « أسياده » ؛ إذ إن المعارف البشرية التي تم تقديمها له ، ما كانت لتكفي لجعل النجم ينفجر .

يكشف هذا للمثقف العربي المسلم أن « الكثير » من النماذج والتصورات النظرية ، التي تقدم له حول الظواهر العلمية الطبيعية « الصرفة » ، يختلط فيه السم بالدسم . وقد يجد المثقف العربي المسلم في هذا المثال عن انفجار النجوم ما يدفعه إلى عدم تقبل الفرضيات و « النظريات » العلمية الطبيعية قبل الارتياح إلى صحة الدليل الذي تستند إليه .

وربما يكون حرياً بمن لا يجد في نفسه المقدرة على هذا التمحيص أن يحاول متابعة الجدل الذي يثور بين علماء الغرب فيما بينهم . أما من أراد الاكتفاء بأضعف الإيمان فبمقدوره أن يسأل إنساناً عربياً مسلماً مشهوداً له بالعلم والتروي .

ويعتقد الكاتب **أن الأخطاء التي يرتكبها الفيزيائيون حول انهيار النجم ، ترجع إلى التعامل مع حالة غريبة جداً من المادة تقارب ١٠^١٤ غرام على السنتيمتر المكعب (مائة مليون مليون غ / سم^٣) ، ترتفع فيها درجة الحرارة إلى بضعة آلاف ملايين كلفين**. ليس هذا فحسب . فهذه المادة الغريبة تقع تحت وطأة مؤثرات غير معروفة بشكل كامل ، مثل الضغط السائد ، وسرعة دوران النواة ، والحقل المغناطيسي ، وحركة النترينو NEUTRINO ، وربما موجات الجاذبية .

ولئن كان للفيزيائيين الغربيين بعض العذر في سد ثغرات معارفهم بفرضيات لا يمكن التحقق من صحتها ــ حول هذه المادة الغريبة ــ في المختبرات الأرضية ، فلا عذر لنا في التسليم الكامل بصحة هذه التصورات ، ما لم يقم عليها الدليل المقنع .

المراجع

١ ــ م . سمير صلاح الدين شعبان . وأخيراً تم اكتشاف حقيقة الثقب الأسود في السماء . مجلة العربي ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٤ م .

٢ ــ R. BREUER. SUPER NOVA, IM COMPUTER — MODELL WILL SIE EINFACH NICHT EXPLODIEREN. BDW, SEPTEMBER 1981.

٣ ــ H.A. REY. STARS. HOUGHTON MIFFLIN, BOSTON 1976.

٤ ــ N.HENBEST. MYSTRIES OF THE NUIVERSE. VAN NOSTRAND REINHOLD, NEW YORK 1981.

٥ ــ V.C. RUBIN. DARK MATTER IN SPIRAL GALAXIES SC. AMER. JUNE 1983.

٦ ــ AUTHOR'S COLLECTIVE. SCIENCE AND TECHNOLOGY. FREE MAN, SAN FRANCISCO 1979.

أماه ... أنا في هذا العش .. !

كيف يتعرف طائر الخُطاف (المعروف باسم السنونو في كثير من البلاد العربية) على سلالته من بين آلاف الطيور المتشابهة، التي تقطن في أعشاش جماعية متلاصقة مبنية من الطين على الحواف الصخرية ...؟.

يكمن السر في ذلك ـ طبقاً لما يقوله عالمان من علماء الطيور ـ في **سقسقة** الصغار أنفسهم .. فقد قام كل من **مايكل بيتشر وفيليب ستودارد،** من **جامعة واشنطن** بوصل مجموعة من الأعشاش بأجهزة تسجيل الصوت (**كما يبدو في الصورة**) وسجلا سقسقة مجموعة من الصغار في كل عش ... ثم أخذا أجهزة التسجيل وأداراها بالقرب من مدخل عش فارغ بعيد عن الأعشاش السابقة .. وفي كل مرة كان الوالدان يطيران باتجاه سقسقة صغارهما معتقدين أنهم في هذا العش عند سماعها للتسجيل .. وإذا غيرا الشريط بشريط آخر يحتوي على أصوات أخرى، جاء طائران آخران هما أبوا أصحاب هذا الصوت.

ويقول الباحثان: **إن أصوات الطيور كلها متشابهة في أذن الإنسان ... ولكن الحال تختلف لدى الطيور ..** إذ إن هذه الأصوات تحتوي على فروق بسيطة غير ملحوظة لنا، مثل عدد الانخفاضات والعلو في ذبذبة الصوت، وهذه اختلافات تدركها الطيور فقط ... وبما أن الطيور كلها مجتمعة في أعشاش متلاصقة، فإن هذه الاختلافات الصوتية كافية لأن يتعرف الأبوان على صغارهما، ويتفاديا بذلك إطعام صغار لا يمتون لهما بصلة!.

* * *



الإنسان ... والرياضة ... والمرض

لن يلومك أحد إذا قمت تجري وتريض، بعد قراءتك لهذا الخبر العلمي؛ فقد وجد أحد الباحثين بجامعة متشيجان الأميركية أن الرياضة اليومية لا تضفي نضارة الشباب على وجنتيك فقط، بل إنها تساعد جسدك على إفراز كيماويات من شأنها أن تكافح البرد والالتهابات والعدوى ... والكل يعرف أنه في حالات العدوى **تفرز كريات الدم البيضاء مواداً بروتينية تدعى «المُحمِّات» Endogen-ous Pyrogens تحث الدماغ على رفع درجة حرارة الجسد.**

ويعتقد معظم علماء الفسيولوجيا «**علم وظائف الأعضاء**» أن الحمى الناتجة تساعد على مكافحة الالتهابات .. فالحرارة المرتفعة تزيد من كفاءة كريات الدم البيضاء في محاربة المرض كما أنها تبطئ من عملية تكاثر البكتيريا والفيروسات ...

ويقول الفسيولوجي **جوزيف كانون** إن «المُحمِّات» تلعب دوراً هاماً في زيادة درجة حرارة الجسد، وهي المسؤولة عن الثلاث درجات مئوية، التي تزيد بها درجة حرارة جسم الرياضيين، أثناء وبعد ممارسة الرياضة، عن درجة حرارة الإنسان العادي.

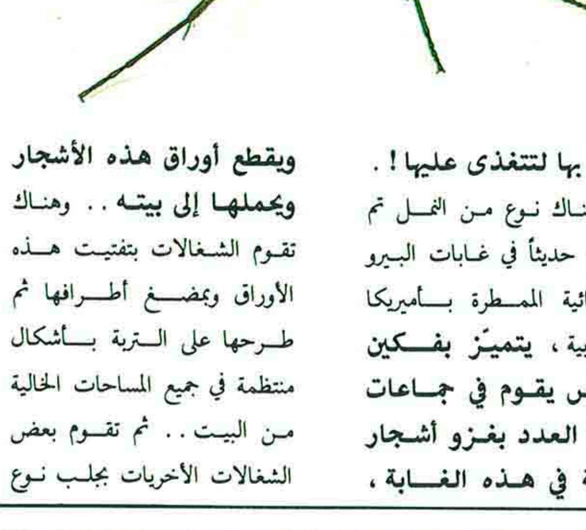
وللتأكد من ذلك، قام كانون بحقن بعض الجرذان بقليل من دم أشخاص بعد أدائهم للرياضة مباشرة، وكان قد حقن جرذاناً أخرى بدم نفس الأشخاص قبل ممارستهم للرياضة ... وكانت النتيجة ارتفاع درجة حرارة الجرذان التي تلقت الدم المسحوب بعد الرياضة ...

ولهذا فإن ممارسة الرياضة

النمل المزارع ..!

تتميّز المناطق الاستوائية في العالم، بغاباتها الكثيفة المورقة على مدار العام، وبأمطارها الكثيفة التي تتراوح ما بين مائة إلى أربعمائة سنتيمتر في العام الواحد ... وفي هذه الغابات الاستوائية الممطرة تعيش الآلاف من الفصائل الحيوانية، وملايين الأنواع من الحشرات والطيور والزواحف.

ورغم وفرة النباتات وتعدد أنواعها وتوفرها طوال العام، إلا أن **هناك أنواعاً من الحشرات ترفض أن تعيش عليها، بل إنها تقوم بزراعة نباتات خاصة بها لتتغذى عليها !.**



وهناك نوع من النمل تم اكتشافه حديثاً في غابات البيرو الاستوائية الممطرة بأمريكا الجنوبية، **يتميّز بفكين كالمقص يقوم في جماعات رهيبة العدد بغزو أشجار خاصة في هذه الغابة، ويقطع أوراق هذه الأشجار ويحملها إلى بيته ..** وهناك تقوم الشغالات بتفتيت هذه الأوراق وبمضغ أطرافها ثم طرحها على التربة بأشكال منتظمة في جميع المساحات الخالية من البيت .. ثم تقوم بعض الشغالات الأخريات بجلب نوع معين من أنواع **الفطر** Fungus ونثرها على الأوراق.

وبعد بضعة أيام ينمو الفطر بكثرة على هذه التربة التي يفضلها، والمسمدة بتلك الأوراق الخاصة.

ويستغل النمل هذا الفطر في التغذية عليه، وخصوصاً يرقاته، بعد فقسها من البيض، إذ يحتوي الفطر على نسبة عالية من المواد الغذائية الملائمة لنمو النمل.

وهكذا نرى النمل **يزرع ويحصد**، كسائر أبناء البشر، **وسبحان الله العظيم الذي ألهم مخلوقاته وعلّمها لتتدبر أمور حياتها.**



هامة في جميع مراحل العمر ... وقد أثبتت أبحاث كثيرة سابقة أن الشخص الذي يمارس الرياضة، أقل إصابة بالأمراض، من الشخص الذي لا يمارسها إطلاقاً ... **والعقل السليم في الجسم السليم** ... ويقول كانون أيضاً: إن أجدادنا كانوا أقل عرضة للإصابة بالأمراض، نظراً لممارستهم الرياضة في حياتهم اليومية الشاقة، التي تفتقر إليها الأجيال الحديثة، نتيجة التقدم التكنولوجي ..!.

***



لوحة : من التراث

● صور الفنان في اللوحة المعروضة تكويناً استمد عناصره من البيئة المحلية ، ومن الفن الإسلامي .. فلقد استمد من البيئة الطراز المعماري للبيوت والزخارف المرسومة عليها ... واستمد من العمارة الإسلامية الأشكال المتميزة للقباب والأعمدة والأرشات ، ومن التصوير والزخرفة الإسلامية الإيقاع المتكرر للزخارف ، ورؤية المباني من الداخل التي تميزت بها رسوم «بهزاد» ، و «الواسطي» .

● اللوحة مرسومة في إطار البعدين ، فلقد أسقط الفنان البعد الثالث «المنظور» ورغم أنه يظهر المباني من الداخل ، فعلى سبيل المثال يظهر الدرج «السلم» من داخل الأبواب .. أي أن الفنان سطّح الأشكال ، فأحال الكتل إلى مساحات هندسية متنوعة ذات إيقاع جميل ، تقوم على الانسجام في العلاقات الخطية ، المبنية على تعامد الخطوط المستقيمة وتقاطعها مع الخطوط المنحنية .

● اللوحة هندسية التكوين ، الكتلة تتوسطها ، وهي عبارة عن وحدات متشابكة من المربع والمستطيل والدائرة .. والفراغ محيط بالكتلة ومقسم إلى مساحات هندسية أيضاً ، كما أنه يتسرب أو يتداخل مع الكتلة ليحقق النسيج العضوي في اللوحة .

● الألوان في اللوحة متناغمة ومنسجمة وتجمع بين الدافئ والبارد ، وموزعة ومتناثرة بشكل منتظم في جميع أجزاء اللوحة محققة الاتزان اللوني .. كما أنها متفاعلة ومتناسبة مع موضوع اللوحة ، فهي شفافة لتعطي المناخ الروحاني الذي يتفق ويتلاءم مع وجود المساجد باللوحة .. أي أن الفنان قد وفق وحقق الانسجام بين عناصر الشكل وبين المضمون في اللوحة .

☆ ☆ ☆

الفنان :
عبد المحسن عبد الله الفرهود

● ولد بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٨٩ هـ .

● حصل على شهادة الكفاءة المتوسطة ، ويدرس حالياً بالمرحلة الثانوية .

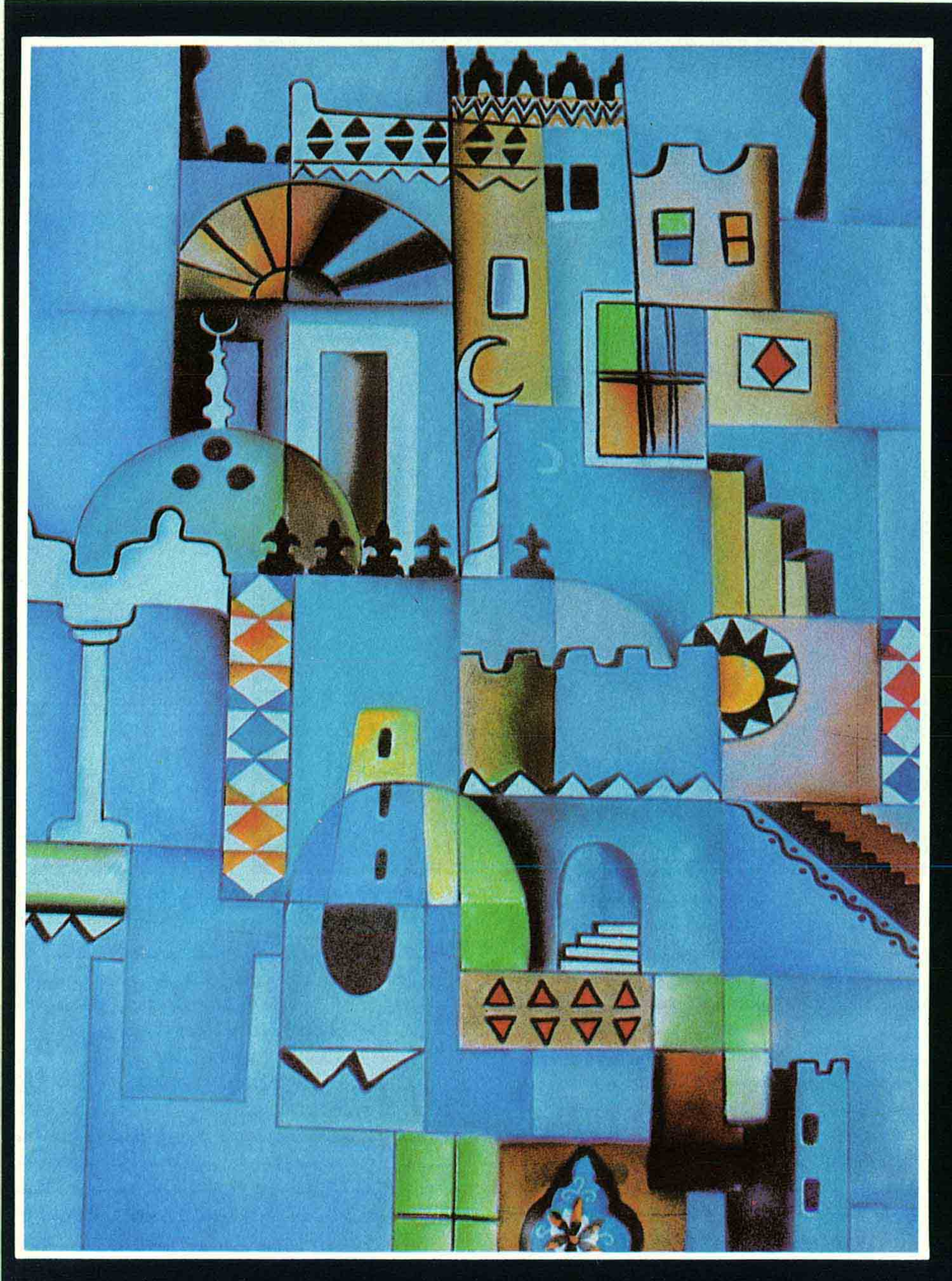
● بدأ الفن في مرحلة مبكرة .

● عضو فني في نادي طويق بالزلفي .

● اشترك في العديد من المعارض التي أقامها مكتب رعاية الشباب بالزلفي .. وكذلك في معارض ومسابقات مكتب رعاية الشباب بالمنطقة الوسطى «الرياض» .

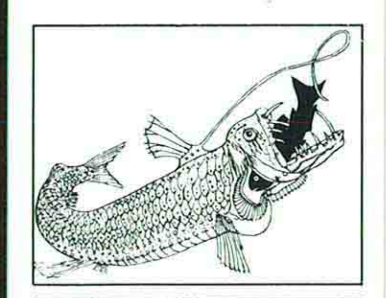
● اشترك في العديد من المعارض والمسابقات التي تقيمها الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، كمعرض الفن السعودي المعاصر ، والمعرض العام للمقتنيات ، ومعرض مناطق المملكة ، ومعرض مراسم الأندية .

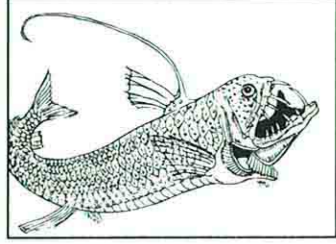
● حصل على جوائز عينية ومادية ، وشهادات تقدير من المعارض التي شارك فيها .

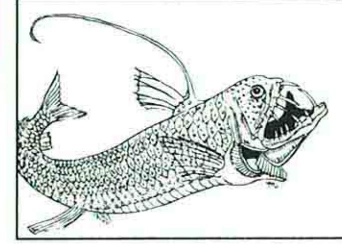










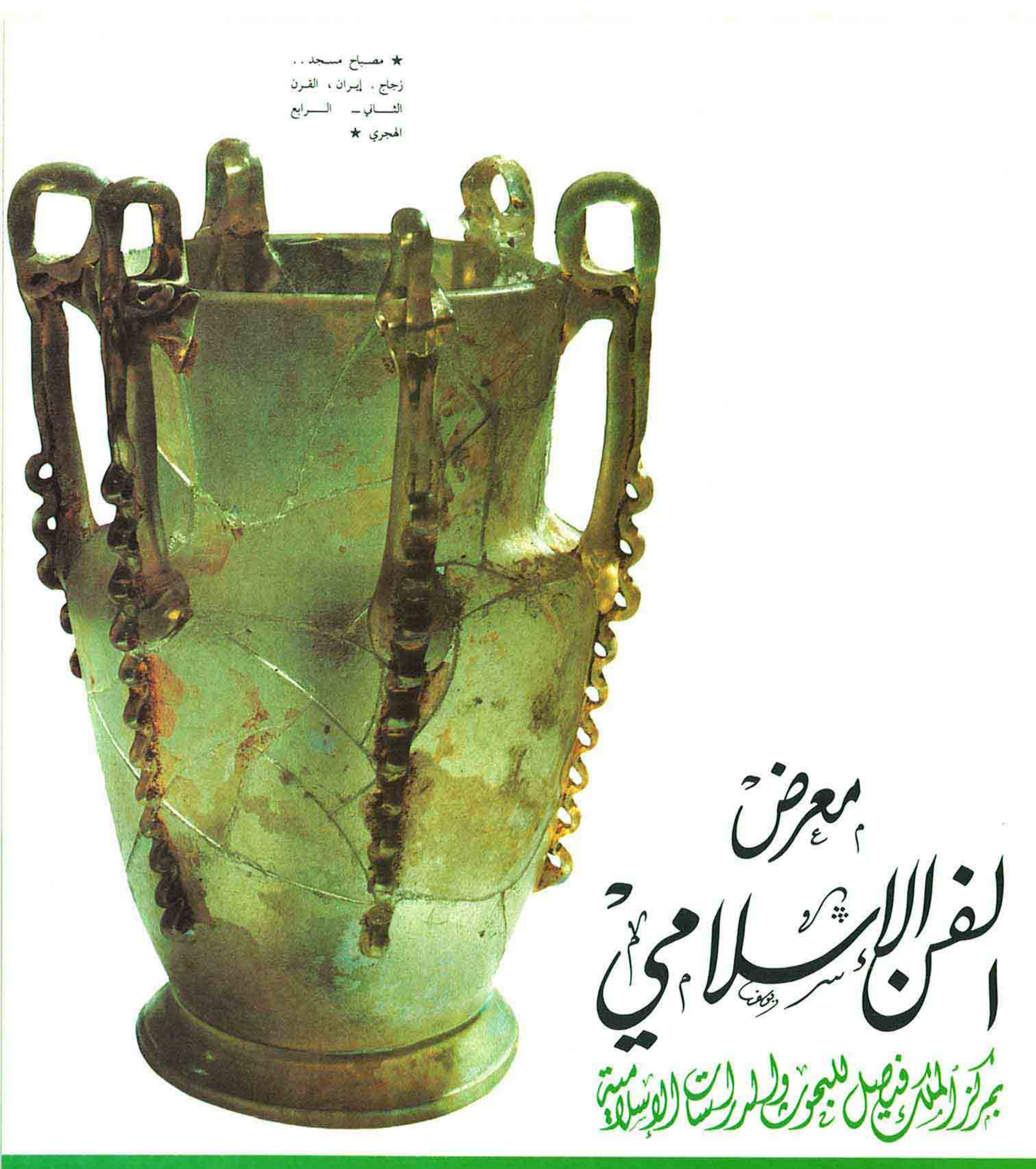


شيطان الأعماق

هذه السمكة الغريبة الشكل وغير المألوفة تعيش في أقسى البيئات على الأرض ، فهي تسكن أعماق المحيطات حيث البرد الشديد والضغط الهائل والظلام الدائم وندرة الغذاء .

والعلماء حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، كانوا يظنون بأنه لا يمكن أن توجد حياة في هذه البيئة وهذه الأحوال الصعبة ، وحين مكنتهم التقنية الحديثة من الوصول إلى أعماق المحيطات دهشوا لما رأوا من وفرة الكائنات الحية والمتعضّيات الكثيرة التي تعيش تحت هذه الظروف القاسية التي لم ترها عين بشر ، والبعض من هذه المخلوقات يعيش في أعماق تصل إلى (١٥,٠٠٠) قدم ـ (٥) كيلومترات تقريباً ـ ، وقد وجد العلماء أشكالا لمخلوقات تبدو كأنها خيالية ، ذلك أن الظروف غير الطبيعية في الأعماق قد بدّلت العلاقات بين الأجناس ، كما أنهم وجدوا مخلوقات لها وسائل مدهشة للإمساك بالفرائس والتهامها ، وسمكة الأعماق الخبيثة (انظر الشكل) كمثال تستطيع بفمها الواسع ابتلاع مخلوقات أكبر منها بكثير ، ولها أسنان حادة وفم ضخم وفكّين كبيرين قويين قابلين للتمدّد والاتساع ومعدة مطاطة قابلة للاتساع وشص (صنّارة) تستعملها لاقتناص الفرائس ، وهي عندما تبتلع الفريسة الكبيرة تكفيها لأيام لأن الغذاء قليل في الأعماق ، وذلك حسبما يقول الدكتور (سميث) .

وفي عالم أعماق المحيطات العجيب ، ولحكمة لا نعلمها ، تكون الذكور في أنواع عديدة هي الأقزام ـ (١٠) مرات أصغر من الإناث ـ وفي بعض الأسماك ذات الصنّارة يكون الذكر عادة جزءً من الأنثى ، ويلتصق بجلدها الخارجي ، ويقوم بامتصاص الغذاء من دمها حيث يشاركها حياتها ، وعمله الوحيد هو تخصيب بيوض الإناث ، والدكتور (ستيفن جيي جولد) عالم الحياة في جامعة هارفارد يقول : إن الذكر هو مجرد ملحق جنسي للإناث ، فهو مجرد نوع من جهاز تناسلي مندمج ، وهو يتعلق بأول أنثى يصادفها ولا يغادرها أبداً .



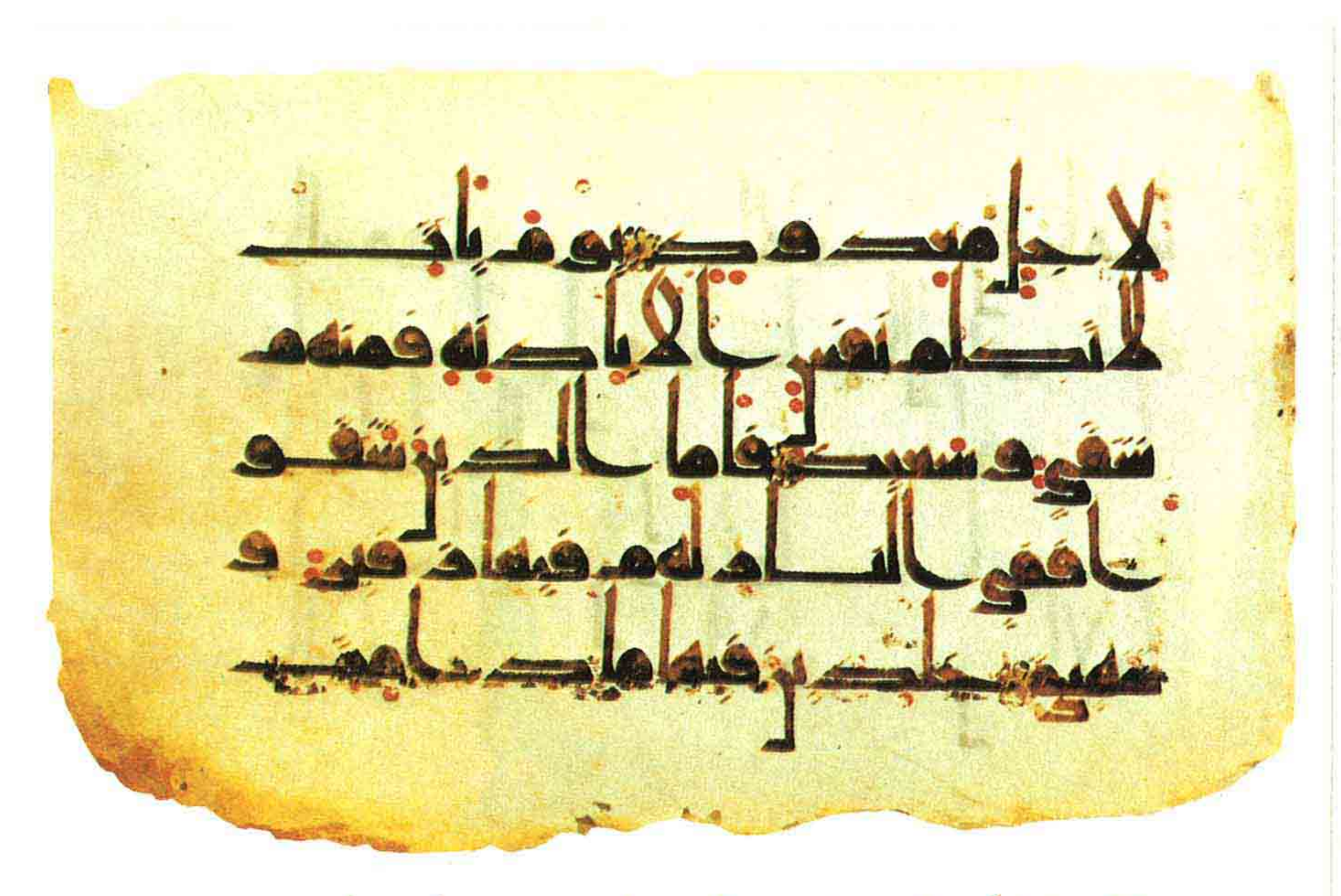
★ مصباح مسجد ..
زجاج . إيران ، القرن
الثاني ـ الرابع
الهجري ★

معرض الفن الإسلامي

بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

بقليل من البحث ، يستطيع المرء الجهر بأن المملكة العربية السعودية تكرس ، بوعي وعزم ، حركة إحياء كبيرة للتراث .

فعلى مستوى بعث التراث الفكري المكتوب ، تقوم الجامعات السبع بالمملكة ، والهيئات الحكومية والخاصة ، والأفراد ، بنشاط مكثف وعميق يستهدف البحث والتحقيق والمراجعة ، ثم النشر ، لكل ما تصل إليه أيدي الباحثين وهواة اقتناء المخطوطات .. مما أجاد السلف في إبداعه من جهود العقل وثمار الفكر ، ومن ثم تضع تلك الهيئات جميعاً في أيدي الأجيال الجديدة أكثر وأعمق وأجدى ما تستطيع الأجيال التسلح به من زاد في كافة مجالات العلم والثقافة والمعرفة .



** هذا التركيب المتميز للمعرض، بشموله وتجانسه، يبين بأجمل الأساليب وحدة هذه الأمة في عقيدتها وتاريخها وعلومها وفنونها، وعظمة حضارتها وما قدمته للإنسانية في شتى الميادين.

سمو الأمير خالد الفيصل

على أن إحياء التراث ليس مجرد نشر مخطوطات السلف فحسب، بل إن له دروباً وقنوات عدة تسلك جميعاً إلى أيكة من تحتها ظل وارف، ومن حولها ماء عذب فرات، وبين ربوعها هواء رطب تتحسسه ذؤابة القلب. تلك أيكة الإنسان العربي المسلم.. عندها يصبح متصل العقل والوجدان بإبداعات السلف. فهو إذن يعسوب قد جاب بين المروج، وبأهداب جسمه علقت ذرات الرحيق.. ثم ها هو ذا يُخرج من عصارة عقله تداعيات ما تلبث أن تترجم إلى معرفة حية وإنجاز معاش، وغد باسم الثغر، بارز الملامح، منطلق الخطى.

إذن فحركة إحياء التراث ليست مخطوطات وكتباً وحسب. أجل.. فلم يكن السلف كلهم رجال ثقافة وفكر وعلم وأدب.. لقد كان بينهم المعماري، ونساج السجاد والأقمشة، والخطاط، وناسخ الكتب، وحرفي فخار أو خزف أو زجاج، وصانع حلي وجواهر، وسكاك نقود... إلى آخر ما تستكمل به الحياة شتى جوانبها داخل المجتمع الواحد ذي العقيدة والحكومة والشعب والحدود السياسية المعلومة. فما بالنا والعقيدة إسلام والشعب مسلم والحدود لا تعرف حدوداً؟.

المملكة .. والتراث

وعود على بدء، نقول إن اهتمام المملكة العربية السعودية حكومة وهيئات وأفراداً بإحياء التراث، هو بمثابة وليد كان مخاض ولادته متزامناً مع نشأتها، ثم تولاه ملوك البلاد بالرعاية والحدب على مر السنين.

●● فقد كان المغفور له **جلالة الملك عبد العزيز آل سعود** يوالي طبع كتب السلف في مصر قبل بلوغه إلى مكة المكرمة. ومنها «**المغني**»، و«**الشرح الكبير**»، و«**تفسير ابن كثير**»، و«**البغوي**». ومع بلوغه مكة المكرمة، في الثامن من جمادى الأولى عام ١٣٤٣هـ، (حوالي عام ١٩٢٣م) عرفت مكة المكرمة طباعة كتب العقيدة السلفية وبعض كتب الأمهات. ولعل أول ما طبع في عهد الملك عبد العزيز هو «**مجموعة التوحيد**».

●● وقد أنشئت بوزارة المعارف بالمملكة «**الإدارة العامة للمتاحف والمعارض**»، كي تتولى عمليات التنقيب عن الآثار في كافة أرجاء البلاد. ومن أحدث إنجازاتها تلك الحفريات التي تجريها الآن في **قرية الفاو**، الواقعة بجنوب غربي المملكة (انظر «**الفيصل**» العدد (٧٣)).

●● في عام ١٣٩٢هـ، أنشئت «**دارة**



★ صفحة من مصحف، مكتوبة على رق بالحبر والألوان والتذهيب. إسبانيا.. القرن السادس الهجري ★

الملك عبد العزيز بالرياض»، التي نيط بها رصد كتب ومنتجات التراث بالجزيرة العربية. وفي غرة ربيع الأول عام ١٣٩٥ هـ، صدر العدد الأول من **مجلة الدارة**، لتكون بمثابة النافذة التي يطل منها أبناء المملكة والجزيرة العربية على منجزات «الدارة» في مجال التراث، ونشر بحوث وكتابات المفكرين والكتّاب المعاصرين في ذات المجال.

مؤسسة الملك فيصل الخيرية.. والتراث

في مساء اليوم التاسع والعشرين من شهر جمادى الأولى عام ١٣٩٧ هـ، (١٨ مايو (أيار) ١٩٧٧ م)، افتتحت **مؤسسة الملك فيصل الخيرية**.

وفي ليلة الافتتاح ألقى صاحب السمو الملكي **الأمير خالد الفيصل**، مدير عام المؤسسة، كلمة أشار فيها في ختامها إلى أن أهداف المؤسسة تتمثل في عدة نواح منها: «**النشاط التعليمي والعلمي، وأوجه البر المختلفة مثل المساجد والمدارس والمعاهد والجامعات والمراكز الإسلامية، ومراكز البحث العلمي**».

وفي هذا الإطار اتخذ نهج المؤسسة محاور ثلاثة تستهدف قضية التراث.

★ أولاً ـ جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية والأدب العربي: وقد فاز بها على امتداد الفترة من عام ١٣٩٩ هـ، (١٩٧٧ م)، إلى عام ١٤٠٤ هـ، (١٩٨٤ م) عدد من كبار الأدباء والعلماء، كان لكل منهم إنجازات كبيرة وعديدة في تحقيق كتب التراث، إلى جانب كتبهم وأبحاثهم في الدراسات الإسلامية والأدب العربي.

★ ثانياً ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية: وتم إنشاؤه في عام ١٤٠٢ هـ، (١٩٨٢ م)، وقد كان الهدف من إنشائه، كما قال **الدكتور زيد عبد المحسن آل حسين** مدير عام المركز، هو «الإسهام في تجديد الحضارة الإسلامية، وإعطاء صورة صادقة عنها سواء داخل بلاد الإسلام أو خارجها، وذلك عن طريق البحوث والدراسات والندوات والمؤتمرات وكل ما يمكن أن يستخدم في نقل الثقافة والمعرفة لدى مجتمعات عالمنا المعاصر».

★ ثالثاً ـ معرض الفن الإسلامي: الذي كان فاتحة إنجازات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، والذي **أقيم مؤخراً بقاعة الفن الإسلامي** بمقر «المركز» بمؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض. وكأننا

** أنشئ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ليساهم في تجديد هذه الحضارة وإعطاء صورة صادقة عنها سواء داخل بلاد الإسلام أو خارجها.

د. زيد عبدالمحسن آل حسين







★ أدوات الخطاطين. تركيا، القرن الثالث عشر الهجري ★

بالقائمين على «المعرض» و«المركز» يقولون بوجوب **وضع الأيدي على الجانب المادي الملموس من آثار الحضارة الإسلامية، جنباً إلى جنب مع التعمق في إنجازات تلك الحضارة فكراً وعلماً وأدباً وسياسة وإنجازاً.**

المعرض.. والفن الإسلامي

إحياء لذكرى الشهيد **الملك فيصل بن عبد العزيز** ـ رحمه الله ـ، أقيم هذا «المعرض» الذي اشتركت فيه ـ مع «المركز» ـ ثمان هيئات وأفراد من بينها:

- أهوان للفن الإسلامي بلندن.
- شركة أرامكو.
- الخطوط الجوية العربية السعودية.

وقد عرضت بالمعرض مائة وخمساً وثمانين قطعة أثرية شملت كافة مجالات الإبداع الإسلامي، وغطت مساحة زمنية عريضة تمتد من القرن الثاني الهجري وحتى القرن الرابع عشر لهجرة **النبي عليه الصلاة والسلام**.

والمقتنيات في مجموعها لعدد من الأفراد من هواة هذا المجال النفيس، وبينها مجموعة تعرض لأول مرة بالعالم العربي وهي **للسيد نهاد السعيد**.

إن المتأمل الدارس لهذه المقتنيات يدرك للوهلة الأولى أن المجموعة التي يضمها المعرض تجسد أبعاداً ثلاثة:

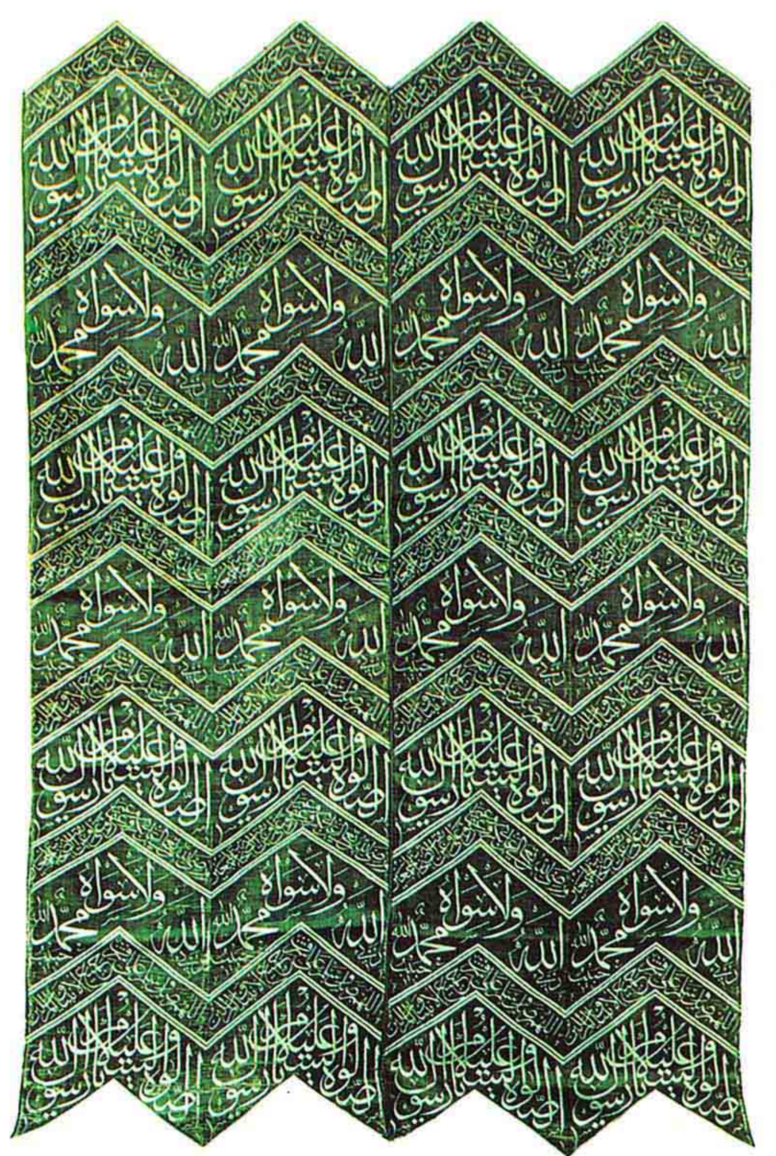
★ **البعد الزماني**: وقد سبقت الإشارة إليه.

★ **البعد المكاني**: ويتمثل في تلك الرقعة الجغرافية من الكرة الأرضية، التي أنتجت على ربوعها تلك الإبداعات، ومنها خرجت لكي تكون تحت أعين هواة ودارسي التراث الإسلامي في هذا المعرض.

★ **البعد الموضوعي**: الذي يتمثل في تلك الخطوط والزوايا والألوان والكلمات والإيحاءات والمعاني التي تجسدها كل قطعة على حدة، وهي ذاتها نفس السمات والملامح والمكونات التي تعلن عن نفسها في كل عمل فني إسلامي.

وفي معرض الفن الإسلامي، جاء تبويب المقتنيات على الأساسين الزمني والموضوعي مبوباً كما نشر في الكتاب الذي نشره «المركز» في مائتين وثمان صفحات من القطع الكبير بالألوان. أما النسخة الإنجليزية من الكتاب فقد جاءت بنفس القطع وعدد الصفحات وإمكانات الطباعة الفاخرة التي خرجت عليها النسخة العربية منه.

★ خط على نسيج حرير مقصّب . تركيا ، أواخر القرن الحادي عشر الهجري ★



★ كرة سماوية ، نحاس أصفر . الهند ١٠٧٤هـ ★



وهكذا صنفت المقتنيات وفق التبويب التالي :

١ ـ الخط والزخرفة

وتضم خمساً وثلاثين قطعة تعود أقدمها إلى القرن الثالث للهجرة ، وأحدثها من القرن الرابع عشر لها . وتضم مقتنيات من :

ـ النصوص القرآنية .

ـ الأحاديث النبوية الشريفة .

ـ أمهات الكتب على اختلاف مجالاتها .

ـ الأدعية .

ـ الفرمانات .

وبفحص هذه الآثار ، وقراءة الشروح الموضحة لكل منها ، يبرز لنا ملمحان من ملامح الحضارة الإسلامية :

★ **أولهما : الاحترام الكبير للكلمة ،** والمتمثل في تجويد كتابة حروفها انطلاقاً من إحساس عميق لدى المسلمين بأهمية الكلمة وقداستها .

★ **وثانيهما : تلك المكانة المتميّزة التي كان الخطاط يتمتع بها** لدى الولاة والحكام على امتداد عصور الحضارة الإسلامية . أجل . . لقد كُتبت عنه المقالات وأعدت الدراسات لأساليبه في كتابة الخط وتتبع مساره الفني بدءً بأساتذته ، ومروراً به ، وانتهاءً إلى تلاميذه .

ولهذا **نجد للخط العربي وجوداً بارزاً في كافة إبداعات الفن الإسلامي ،** بل إنه ليسترق عين المشاهد إلى حيث هو من الأثر الفني ، بازاً بذلك على العناصر والمكونات الفنية الأخرى لذات العمل .

٢ ـ أدوات الخطاطين

ويفسر وجود تلك الصناعة ما سبقت الإشارة إليه من تميّز لمكانة الخطاط وسمو لمهنته . وبالمعرض منها أربع عشرة قطعة من أقلام ومحابر وأجربة أقلام ومقاطع ومدى ومقصات وكماشات . وفيها تتجلى مهارة الحرفي المسلم .

٣ ـ العلم والتعليم

بالمعرض صفحات أصلية من مخطوطات لكتب التراث منها :

★ **خواص الأشجار ،** لمؤلفه **ديسكوريدس** (٧٨م) ، الذي تُرجم إلى العربية في القرن الثالث الهجري أيام **الخليفة المتوكل .**



★ حلي ذهبية ،
القرن السادس ـ السابع الهجري ★

★ قنينة ، زجاج مع تصميمات مينائية وذهبية ، سورية ، منتصف القرن السابع الهجري ★

** لا حاجة بنا إلى القول إن الأعمال الفنية التي أنتجتها البلاد الإسلامية تكشف عن عدد من الخصائص والمعالم الثابتة ، كما تكشف عن تنوع إقليمي متميّز وعن أساليب تنتمي لفترات زمنية معيّنة .

الدكتورة أسن أتيل

★ **السياسة ، لأرسطوطاليس** ، وقد ترجم بأمر **الخليفة المأمون** (١٣٧ ـ ١٥٩ هـ) .

★ **تشريح بدن الإنسان ، لمنْصور بن محمد بن أحمد بن يوسف بن فقيه إلياس** ، من القرن الثامن الهجري .

وإلى جانب الكتب ، نجد معروضات أخرى تشمل صور البلدان ، وخرائط العالم ، ودليل مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ومعدات مختبرات الكيمياء ، وقطع الشطرنج . ومن معدات علم الفلك نجد الأسطرلابات ، والتقاويم ، والكرة السماوية ، ومبيِّن اتجاه القبلة الشريفة .

٤ ـ العمارة والديكور

لأن العمارة الإسلامية تتجلى ، في أبهى صورها ، في بناء المساجد وما تحويه من منابر ، ومحاريب ، وبوابات ، ونوافذ ، وقباب ، وأعمدة . . . إلخ ، فإن عنصر الزخرفة فيها يتضح من خلال الألواح المكتوبة ورؤوس النوافير وغيرها .

٥ ـ العمل المعدني

ويشمل كافة المنتجات المعدنية سواء الأدوات المنزلية كالكوز ، والدورق ، والمرآة ، والمصباح ، والصينية ، وكرة البخور ، والشمعدان . . . إلخ ، أو المعدات القتالية كالخوذة ، والدورقان ، والقوس ، والسيف ، وغيرها .

٦ ـ الخزف

وإبداعاته تعتبر واحداً من أبرز ملامح الفن الإسلامي ، وذلك لسببين :

(١) أن المعروضات تجسد مدى تقدم صناعة الخزف عند المسلمين السلف .

(٢) أن الموهبة الفذة للفنان المسلم تتجلى في تطويع الخزف ـ صناعة ومادة ـ لأفكاره وخطوطه وإمكاناته الفنية .

وبالمعرض من منتوجات الخزف اثنتين وثلاثين تحفة تنبئ بمقدرة الفنان المسلم على المزج بين عناصر الطبيعة ، والأشكال الهندسية البديعة ، والآيات القرآنية في كيان واحد يبرز ـ في أغلب الأحوال ـ محاطاً ومُطعّماً بالزهور والطيور ، وذلك في ألوان زاهية متناسقة .

٧ ـ الزجاج

والمعروض منه يجهر ـ كما في الخزف ـ

★ علب أسطوانية (المملكة العربية السعودية، القرن الثاني – الثالث الهجري)، وعلبة مستطيلة (صقلية – القرن السادس الهجري) والاثنتان مصنوعتان من العاج مع تركيبات نحاس أحمر مذهب ★

★ درع مصنوع من الفولاذ المزخرف بالذهب، والحرير، والنحاس الأصفر. الهند، حوالي ١١١٢هـ ★

بذلك التزاوج الرائع بين حرفية الصانع ومهارة الفنان. ومن آثار الفن الإسلامي بمادة الزجاج يوجد بالمعرض ست عشرة تحفة من بينها: مصباح المسجد، المشكاة، القنينة، قدح الشرب، الكأس، الدورق، الشمعدان وغيرها.

٨ – المنسوجات

وعلى مقتنياتها نرى الآيات القرآنية والأشكال الهندسية ورسوم الإنسان والطير والنبات والزهر وهي تزين منسوجات مساحة زمنية تمتد إلى ثمانية قرون بدءاً بالقرن الرابع الهجري. ومن البديهي القول إن هذه الآثار تقدم عدداً من المعطيات أبرزها ازدهار صناعة النسيج والطباعة والصباغة في الحضارة الإسلامية، ومنذ وقت سابق بكثير لنظيره في الحضارات الأخرى.

٩ – العاج والمجوهرات والمواد النفيسة

وهي القطاع الأخير من تحف المعرض. ويشمل حُلي الزينة، والعملات الذهبية (من القرن الرابع الهجري)، ودبوس العمامة، والعلب باختلاف أنواعها وأغراض استخدامها، وقناني العطر، وحُق الطيب، ودرع المقاتل.

وبعد....

فإن معرض الفن الإسلامي، بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، قد جاء متزامناً مع أحداث أربعة كبار، تعتبر كلها دلائل على اهتمام رسمي وشعبي بإحياء التراث في المملكة العربية السعودية. وهذه الأحداث الكبار هي:

– جائزة الملك فيصل العالمية.

– جائزة الدولة التقديرية في الأدب.

– المهرجان الوطني الأول للتراث والثقافة، الذي نظمه الحرس الوطني بالتعاون مع عدد من الجهات الحكومية، بالجنادرية قرب مدينة الرياض. (طالع استطلاعاً شاملاً عنه في العدد (١٠٠) القادم من مجلة «**الفيصل**» – إصدار شهر شوال ١٤٠٥هـ).

– المعرض موضوع هذا المقال.

أجل.. نستطيع القول إن عام ١٤٠٥هـ، (١٩٨٥م) هو عام إحياء التراث في المملكة العربية السعودية بحق.



من المتعارف عليه في النظام الإداري للدولة الإسلامية أن يوم الجمعة، هو يوم عطلة واستراحة لجميع أجهزة الدولة ومؤسساتها المختلفة، بالإضافة إلى الشركات والمؤسسات الخاصة. فهو يوم عبادة وراحة من عناء وتعب أسبوع كامل حافل بمختلف الأعمال. فالموظف أو الطالب أو العامل، يريد أن يتفرغ للعبادة ولقضاء أعماله الخاصة وكذلك للنظر في شؤون أسرته. وقد استمر الحال على ذلك حتى عصر الخليفة العباسي (١٥٩ ـ ١٦٩ هـ).

تطور نظام الإجازة

وفي فترة خلافة **المهدي العباسي** وضع نظاماً إدارياً خاصاً بالإجازة الأسبوعية فعمل على إضافة يوم الخميس إلى يوم الجمعة، فأصبحت الإجازة الأسبوعية (Week end) يومان بدلا من يوم واحد. « .. فأمر ـ الخليفة المهدي ـ أن يجعل يوم الخميس للكتَّاب يستريحون فيه، وينظرون في أمورهم، ولا يحضرون الدواوين، ويوم الجمعة للصلاة والعبادة »[١].

إذن فإن نظام الإجازة الأسبوعية « يومان في الأسبوع » **ويعتبر الخليفة المهدي العباسي أول من نادى به وطبَّقه على موظفي دولته.**

استمرار وجود النظام

استمر وجود هذا النظام الإداري، خلال فترة كل من الخلفاء الآتية أسماؤهم: **الهادي، وهارون الرشيد، والأمين، والمأمون**. وقد أكد ذلك **الجهشياري في كتابه (الوزراء)**، حيث قال: « فلم يزل الأمر جارياً على ذلك إلى أن كتب **الفضل بن مروان**[٢] للمعتصم، فأزال ذلك الرسم، وأخذ الكتَّاب بالحضور يوم الخميس »[٣]، فالنص هنا يدلنا على استمرارية وجود النظام لفترة تزيد عن نصف قرن، ولم نسمع أن أحداً من الخلفاء قام بإلغائه، إلى أن جاء الخليفة **المعتصم بالله** (٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ)، فأمر بإلغائه وإبطال وجوده كما دلنا على ذلك النص السابق من رواية الجهشياري.

النظام في الدولة الإسلامية

وبعد فترة طويلة تقدر بحوالي (٦١) سنة، عاد النظام مرة أخرى وخلال خلافة **المعتضد بالله** (٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ)، حيث أمر هذا الخليفة بأن يكون يومي الثلاثاء والجمعة إجازة رسمية لعموم موظفي الدولة[٤]، وهو لم يتبع نظام الخليفة المهدي حينما جعل الخميس إجازة، فالخليفة المعتضد، جعل الثلاثاء وسط الأسبوع، وجعل الجمعة في نهاية الأسبوع. وهنا نرى تطوراً جديداً في جعل يوم الثلاثاء إجازة رسمية ليس بدافع تهيئة الراحة لموظفي الدولة وإنما هناك أمر ذو أهمية كبرى، وهو العجز المالي الذي صاحب بداية فترة خلافة المعتضد بالله. وقد أخبرنا **الصابي** بذلك، إذ قال: « ومنع من أن يفتح في هذين اليومين ـ الثلاثاء والجمعة ـ ديوان أو يخرج شيء إلى مجلس التفرقة[٥] على الجيش خاصة، فوفر من مالها أربعة آلاف وسبعمائة وسبعين ديناراً »[٦] يومياً، ويبدو أن هذا كان يحصل لمصلحة بيت مال الخاصة ـ وهذا لا يعنينا ـ إنما الذي يهمنا هو أن الخليفة أراد بهذا الإجراء الإداري توفير الأموال لسد النفقات الطارئة، خاصة أن فترته كانت بمثابة فترة الانتعاش المؤقت بعد الأزمات التي لحقت بالدولة خلال فترة من سبقه من الخلفاء. فوجود نظام الإجازة كان بدافع توفير الأموال أولا ولتفرغ الجهاز الإداري في دولته لراحتهم وأعمالهم الخاصة ثانياً.

وبعد خلافة المعتضد بالله لم تصلنا معلومات تؤكد لنا باستمرار وجود ذلك النظام الفريد.

الإجازة في المملكة

عندما أقدمت حكومة المملكة العربية



الأصول التاريخية للإجازة الأسبوعية

السعودية على تطبيق نظام الإجازة الأسبوعية فإنها لم تستق ذلك من فراغ أو من أنظمة عالمية ، بل من دراسات سابقة وأصول تاريخية ثابتة بنصوص ومصادر معتمدة ، فأوجدت نظام الإجازة الأسبوعية (يومان في الأسبوع ..

الخميس والجمعة) ، وهما أنسب الأيام فعلاً للإجازة ، الجمعة بطبيعتها يوم عيد إسلامي يتفرغ فيه الإنسان لأداء شعائر صلاة الجمعة ،

ويوم الخميس لقضاء أعماله الخاصة ، والنظر في مصالح أفراد أسرته . فهي بذلك طبقت نظام الخليفة المهدي العباسي ، وابتعدت عن تطبيق نظام الخليفة المعتضد بالله . لأن حكومتنا الرشيدة لم تعمل على وجود إضافة يوم إجازة من أجل توفير الأموال لأن موظفي الدولة رواتبهم سارية المفعول في أيام الإجازات ، وأيام المرض وخلاف ذلك ، وعملت على جمع يومي الخميس والجمعة حتى يستطيع أفراد المجتمع من انجاز أعمالهم في مدة زمنية واحدة وكافية ، فهي تقصد بذلك راحة الموظف والطالب والعامل .

وكان وجود يوم الخميس كإجازة خاصة بموظفي الحكومة ، أما الشركات والمؤسسات الخاصة فلم يشملها ذلك النظام ، لأن **وزارة العمل** لديها لائحة لتنظيم تلك الشركات والمؤسسات . ومن حق الشركة منح موظفيها إجازة يوم الجمعة كإجازة رسمية لعموم المسلمين ، وغير ذلك لم تلزم الدولة أي شركة أو مؤسسة بإضافة يوم آخر كإجازة للراحة والاستجمام .

ردود الفعل

هناك فئة ــ وهي قليلة جداً ــ لم يناسبهم وجود هذا النظام الإداري الإسلامي ، وعللوا رفضهم أو عدم ارتياحهم لذلك بأن فيه تعطيلاً لمصالح الدولة عامة والأفراد خاصة ، وفيه إضاعة للتحصيل العلمي وخلاف ذلك من الأسباب التي يدعونها ، وهذا تعبير عن وجهة نظر مغايرة للفئة العظمى التي أبدت ارتياحها إزاء وجود هذا النظام الإداري الذي عمل على القضاء على كثير من المشاكل العائلية ، خاصة ونحن في دولة مترامية الأطراف ، بالإضافة إلى أنه يريح الموظف والعامل والطالب من تعب أسبوع كامل في خضم الأعمال ومختلف المهن ، وزحمة الكتب والمقررات .

موقف ديوان الخدمة المدنية

أصدر ديوان الخدمة المدنية النظام وأمر بتطبيقه عن قناعة تامة بجدواه ومنفعته ، ودولتنا الحكيمة ليست أول من فكر في هذا الأمر ،

ولكن سبقنا غيرنا من دول العالم المتقدمة (« التي استقت النظام من أنظمة الحضارة الإسلامية) ، فعملت على تطبيقه ، شأنها في ذلك عندما تجد في أنظمة الإسلام ما يفيدها تستقيه وتنسبه إليها » . إلا أن مصادر الأنظمة الإسلامية تؤكد أصالتها وعراقتها . وآخر ما تناقلته بعض الصحف المحلية قولها : إن هناك نية لإلغاء نظام الإجازة وجعله يوماً واحداً ، لكن رئيس ديوان الخدمة المدنية رد على ذلك وأوضح بأن هذه الآراء مغلوطة ولا أساس لها من الصحة ، ولم نفكر في يوم من الأيام إلى إلغائه نهائياً ، إلا إذا اقتضت المصلحة إلى التغيير فهناك سوف نغير . فالقول هنا واضح وصريح ولا غبار عليه .

وبعد ..

أردت من كتابة هذا المقال الطريف الإيضاح بأن أنظمة المملكة العربية السعودية مستقاة من الحضارة الإسلامية (ولله الحمد في ذلك) لأننا بلد إسلامي ننهج نهج الإسلام ونطبق تعاليم السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

☆ ☆

الهوامش

(١) الجهشياري : الوزراء ، ص ١٦٦ .
(٢) الفضل بن مروان : وزر للخليفة المعتصم بالله خلال الفترة من ٢١٨ ــ ٢٢١ هـ .
(٣) الجهشياري : الوزراء ، ص ١٦٦ .
(٤) الصابي : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، ص ٢٧ .
(٥) مجلس التفرقة : مجلس من مجالس ديوان الجيش مهمته توزيع العطاء أو الرزق على أفراد الجيش .
(٦) الصابي : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، ص ٢٧ .



رحلة الجنين

تناولت الكتب السماوية بحث خلق الإنسان ونشأته . وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في أكثر من موضع ، وبذلك فقد سبق الإسلام ما توصل إليه العلم الحديث بأكثر من ألف وأربعمائة سنة . وقد دعا القرآن الكريم الناس إلى أن ينظروا ويتأملوا ويتفكروا في أمر خلقهم ليتبيّنوا قدرة الله العظيم الخالق المصور فيزدادوا إيماناً وهدى . يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الطارق ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ .

لقد حاول الإنسان ـ بعقله القاصر ـ عبر التاريخ أن يستكشف تكوين الجنين ، وأن يتعرف على أساليب التكاثر وقوانين النمو المختلفة ، فتوصل إلى معلومات وحقائق ، واهتدى إلى قوانين ونظريات ، نصفها بأنها قليلة وإن كثرت ، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ .

حاول **الفراعنة** ، على ضفاف نهر النيل الخصب ، فهم التكاثر ، فضلّوا عندما عبدوا إله الإخصاب . واجتهد ملكهم المجدد الفيلسوف أخناتون في عام ١٣٧٥ قبل الميلاد في معرفة أسرار التكوين . فأشار عندما وضع مزامير دينه الذي أنشأه لعبادة إله الشمس (آتون) في شأن (خلق الإنسان) : « يا خالق الجرثومة في المرأة . يا خالق الحبة في الرجل . يا مانحاً الحياة للصغير في بطن أمه مطمئناً إياه لكي لا يبكي متولياً شؤونه في الرحم . إنك تمنح القدرة على التنفس كي يبقى كل من تخلقه حياً لحين خروجه من الرحم يوم مولده . فتفتح فمه بالتصويت وتمده بما يحتاجه » .

وكأنما أراد بذلك أن ينبّه إلى الفرق بين خلق الإنسان وبين خلق الحيوان ، حيث قال في موضوع (خلق الحيوان) : « عندما يصيح صغير الطير في البيضة تكون قد منحته التنفس لتبقيه حياً ، وعندما تتم تكوينه لدرجة تسمح له بالخروج من البيضة يخرج منها صائحاً بأقوى ما فيه ماشياً على قدميه » .

وفي **إيطاليا** درس **ألكميون دي كروتن** الأجنة بما توفّر لديه من طرق أولية . ثم كان **للإغريق** دور هام في فهم الوراثة وتكوين الجنين . فاعتبر **أبقراط** أن كل عضو من أعضاء الجسم تمثله جزئية دقيقة من جزيئات المنيّ . ووضع **أرسطو** كتاباً ضمّنه كثيراً من آرائه حول تكوين الأجنة ، وقد بنى آراءه على مشاهداته ، فبويضة النحل غير المخصّبة تكوّن أجنحة عادية .

ولاحظ في البداية أن قلب صغير الدجاجة ينبض في اليوم الثالث أثناء تفريخه ، فاستنتج من ذلك أن القلب هو أهم جزء في الجسم وأنه مركز الفهم ، وتبع ذلك نمو الأعضاء الداخلية فالخارجية . كما لاحظ أرسطو أن الأجزاء التي فوق الحجاب الحاجز تنمو قبل الأجزاء أسفله ، وأن نمو الرأس واشتقاق العينين منه يكون مبكراً . ومن تلاميذ أرسطو « **ثيو فراستس** » الذي اهتم بصفة خاصة بتوالد النبات وأنواع هذا التوالد . ورأى « **جالينوس** » أن الكبد هو أول جزء يتكوّن في الجنين ويليه الرأس ثم القلب ثم الأوعية ثم الأعصاب . واستمر هذا الرأي سائداً حتى منتصف القرن السادس عشر الميلادي .

وحالت ظروف التأخر الفكري والتعصب الديني الأعمى في أوروبا العصور الوسطى دون أي تقدم علمي وبخاصة فيما يتعلق بدراسات الجنين . واعتبر القساوسة أن كل اكتشاف علمي يجعل الدين في خطر ، وترتب على ذلك أن كل من يأتي بفكرة جديدة أو يتبنى نظرية علمية كانت تتهمه الكنيسة بالزندقة والهرطقة ، وصار عرضة للعقاب والعذاب والحريق . فلم يجرؤ أحد على فحص الجنين وتكوينه بطريقة علمية تجريبية . غير أنه في أواخر القرن السادس عشر الميلادي ، قام « **فولشر كويتر** » (١٥٣٤ ـ ١٥٧٦ م) بدراسات وأبحاث نشرها



في ضوء الإسلام

بقلم: د. أحمد عزت عثمان صالح

في كتابين مزينين برسوم توضيحية تصف جنين كل من الإنسان وبعض الحيوانات الثديية والدجاج.

وكان لاختراع **جاليليو** المجهر المركب عام ١٦١١م، آثار عظيمة في مجالات العلوم المختلفة، ومنها مجال الدراسات العلمية الجنينية. فقد اكتشف «**مارسيلو مالبيجي**» في عام ١٦٨٧م، أن هناك علاقة بين نمو بعض أجزاء من أشجار البلوط وبين وجود بيض حشرات في هذا النبات. كما لاحظ العالم «**ليو فنهوك**» بالفحص المجهري نمو كائنات دقيقة في منقوع المواد المختلفة بعد أن كانت نقية صافية. وفي منتصف القرن السابع عشر الميلادي، صنّف «**شوا مردام**» كتاباً في تاريخ الحشرات تعرض فيه لتكوينها الجنيني كما نشر ملحوظاته على جنين الضفدع وانقسام البويضة. غير أن الله سبحانه وتعالى أصابه باضطراب عقلي منعه من الاستمرار في أبحاثه ودراساته. وواصل «مالبيجي» دراساته عن الأجنة فنشر أول وصف دقيق لها موضحاً بالرسم للأطوار التي يمر بها صغير الدجاجة، وبيّن في رسوماته فروعاً مزدوجة للأورطي ولو أنه لم يفهم كنهها أو أهميتها.

وفي القرن الثامن عشر الميلادي، تصارعت نظريتان رئيسيتان لتفسير تكوين الإنسان يمكن تلخيصهما فيما يلي:

النظرية الأولى

تهتم بالبويضة، وترى أنها تحتوي منذ الأزل على مكونات للأجزاء المختلفة للجسم، محشوة بدقة متناهية مع بعضها. أي إن البويضة هي المخلوق الكامل مصغراً، أو بعبارة أخرى هي الجسم الكبير في حالة دقيقة جداً لا ترى بالمجهر لفرط دقتها وعظم شفافيتها، وما نمو الجنين إلا فك تلك الأجزاء المحشوة الدقيقة وازدياد حجمها. وسميت هذه النظرية بـ«**نظرية التكوين الأزلي**». واستدل أنصار هذه النظرية على صحتها بالتوالد العذري في بعض الحيوانات والكائنات.

النظرية الثانية

انتقدت نظرية البويضة السابق ذكرها، واهتمت بالحيوان المنوي (الذي اكتشفه ليو فنهوك في عام ١٦٧٧م)، وترى أن ذلك الحيوان هو الفرد البالغ مصغراً. وفطن أنصار هذه النظرية أن الحيوان المنوي عندما يدخل البويضة ينمو فيها كما ينمو النبات في الأرض الخصبة.

وانتقد بعض العلماء كلتا النظريتين السابقتين: فوضّحوا أنه لا أثر للمخلوق الكامل في البويضة بمفردها، أو في الحيوان المنوي بمفرده، وأنهما يحتويان معاً على أجسام بسيطة يتكوّن منها الجنين الذي يختلف في خصائصه الداخلية ومواصفاته الخارجية عن خصائص المخلوق التام ومواصفاته. وبذلك توصل العلماء، وبخاصة الألمان، إلى «**نظرية التكوين الحادث**»، وأن كل مخلوق يمر بخطوات جديدة متتالية في مراحل نموه المختلفة.

وأثبت «**فون بيير**» مع فريق من علماء **جامعة ورتزبورج الألمانية** أن الجنين يتكوّن من طبقات جرثومية. ونشر «بيير» أبحاثه الخاصة بذلك في عام ١٨٢٨م. وقارن بين أجنة الفقريات وقسمها إلى أربعة أقسام عامة. ويعتبر «بيير» بحق واضع نظرية الطبقات الجرثومية التي تتكون من خلايا نتجت من البويضة المخصبة بالتكاثر المستمر.

دراسات القرن التاسع عشر الميلادي

وتوالت بعد ذلك، في القرن التاسع عشر الميلادي، دراسات العلماء لأجنة الحيوانات الفقرية واللافقرية، كما درسوا أجنة الثدييات وخلاياها كالأرنب والكلب، وبرهنوا على أن البويضة في حقيقتها ما هي إلا خلية. **وكان «هوجو فون موهل» (١٨٠٥ ــ ١٨٧٢م)، أول من استعمل كلمة بروتوبلازم**، وظهر الرأي القائل إن البروتوبلازم هو أساس الحياة، وإن كل كائن حي يتوالد من بويضة مخصبة، وإنه يتوالد من كائن حي سابق. ولم يقتصر الأمر على دراسة الحيوانات بل تعداها إلى دراسة خلايا النبات، وإثبات عملية الإخصاب في النبات. ولكن، ما تفسير ظاهرة التوالد؟ وكيف تتوالد الكائنات وتتكاثر؟ وما أنواع تكاثرها؟.

إن ظاهرة التوالد هي إحدى خصائص الكائنات الحية. ولو أننا نجد هذه الظاهرة أحياناً في بعض الكائنات غير الحية ــ تجاوزاً ــ فعلماء الفلك مثلاً يرون أن تكوّن الأجرام والمجاميع الشمسية يتم «بالطريقة المدّية»، وهي طريقة تماثل طريقة الانقسام المباشر عند الكائنات الحية.

وظاهرة التوالد تعني الحياة. فمنطقها هو منطق الحياة. فالولادة بداية حياة. والميلاد قدوم إلى الحياة تصحبه إشراقة نمو وزيادة وتكاثر. والتوالد أيضاً سبيل الخلود في الحياة إن لم يكن للفرد ذاته فللنوع ككل.

ولاحظ العلماء أن الكائنات الحية تتكاثر بطرق عديدة منها: انقسام الخلية المخصبة إلى قسمين. ومنها **التوالد العذري** وهو الذي لا تحتاج الأنثى فيه للذكر، فقد تجتمع في كائن واحد خصية ومبيض في نفس الوقت وهو ما يعرف **بالخنثى** كما في بعض الأسماك والبرمائيات وبعض الطيور، حيث يقوم الفرد بدور الذكر



والأنثى معاً إما في آن واحد ، وإما يلعب أحد الدورين أولا ثم يليه الآخر . وقد يكون الإخصاب ذاتياً أو متبادلا . غير أن العلماء لاحظوا أنه من النادر وجود خنثى حقيقية في الثدييات ، وإذا وجدت هذه الحالة في الثدييات فهي من النوع الكاذب .

وقد ينجم أحياناً عن التوالد أن تموت الأنثى ، أو قد يتسبب في موت الذكر في أحيان أخرى . وعلى أية حال ، فللتوالد فترات ذهبية معيّنة تنشط خلالها بعض الغدد فيتم الإخصاب والتكاثر سواء بالاتصال النوعي المعروف أو بالإخصاب الخارجي عند بعض الأسماك أو الضفادع .

الجنين .. في القرآن الكريم

انظروا كيف كان الفكر الإنساني يلهث وراء البحث والاستقصاء ليتعرف على بعض الحقائق في رحلته مع جنين . ودعونا نحاول استعراض بعض آيات الذكر الحكيم التي تتصل بتكوين الجنين ، ونبيّن كيف أنها سبقت ما توصل إليه العلم بآلاف السنين .

يقول الله تعالى في سورة الرعد ﴿ **الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال** ﴾ .

فسبحان من له الأمر من قبل ومن بعد ، سبحان مدبر الكون والعباد ، سبحان من يعلم ما تحمله كل أنثى – أي أنثى – في بطنها ذكراً كان أم أنثى ، تاماً كان أم ناقصاً ، حسناً كان أم قبيحاً . سبحان من يعلم متى يولد الجنين في الموعد المحدد لولادته ، أو يسقط قبله ، أو يتأخر بعده . فكل شيء عنده سبحانه بقدر وحدّ لا يتعداه . والمعروف أن مدة الحمل تختلف من كائن حي لآخر ، فبينما هي عند الإنسان ، مثلاً ، تتراوح بين ٢٢٠ يوماً و ٣٣٠ يوماً ، نجدها عند الفيل تستغرق حوالي عشرين شهراً ، وفي كائنات أخرى تقل أو تكثر عن ذلك .

وعند الإنسان ، كثيراً ما تجهض الأم إذا ما تعرضت لصدمات أو لاضطرابات نفسية ، كما أنها قد تحدث للجنين تشوهات أو أمراض جسمية أو عقلية نتيجة لنقص في إفرازات بعض غدد الأم أو لشربها للكحول والتبغ أو لتعرضها لأشعة أكس أو الراديوم . ويلاحظ أن الطفل الإنساني الذي يولد في حوالي الأسبوع السادس والعشرين أو الثامن والعشرين أي حوالي الشهر السابع ، وكذلك في الشهر التاسع يكون لديه فرصة أكبر للحياة . وسبحان الله العظيم الذي كل شيء دونه ، وسبحان الله العليم المستعلي على كل شيء بقدرته يعلم كل ما يغيب عن نظرنا أو حواسنا أو فهمنا ، فعلمه جلّ شأنه شامل ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

إن كثيراً من الناس يقعون في خطأ عندما يظنون أن ميلاد الطفل يعني بداية حياته . وكلنا يقع في هذا الخطأ عندما يسأل أحدنا عن عمره الزمني فيبدأ حسابه منذ اليوم الأول لمولده متجاهلاً أو متناسياً تسعة أشهر كاملة تقريباً كان فيها حياً في بطن أمه (ويمكننا أن نستثني من ذلك الصينيين – فيما نعلم – إذ يضيفون على الحساب السابق تسعة أشهر) . إذن فالحياة تبدأ منذ لحظة الإخصاب . والإخصاب يعني إثقاب البويضة المنطلقة الناضجة المستعدة ، بالحيوان المنوي عظيم الحركة . يقول الله تعالى في سورة الطارق ﴿ **فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾ .

ولو تأملنا تكوين الإنسان وخلقه لوجدناه يدل دلالة قوية على قدرته سبحانه وتعالى . فالفرد يبدأ وجوده كخلية مفردة أو خلية جرثومية مخصبة . ولقد ثبت بالتصوير الإلكتروني ، أن البويضة المخصبة لا تكون في حالة سكون وجمود ، وإنما هي في حركة ونشاط دائمين :

● **أولا :** حركة تدور بها وتسبح حول نفسها بنفس الأسلوب الذي تدور به الأرض وتسبح حول محورها ، وبنفس الأسلوب الذي تدور به باقي **الكواكب السيّارة التسعة** ، وتسبح حول محاورها (عطارد – الزهرة – المريخ – المشتري – زحل – أورانوس – نبتون – بلوتو) ، وبنفس الطريقة التي يدور بها القمر ويسبح حول محوره ، والشمس حول نفسها ، وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿ **وكل في فلك يسبحون** ﴾ . كل هؤلاء – وغيرهم – يدورون حول أنفسهم بأسلوب واحد ونظام واحد ، أليس في هذا دليل على وحدة الخلق ووحدة الخالق جلّ وعلا .

● **ثانياً :** يواكب هذه الحركة نشاط فعّال من الكائن يجعله مهيئاً عضوياً ونفسياً للتزاوج والتوالد والتكاثر . فللحيوان والنبات فترات أو موجات معيّنة ينشط فيها للإخصاب والتوالد . وقد يلزم للتنشيط أحياناً أنواع خاصة من الطعام أو الظروف البيئية المناسبة . ويذكرنا الله رب العزة والجلال في سورة الحجر بأنه سبحانه أرسل الرياح نشيطة لتلقح السحاب فيدر ماءً ، ولتلقح الأشجار فيتولد عن ذلك الأكمام والثمار ، يقول تعالى في سورة الحجر ﴿ **وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه** ﴾ . ويقول تعالى في سورة ق ﴿ **ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقاً**

للعباد﴾ . وتشاء قدرة الله سبحانه وتعالى أن تسق قطعة أرض بماء واحد ، ومع ذلك يختلف الإنتاج ، فنرى من النخل ما هو صنوان أو غير صنوان ، ومن الثمر ما نفضله في الأكل على غيره . يقول تعالى في سورة الرعد **﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسق بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾** . ولا يقتصر هذا النشاط المثمر على الحيوان والنبات ، وإنما يتعداه إلى الجماد . فالأرض الجدبة الميتة تحيا وتنشط بما يسوقه الله إليها من ماء ، ففي سورة ق **﴿ وأحيينا به بلدة ميتاً﴾** . لقد ثبت علمياً أن الأرض اليابسة المتطامنة الجرداء التي لا نبات فيها ولا حياة ، عندما تسق بالماء تتحرك وتهتز اهتزازات سجلها العلماء بمقاييس خاصة ، كما أنها تنتفخ وتعلو وتنشط وتنتج الزرع والثمار . كما ثبت أن تربة الأرض تتألف من معادن مجزأة ومتآكلة وجزيئات صخرية صغيرة متفتتة ومواد عضوية مختلفة ، وعندما تسق الأرض بالماء تصبح في حالة نشاط وتفاعل مستمر بين العناصر السابق ذكرها وبين الماء والهواء فتنبعث حرارة من الأرض ، فضلاً عن الحرارة التي ترد إليها من الفضاء ، فينمو النبات ويترعرع ويزدهر ويثمر . يقول الله تعالى في سورة فصلت **﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير﴾** ، فسبحان الحي القادر لا إله إلا هو .

مراحل تكوّن الجنين

نعود بحديثنا إلى الإنسان ، لنرى أن الجنين الإنساني يتكوّن ــ شأن سائر المخلوقات ــ عن طريق انقسام الخلايا . فهو في البداية مجرد نقطة مثل رأس الدبوس ، أي أنه كان شيئاً بسيطاً لا يذكر . يقول سبحانه وتعالى في سورة الإنسان **﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾** . ثم تنقسم الخلية المخصبة إلى قسمين ثم إلى أربعة وهكذا . ثم ما يلبث أن يتكوّن عدد كبير من الخلايا التي تكوّن الجنين في مراحل تلي بعضها بعضاً حددها القرآن الكريم في سورة الزمر بثلاث مراحل يمر بها الجنين في بطن أمه قبل ولادته حيث يقول تعالى **﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾** . ولقد درج كثير من العلماء على تقسيم مرحلة ما قبل الميلاد إلى ثلاث مراحل :

★ **أولا ــ مرحلة العلقة أو مرحلة البييضة أو المرحلة الجرثومية :** وتمتد هذه المرحلة من لحظة الإخصاب إلى نهاية الأسبوع الثاني . ويتوالى فيها انقسام الزيجوت باستمرار . وتطفو البويضة المخصبة في الرحم لعدة أيام ، ثم تتعلق وتستقر أخيراً في جدار الرحم بعد حوالي عشرة أيام من الإخصاب .

★ **ثانياً ــ مرحلة المضغة أو المرحلة الجنينية أو مرحلة الجنين الناقص :** وتمتد هذه المرحلة من نهاية الأسبوع الثاني حتى نهاية الشهر الثاني ، أي لمدة ستة أسابيع . وهي فترة تغيّر سريع يكبر فيها الجنين ويصل من حجم رأس الدبوس إلى كائن يصل طوله ما بين بوصة ونصف إلى بوصتين ، ويزن حوالي ٢/٣ أوقية . وتعتبر هذه المرحلة من الفترات الحرجة الخطيرة في مرحلة ما قبل ميلاد الطفل .

★ **ثالثاً ــ مرحلة الجنين :** وتمتد مرحلة الجنين من الشهر الثالث إلى الميلاد . ويكون للجنين في ذلك الوقت شكل إنساني . ويستمر الجنين في النمو بمنتهى السرعة . ويكون الرأس كبيراً بالنسبة لباقي الجسم . ويلاحظ أن جميع التركيبات التي يحتاجها الفرد للقيام بالأنشطة الضرورية بعد الميلاد ، تتشكل تماماً ، في الأسبوع الخامس والعشرين أي حوالي الشهر السادس من حياة ما قبل الميلاد .

ويخاطب رب العزة والجلال الناس في سورة الحج مؤكداً قدرته سبحانه وتعالى على الخلق والبعث **﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾** . ويلفت هنا الله القادر سبحانه أنظار بني آدم إلى أصل خلقهم حتى يزدادوا إيماناً ويقيناً بقدرته جل شأنه ، فقد خلق أبا البشر (آدم) من تراب ، ثم جعل نسله من شيء قليل من المني الذي ينطف من صلب الرجل ، وتتحول هذه النطفة بقدرته سبحانه إلى قطعة دم جامدة يشبهها المفسرون بالعلقة التي تظهر عالقة حول المياه في الأحواض . ثم تتحول هذه العلقة إلى قطعة لحم بقدر ما يمضغ . وهذه المضغة تمر بمراحل حتى نستطيع أن نتبيّن منها الرأس واليدين والرجلين وغيرها من الأعضاء ، دليل قدرة الله الخالق الصانع . فالله وحده القادر على أن يثبت الحمل في أرحام الأمهات حسب مشيئته سبحانه حتى يتكامل الجنين ، ويولد بعد زمن معيّن ليخرج إلى الحياة طفلاً ضعيفاً في قدرته الجسمية والسمعية والبصرية وفي حواسه المختلفة ، ثم يمنحه الله القوة بالتدريج حتى يبلغ أشدّه وكمال قوته وعقله .

وتتجلى القدرة الإلهية على الخلق في سورة

رحلة الجنين في ضوء الإسلام



المؤمنون ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ . فيكرر الله سبحانه وتعالى لنا الأدلة والبراهين على قدرته ووحدانيته حتى نتعظ ونؤمن ، فقد أنسل آدم من الطين ، وخُلِق بنو آدم وذريته من نطفة منيّ يتحد حيوانها مع البويضة ليصبحا بويضة مخصبة تتحرك في قناة (فالوب) حتى تستقر وتتمكن في قرار مكين هو الرحم . ويتميّز هذا القرار المكين بأربعة أغشية جنينية ، توفر للجنين التغذية والدعامة والوقاية والحماية من الصدمات . وفي ظل هذه الحماية تتيح العناية الإلهية لهذه النطفة أن تصبح دماً جامداً يشبه العلقة ، ثم تصير هذه العلقة مضغة كقطعة لحم في حجم ما نمضغه ، ثم بقدرته سبحانه وتعالى يجعل الله قطعة اللحم هذه عظاماً صلبة لتصبح فيما بعد هيكلاً للبدن ، يغطى ويكسى باللحم بحول الله وقوته حتى يصير الجنين بعد أن تدب فيه الحياة وتسري فيه الروح خلقاً آخر مخالفاً لحالته التي كان عليها أول الأمر ، يحمل من صفات أبويه أو أحد أجداده السابقين ما يجعلنا نقف خاشعين أمام قدرة الله العظيم . فسبحان الله أحسن الخالقين .

دور الوراثة

في عبارات سهلة بسيطة بعيدة بقدر الإمكان عن المصطلحات الغامضة ، قريبة ما أمكن للتصوّر والإدراك ، نقول إن الإنسان يبدأ وجوده في الحياة كخلية مفردة هي البويضة الناضجة ، تتحد مع حيوان منوي ناجح سريع الحركة . ويبلغ قطر بويضة أنثى الإنسان حوالي ١٠٠٠/١٣٥ من المليمتر ، بينما يبلغ طول الحيوان المنوي نصف قطر البويضة ويصل حجمه إلى ١/٨٥,٠٠٠ من حجمها . وباتحاد الخليتين الذكرية والأنثوية تتكوّن البويضة المخصبة (الزيجوت) ، فبعد أن كانت خلية واحدة ميكروسكوبية صغيرة ، تبدأ في النمو والزيادة حتى يصل عددها على مدى تسعة أشهر إلى حوالي ٢٠٠ بليون خلية . وباندماج النواتين في هاتين الخليتين ، بما فيهما من كروموزومات تحمل المورثات ، أي وحدات الوراثة ، (الجينات) تنشأ جميع المعطيات الوراثية للفرد .

ومعنى ذلك أن تأثير الوراثة يبدأ منذ الإخصاب ، حيث يرث الفرد عن والديه وأجداده السابقين استعدادات وصفات وخصائص معيّنة ، جسمية : كطول القامة أو قصرها ، ولون البشرة ، ولون العينين ، ولون الشعر ، وملامح الوجه ، بالإضافة إلى أنه قد يرث بعض الأمراض مثل : قصر النظر وطوله ، وعمى الألوان ، ومرض السكر ، ومرض عدم تجلط الدم . كما أن الفرد قد يرث خصائص عقلية واستعدادات انفعالية معيّنة . وحاول **علماء الوراثة** فهم كيفية انتقال الصفات الوراثية في الكائنات الحية من الآباء إلى الأبناء ، ووضع العالم النمساوي **مندل** قوانينه في هذا المجال في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي . ثم توصل العلماء ومنهم **مورجان** في عام ١٩١٩م ، إلى وجود **العوامل الوراثية في الكروموزومات ، وسميت العوامل الوراثية هذه بالجينات .**

ويمكن أن تحتوي كل خلية إنسانية على ٢٠,٠٠٠ جين تقريباً . وهي رغم صغر حجمها وعدم رؤيتها إلا بالمجهر ، فإنها المسؤولة عن جميع الصفات الوراثية في الإنسان ، وهنا نذكر ما قاله رسول الله **صلى الله عليه وسلم** منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام : « **تخيّروا لنطفكم فإن العرق دساس** » .

فلا بد أن يختار كل شخص مقبل على الزواج الزوجة الصالحة ذات الدين والأخلاق الفاضلة قبل أن يهتم بثروتها أو بجمالها ، فالمال يفنى والجمال يزول ، وتبقى الأخلاق ذخراً والدين كنزاً على الدوام . وقد وجهنا عليه الصلاة والسلام إلى أن العرق دساس . وكلمة (دساس) تعبرٍ بدقة عما يحدث في عملية الوراثة . عندما أقول : دسست يدي في جيبي ، فيدي موجودة في جيبي رغم أنك لا تراها بعينيك ، حتى وإن كنت لابساً نظارة طبية . وعدم رؤيتك لها بعينك المجردة لا يعني أنها غير موجودة . كذلك الصفات الوراثية التي نورثها لأبنائنا ، وهي التي رمز إليها الرسول الكريم بكلمة (العرق) موجودة في المورثات التي تقرر خصائص الوليد رغم أننا لا نراها بأعيننا المجردة .

جنس الجنين

ويتلهف كثير من الآباء على معرفة جنس الجنين ، وربما صاحب ذلك التلهف انتظار يشوبه قلق وخيال قد يبنون عليه آمالهم ومستقبلهم . والتجأ الآباء المتلهفون القلقون إلى غيرهم من البشر ، حيث ابتكر العلماء بعض الوسائل للتنبؤ بجنس الجنين ، منها : اختبار ضربات القلب ، فهي عند الجنين الذكر أبطأ منها عند الأنثى ، ومنها اختبار تحديد الكمية الموجودة من **هرمون الأندروجين الذكري والأستروجين الأنثوي** ، ومنها اختبار وجود مادة كيميائية معيّنة في لعاب الأم مرتبطة بالجنين الذكر ، ومنها اختبار نوع الخلايا الموجودة في الجنين ، وغيرها من الوسائل والاختبارات التي ما زالت نتائج كثير منها احتمالية . وعلينا أن نتذكر قوله سبحانه وتعالى

في سورة الرعد ﴿ **الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال** ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى في سورة الإسراء ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ . فسبحان الله القادر العظيم .

والعجيب أن بعض الآباء يشترطون على الزوجة أن تلد لهم أولاداً ذكوراً وإلا حدث ما لا يحمد عقباه ، فتلجأ بعض النسوة الحوامل خطأ إلى وصفات أو أطعمة أو عقاقير أو عادات معيّنة تحقيقاً لرغبة الزوج . فيصبح الولد الذكر بشير خير ، أما البنت فهي نذير شؤم على الأسرة . وهذه بلا شك عادة من عادات الجاهلية التي يقول عنها الله سبحانه وتعالى في سورة النحل ﴿ **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون** ﴾ . فليعلم هؤلاء الآباء ، قبل كل شيء ، أن الله عز وجلّ يخلق ما يشاء . يقول تعالى في سورة الحج ﴿ **ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم** ﴾ . كما ينبغي على هؤلاء الآباء أن يعلموا أن الرجل هو المسؤول عن تحديد جنس الطفل ، ذكراً كان أم أنثى . فجنس الطفل يتحدد منذ لحظة الإخصاب . فقد بيّنت اكتشافات الكروموزوم الجنسي أن الخلايا الجنسية الذكرية تحمل نوعين من هذه الكروموزومات هما : كروموزوم X وكروموزوم Y ، بينا تحمل الخلايا الجنسية الأنثوية كروموزوم X فقط . وإذا شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يكون الحيوان المنوي الذي يخصّب البويضة (وهو حيوان واحد من ثلاثمائة مليون من الحيوانات المنوية) حاملاً للكروموزوم Y يكون الناتج (YX) ، وهذا يؤدي إلى مولود ذكر بإذن الله . أما إذا اتحد مع البويضة حيوان منوي يحمل الكروموزوم X فيكون الإنتاج (XX) ، وهذا يؤدي إلى مولودة أنثى بإذن الله تعالى . ومعنى ما تقدم في عبارة سهلة أن الخلايا الجنسية عند المرأة تحمل نوعاً واحداً من الكروموزومات فقط (X) . أما الخلايا الجنسية عند الرجل تحمل نوعين من الكروموزومات (X) و (Y) وهي التي تحدد جنس الجنين . فالرجل إذن هو الذي يتحدد عن طريقه ما إذا كان الطفل ذكراً أو أنثى . فما ذنب المرأة إذن ؟ وكيف نحملها مسؤولية غيرها في ضرورة إنجاب البنين دون البنات ؟ ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ .

التوائم

وقد يحدث عندما يُخصّب حيوان منوي واحد بويضة واحدة ، وعند أول انقسام لها ، أن تنفصل الخليتان الجديدتان بدلا من بقائهما متصلتان . وهنا تتجلى مشيئة الله سبحانه وتعالى وإرادته ، فلا أحد يعرف على وجه التحديد سبب هذا الانفصال ، فالبعض يتصور أن هذا يحدث بسبب اضطرابات هرمونية ، والبعض الآخر يظن أن السبب يرجع إلى ميل وراثي للانقسام عند البويضة . وعلى أية حال فإنه عندما تنقسم البويضة إلى بويضتين مخصبتين يولد توأمان متماثلان يتشابهان تماماً في كل خواصها الوراثية ، وغالباً ما يكونان من نفس الجنس . وعندما تتكون بويضتان في وقت واحد ويتم إخصابهما في ذات الوقت ينتج منهما توائم غير متماثلة ينقصها التشابه في خصائصها الوراثية من النواحي الجسمية والعقلية ، وقد تكون من نفس الجنس ، وقد تكون من جنسين مختلفين .

وتختلف نظرة الناس إلى ولادة التوائم : فبعض الآباء يفرحون لأسباب اجتماعية خاصة إذا كان التوائم ذكوراً ، والبعض الآخر يحزنون أو يخافون من احتمال وفاتهم عند الولادة أو بعدها . وتنظر بعض القبائل البدائية في الكونغو إلى أن التوائم ضحايا بريئة للأم الشريرة ، ويطلبون من الأم أن تمسح وجهها بالتراب كلما ظهرت أمام الناس إعلاناً عن جريمتها . وقد يشبّه البعض ولادة التوائم بالميلاد المتعدد عند الحيوانات . ولكن على الآباء أن يؤمنوا بأن الأمر كله بيد الله ، يجعل أحوال الناس في الأبناء مختلفة حسب مشيئته سبحانه ، يمنح ويمنع ، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ، يرزق من يشاء أطفالا ذكوراً أو إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور والإناث معاً ، ويحرم من يشاء من الأطفال . يقول الله تعالى في سورة الشورى ﴿ **لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير** ﴾ .

فليتق الله رجال ظلموا غيرهم قبل أن يظلموا أنفسهم . قال الله تعالى في سورة التكوير ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين** ﴾ ، وليؤمنوا بأن إرادة الله فوق كل شيء وقبل كل شيء . وربما كان الخير – كل الخير – مع قدوم البنت . وربما يأتي الشر – كل الشر – من الولد . ولنتذكر أن أبناءنا زينة الحياة الدنيا وفتنتها في نفس الوقت . ندعو الله أن يكونوا أبناءً صالحين ينفع الله بهم الإسلام والمسلمين . والله على كل شيء قدير .

المراجع

(١) حامد زهران : «**علم نفس النمو**» .

(٢) حسنين محمد مخلوف : «**كلمات القرآن تفسير وبيان**» .

(٣) محمد علي الصابوني : «**صفوة التفاسير**» .

أبو زكريا بن العوام

بقلم: د. علي عبدالله الدفاع

هو أبو زكريا يحيى بن محمد بن العوام الإشبيلي. ترعرع ونما في إشبيلية لا نعرف عن تاريخ ولادته أو وفاته إلا القليل. ولكن المؤرخين في تاريخ العلوم تواتر عنهم أنه عاش في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). ويرجع عدم ضبط تاريخ ميلاده أو وفاته إلى أن الفترة التي عاش فيها ابن العوام كانت من أصعب الفترات على الحضارة العربية والإسلامية، بل إنها فترة غروب هذه الحضارة العظيمة عن الأندلس. يقول عز الدين فراج في كتابه «فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية»: «أما أبو زكريا بن العوام الإشبيلي فلا نعرف سوى القليل عن حياته ونشأته، بل لا نعرف متى عاش بالضبط. وكل ما نعرفه أنه عاش في إشبيلية في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، في ذلك ذروة التقدم الفكري والحضارة وكانت الفنون الزراعية تزدهر بنوع خاص في هذه المنطقة، منطقة الوادي الكبير، وهي ما زالت حتى اليوم تمتاز بوفرة خصبها ونضرتها، ودرس ابن العوام الفنون الزراعية ووضع كتابه (الفلاحة)».

وينقل لنا أحمد شوكت الشطي في كتابه **«مجموعة أبحاث عن تاريخ العلوم الطبيعية في الحضارة العربية الإسلامية والمجتمع العربي»** التقرير الذي قدمه **أنطوان باسي إلى الجمعية الوطنية الزراعية في الجمهورية السورية**: إن ما لكتاب ابن العوام من عظم الشأن لا يقتصر على كونه حاوياً للفنون الزراعية القديمة التي تتبع في الأندلس، بل لهذا السِّفْر قيمة ثانية هي أنه كشف النقاب عن أنه كان للعرب نظريات في الطبيعة والكيمياء لم نكن نرقب وجودها. وهو سفر مملوء بالفوائد يرينا على شكل موجز ما كانت عليه زراعة الأمم القديمة ثم ما بلغته من الرقي بعدها في الأندلس وفي جميع البلاد الإسلامية إبان الفتح الزاهر.

يرى أبو زكريا بن العوام أن الزراعة فن من الفنون المهمة لحياة الفرد، ومعنى فلاحة الأرض عند ابن العوام هو إصلاحها، وغراسة الأشجار فيها وتركيب ما يصلحه التركيب منها، وزراعة الحبوب المعتاد زراعتها فيها، وإصلاح ذلك وإمداده بما ينفعه ويجود، وعلاج ذلك بما يدفع الآفات عنه، ومعرفة جيد الأرض ووسطها والرديء منها، ومعرفة ما يصلح أن يزرع أو يغرس من الشجر والحبوب والخضروات، واختبار النوع الجيد من ذلك، ومعرفة الموعد المناسب لزراعة كل صنف فيها، وكيف يتعهده بالعناية والرعاية.

قيمة الكتاب

لقد استفاد علماء العرب والمسلمين المتخصصون في علم الزراعة والنبات من ابن العوام بمعرفة خواص التربة والأسمدة والحرث والغرس والسقي استفادة أنارت لهم الطريق. وحاول علماء الغرب ونجحوا بترجمة إنتاج ابن العوام إلى لغاتهم المختلفة فاستخدموا منهجه العلمي في زراعة أراضيهم التي تعتبر الآن من أحسن الأراضي الزراعية في العالم من ناحية الاستثمار والإنتاج.

يقول **قدري حافظ طوقان** في كتابه **«العلوم عند العرب والمسلمين»**: «حاول أبو زكريا بن العوام الإشبيلي أن يطبق معارف العراق واليونان والرومان وأهل إفريقيا على بلاد الأندلس، وقد نجح في تطبيقاته. وانتفع بذلك عرب الأندلس والأوروبيون فيما بعد. وصاروا (أي العرب) يعرفون خواص الأتربة وكيفية تركيب السماد مما يلائم الأرض أكثر من غيرهم، كما أنهم أدخلوا تحسينات جمة على طرق الحرث والغرس والسقي. وهذا ما جعل الأندلس في العهد العربي جنة الدنيا».

اهتم أبو زكريا بن العوام بدراسة علم الزراعة والنبات اهتماماً بالغاً لأسباب كثيرة منها أن علم الزراعة والنبات له تأثير مباشر على حياة البشر، كما تتجلى قدرة الله سبحانه وتعالى في النبات. يقول **سيد حسين نصر** في كتابه **«العلوم والحضارة في الإسلام»**: «إن كتاب الفلاحة الذي يحتوي على خمسة وثلاثين باباً في الزراعة لابن العوام يعتبر بحق كتاباً فريداً في حقل الزراعة، واهتم ابن العوام في هذا المجال لأن قدرة الله تتجلى في النباتات كما هي واضحة في الإنسان. ولو أردنا أن نقيّم كتاب الفلاحة بموضوعية فإنه كتاب يضاهي كتب الفلاحة التي تدرّس في جامعات العالم اليوم».

أمّا **رام لاندو** فيذكر في كتابه **«علماء العرب في الحضارة»** أن ابن العوام من علماء القرن الثاني عشر الميلادي، المرموقين في حقل الزراعة والنبات. لقد احتوى كتابه (الفلاحة) على ٥٨٥ نبتة مختلفة، كما أن فيه وصفاً لكل واحدة، مما جعل إسبانيا مصدراً زراعياً لجميع القارة الأوروبية ومن ثم الولايات المتحدة الأميريكية. والحق إن ابن العوام عالم تفخر به البشرية أجمع لما قدمه من خدمة لهم حول قوتها وعقاقيرها اليومية.

لقد تبحّر أبو زكريا بن العوام ليس فقط في علم الزراعة والنبات، ولكنه أيضاً أدلى بدوله في حقل الطب. ولكن شهرته العظيمة نالها في كتابه عن الفلاحة. ويذكر **الدوميلي** في كتابه **«العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي»** أن أبا زكريا بن العوام الإشبيلي يعتبر بحق من أطباء الأندلس الذين نبغوا في القرن الثاني عشر الميلادي. وأضاف الدوميلي قائلاً: «كتاب ابن العوام (الفلاحة) هو أهم كتاب عربي من

هذا النوع . ومع أن ابن العوام كان يؤلف كتبه على أساس يجمع بين التبحّر العلمي في الكتب الإغريقية والعربية ، وبين المعارف العملية العميقة التي استفادها من التجارب المباشرة ، فإنه يقدّم وصفاً دقيقاً لعدد يبلغ ٥٨٥ نوعاً من النباتات ذكر من بينها ٥٥ نوعاً من الأشجار المثمرة . ولم يتردد **ماكس مايرهوف** في التصريح بأن هذا الكتاب ينبغي أن يعد أحسن الكتب العربية في العلوم الطبيعية ، وعلى الأخص في علم النبات » .

أقسام الكتاب ومحتواه

وقد أعجب عز الدين فراج بكتاب (الفلاحة) لابن العوام فقال في كتابه « **فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية** » : « يقسم ابن العوام مؤلفه في الفلاحة إلى قسمين كبيرين ، يشتملان على خمسة وثلاثين باباً ، ويتناول القسم الأول معرفة اختيار الأراضي والأسمدة والمياه وصفة العمل ، في الغراسة والتركيب ، وما يتصل بذلك . والقسم الثاني يتضمن الزراعة وما إليها ، وفلاحة الحيوان ، أو بعبارة أخرى ما يتعلق بتربية الماشية وعلاجها . وينطوي تحت القسم الأول ، عدد من المسائل الزراعية العامة مثل : دراسة تربة الأرض ، والوقوف على معدنها ، واختيار ما يصلح أن يزرع في كل نوع منها ، مع شرح للأسمدة وطرق تجهيزها ، وبيان منافعها للأرض والشجر ، وسقي الأشجار والخضر ، ثم إنشاء البساتين ، واختيار الأشجار وأنواع الثمار وأوقات غرسها ، وتطعيم الأشجار وتلقيحها ، ثم علاجها من الآفات ، واختزان الحبوب والفواكه الغضة واليابسة وغير ذلك . وقد انتفع ابن العوام في هذا القسم المتعلق بالبساتين وغرسها بآراء سلفه وتجاربهم الكثيرة .

ويتناول القسم الثاني من مؤلف ابن العوام تربية الماشية وعلاجها ودراسة صفاتها التشريحية ، ومعالجة كل عضو من أعضائها ، وكل مرض من أمراضها . ويخصص خلال هذه الدراسة فصلاً عن الخيل ، وصفاتها وكيفية تربيتها ، وكيفية ركوبها ، بسلاح أو بغير سلاح ، ثم يتحدث بعد ذلك عن الدواجن وتربيتها والعناية بها ، ثم عن النحل والمناحل والخلايا ، ويبدي في ذلك كله كثيراً من الاستيعاب والدقة والوضوح » .

فضله وأثره

ومن المؤسف حقاً أن كتاب (الفلاحة) لابن العوام لم يحقق التحقيق الذي يرجوه كل عربي ومسلم في هذه المعمورة . **بل إن أقلام علماء الغرب تناولته وترجمته إلى اللغة الإسبانية والفرنسية والإيطالية لأهميته** ، بل ضرورته لطلاب جامعاتهم . يقول **الدوميلي** في كتابه « **العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي** » نشر نص كتاب (الفلاحة) مع ترجمة إسبانية في جزءين في **مدريد** عام ١٨٠٢ ميلادية ، بقلم **Jose Antonio Bangueri** ، ونشرت له ترجمة فرنسية في جزءين سنتي ١٨٦٤ ، ١٨٦٧ للميلاد ، بقلم **J.J. Climent Mullet** ، وكلتا الطبعتين غير مرضية تبعاً لجورج سارتون ، ونشر **Cardo Crispo Moncada** النص مع الترجمة الإيطالية لقطعة لم تطبع بعد بعنوان : Sul taglio della vite de Ibn Al – Awwām it congres des obientalistes de stockholm, Leiden 1891.

لقد اشتهر أبو زكريا بن العوام في علم النبات ، فهو حجة في هذا الموضوع . كتب كتابه (الفلاحة) الذي تناقلته الأجيال لما فيه من معارف وخبرات وتجارب ثمينة في حقل الزراعة . لقد احتوى الكتاب على طرق فلاحة **البابليين والآشوريين والإغريق والأندلسيين والمغرب العربي** ، فاستفاد منها علماء العرب في مجال علم النبات استفادة عظيمة . وقد ترجم كتاب (الفلاحة) لابن العوام إلى عدة لغات في العالم . وبقي كتاباً منهجياً مقرراً على طلاب الجامعات المتخصصين في حقل علم النبات والفلاحة ليس في العالم العربي والإسلامي ، ولكن أيضاً في العالم الغربي والشرقي على السواء .

ويذكر **دانيال لكلير*** في كتابه « **تاريخ طب العرب** » أن ابن العوام كان عملاقاً في حقل الفلاحة ، فقد قدّم للإنسانية من المعارف التطبيقية ما تحتاج إليه . كما أن إنتاجه يتسم بالتوثيق التاريخي الذي يهتم به علماء القرن العشرين الميلادي ، فهو عاش في القرن الثاني عشر الميلادي ، ولكن بعقلية القرن العشرين الميلادي .

إن بعض ما أنتجه أبو زكريا بن العوام في ميدان الزراعة والنبات يتضح بالخدمات التي أسداها على هذا الحقل ، والمآثر الحميدة التي تركها للأجيال ، والعلم النفيس الذي أورثه للعلماء والباحثين ، مما ساعد على تقدّم علم الزراعة والنبات ليس فقط في العالم العربي والإسلامي ، ولكن أيضاً في العالم الغربي . وهناك إجماع عند المؤرخين في العلوم أن أبا زكريا بن العوام كان من نوابغ علماء العرب والمسلمين في الزراعة والنبات ، ومن الذين مكنوا الإنسان من الوقوف على أسرار مخلوقات الله تبارك وتعالى ، وما فيها من مدهشات ومحيرات لا يعلمها إلا الله .

تراثه

لا نعرف مع الأسف من إنتاج أبي زكريا بن العوام إلا كتاباً واحداً (الفلاحة) وذلك عن طريق علماء الغرب الذين اهتموا بإنتاجه لاعتقادهم أنه صاحب ثقافة عالية واطلاع واسع في حقل الزراعة والنبات ، كما أن الدوميلي ذكر أن أبا زكريا بن العوام من أعلام الطب وأصحاب المواهب النادرة والعبقرية المرموقة في كل من الزراعة والنبات والطب . حقيقة أن ما ذكره الدوميلي ليس بغريب على عالم إسلامي له اهتماماته في الزراعة والنبات أن يكون قريباً من حقل الطب ، لأن معظم العشابين في ذلك الوقت صيادلة وأطباء في آن واحد .

وأعتقد أن إنتاج أبي زكريا بن العوام في الطب والزراعة والنبات قد فُقد خلال الحروب العاصفة التي مرت بالأمة العربية والإسلامية في الأندلس أيام حياة عالمنا ابن العوام . ولكن يجب أن نعرف أن ابن العوام ساهم في تطور علم الزراعة والنبات في الأندلس مساهمة لا يمكن لمؤرخ للعلوم الطبيعية أن يتجاهلها .

وخلاصة القول إن ابن العوام أدى رسالته في الحياة على أفضل وجه ، وحرك عقله المتوقد في ميادين الثقافة الإنسانية التي أغنت الحضارة العربية والإسلامية في مجال الزراعة والنبات .

إن مؤلف ابن العوام (الفلاحة) أدى إلى حركة فكرية واسعة دفعت بالعلم والفكر إلى التقدم والنمو . والله نسأل أن يكثر من أمثال هذا العالم الجليل الذي عاش في فترة صعبة على الأمة العربية والإسلامية ، وأن يجعله مثالا يقتدي به شباب الأمة العربية والإسلامية .

الهوامش

* دانيال لكلير (Daniel Le Clerc) عالم فرنسي اهتم في إسهام علماء العرب والمسلمين في الطب ، وعاش فيما بين ١٦٥٢ ـ ١٧٢٨ م ميلادية ، وكتب كتابه المعروف عند مؤرخي العلوم « تاريخ طب العرب » .

اتجاهات النقد الأدبي

إن الحركة الأدبية الجزائرية بلغت مستوى لا بأس به من النضج الفني والفكري ، رغم أنها ما زالت في طريق النمو والتفاعل والتأثر بالإبداع الفني الملتزم والهادف . وتسليط الضوء على هذه الحركة الإبداعية يكشف لنا مدى الوعي الفني العميق الذي يمتاز به بعض الأدباء الجزائريين الذين استطاعوا استخلاص الحقائق وتجسيد الواقع المعاش وتحقيق الأهداف الوطنية التي استوعبت كل معطيات الماضي ومشكلات الحاضر . فهؤلاء الأدباء استطاعوا أن يحركوا أقلام الدارسين والنقّاد على السواء .

إن ما تطالعنا به الصحف اليومية وغيرها من نقد ودراسات نقدية ، وما تصدره الشركة الوطنية للنشر والتوزيع من كتب ومؤلفات تتناول الأدب بمختلف أجناسه بالنقد والتحليل ، لدليل واضح على اهتمام النقّاد بالأدب من أجل اكتشاف سماته الخفية واتجاهاته الفنية . وهكذا وجدت أصوات إبداعية سواء في الشعر أو القصة مكانتها على الساحة الأدبية .

وقد انعكست الحركة النقدية الجزائرية في الاهتمام الذي أولته بعض الأقلام الجادة ودورها في بلورة وخدمة النقد الأدبي الجزائري والأدب الجزائري على السواء وما يتعلق بتعميق الصلة بين الأديب والناقد ، وبين الأديب وجمهور القراء من جهة ثانية ، وهكذا كانت مسؤولية الأدباء والنقّاد مشتركة .

أعلام النقد

من النقّاد الجزائريين **الدكتور عبد الله الركيبي ، ومحمد مصايف ، وصالح خرفي ، وبلقاسم سعد الله ، ومحمد ناصر** . لقد قدموا للمكتبة الجزائرية مجموعة من الدراسات النقدية القيمة والجادة التي ساهمت بشكل إيجابي في دفع الأدب الجزائري قدماً إلى الأمام . فاستطاعوا استقراء الأدب ونقده والكشف عن الجوانب المضيئة فيه لربطها بالحاضر والمستقبل .

إن الدكتور محمد مصايف قد عالج الأدب الجزائري شعراً ونثراً (قصة ورواية ومقالة) برؤية فكرية واضحة وناضجة ، ومكنته ثقافته العميقة من توظيف أدواته النقدية لتحليل وتفسير وتقييم النتاج الإبداعي وهذا من خلال مؤلفاته الكثيرة نذكر منها (**النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي**) الذي يمكن اعتباره بمثابة مدخل لنقد أدبي جديد يأخذ على عاتقه التراث الأدبي الجزائري وكذلك النظريات الحديثة المتصلة بموضوعية الكتابة في مغربنا العربي .

لقد تناول الناقد مصايف في مؤلفه هذا مجموعة من الكتب الأدبية لأدباء من الجزائر وتونس والمغرب ، وكان حظ الكتب الجزائرية أوفر ، بحيث رصد الناقد تيارات الحركة النقدية والمشكلات الفنية التي تعترض الأدباء في مجال الشعر والقصة والرواية والمسرح ، ومن الأبواب التي جاءت في هذا الكتاب (الدعوة إلى أدب جديد ــ طبيعة الأدب الجديد ــ وسائل التعبير الشعري ــ التعبير في القصة والمسرحية ــ الأدب بين الالتزام والحرية) ، وغير ذلك من الموضوعات الحيوية التي ما زالت تثار على الساحة الأدبية . وهذا الكتاب بشكل الزاوية في اهتمامات الأدباء على صعيد الجزائر والمغرب العربي بصفة عامة ، وجاء ليضع النقاط فوق حروف أزمة النقد المطروحة على الساحة الأدبية في الوطن العربي . لقد استخدم الناقد مصايف في عمليته النقدية الأمانة العلمية حتى تأخذ أحكامه طابع البرهنة المنطقية الصحيحة ، والتقييم الموضوعي البعيد عن الانطباعية والانفعالية ، كما اعتمد على منهجية النقد الأدبي الحديث التي تسعى إلى الوصول إلى حصيلة غنية من الاستنتاجات الملائمة التي تبيّن مدى امتلاك الأديب لرؤية فكرية وفنية واضحة . وكتابه الثاني (**فصول في النقد الأدبي الجزائري**) يهدف إلى إبراز جملة من الحقائق المتصلة بالدراسات النقدية والأدبية ، وما يتصل بها من مسائل كثر فيها الجدال ودار حولها النقاش وتشعبت فيها الآراء لتتفق أحياناً وتختلف أحياناً أخرى ، ومن أهمها «**محمد العيد بين خصومه والمعجبين**» ، فالمؤلف تعرض إلى خصائص شعر محمد العيد آل خليفة التي جعلت بعض النقّاد يعجبون بشعره ويعتبرونه رائد الشعر الجزائري الحديث ، ثم تشخيص مواطن الضعف في شعره التي جعلت خصوم الشاعر يقفون موقفاً سلبياً من شعره . إن الجدل النقدي والمناقشة الهادفة علامة صحية

في الجزائر

بقلم: مصطفى بلمشري

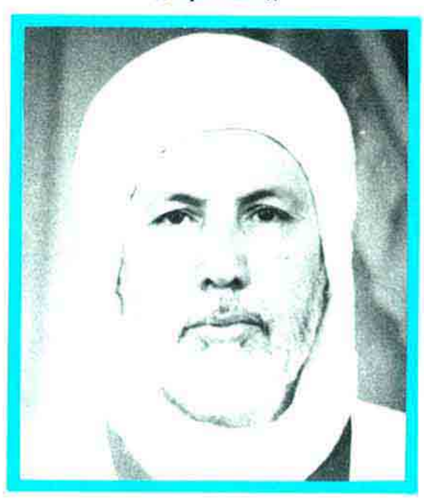
ودليل على مدى الثراء الذي حققه النقد الجزائري في ميادين الأدب.

وتحت عنوان (مثال من النقد المتسرع)، تعرض الباحث مصايف إلى قضية النقد المتسرع الذي يخضع للذاتية، ولا يعتمد على أسس ومناهج صحيحة فيتحول في يد صاحبه إلى معاول هدم، لأن الناقد لم يضع نصب عينيه مسؤوليته تجاه القراء وتجاه الأديب، تلك المسؤولية المزدوجة التي تجعل النقد بناء ومقنعاً وإنسانياً. بالإضافة إلى فصول أخرى منها (في نقد المسرح، والواقع اللغوي، وفي نقد القصة).

أما الناقد عبد الله الركيبي الذي امتاز بفكره الوطني الملتزم ونقده النزيه، قد **جعل العملية النقدية تعكس موقفاً فكرياً قادراً على إعادة كشف الإبداعات الأدبية وفرزها وتقييمها وفق منهج نقدي حديث**، ورصد الجيد منها ليتفاعل مع روح العصر. في كتابه الأول (**تطور النثر الفني الحديث في الجزائر**)، هو دراسة متكاملة للنثر الفني الجزائري، ومتابعة ميدانية للتغيير المستمر والتطور في حياة الأدب والأدباء، وإن الناقد كان على وعي كامل بما يقدمه هذا التطور من وسائل تعينه على حل مشكلات الأدب، والعمل على إثراء التجارب الفنية للأدب الجزائري. لقد عرض الناقد في الباب الأول الفنون الأدبية التقليدية، من خطب ورسائل ومقامات وقصص شعبية، مبيّناً خصائص هذه الفنون النثرية التي كان يتغلب على أسلوبها ضعف اللغة والتقليد في الأسلوب، سواء من حيث الصورة الجامدة أو من حيث ركاكة الصياغة، كما أنه بيّن العوامل التي أثرت في انتقال الأدباء من التقليد إلى التجديد والابتكار.

أما في الباب الثاني، فقد تناول بالنقد والتحليل الأشكال الأدبية الجديدة، ذاكراً فضل الصحافة التي كانت عاملاً قوياً في تطوير هذه الفنون الأدبية وانتشارها، بالإضافة إلى ذلك فقد وضح دور الخطب في المجتمع الجزائري، بحيث كانت بمثابة سلاح استخدمه الخطباء في إيقاظ الوعي الديني لدى الشعب وشحذ عزائمه، وغرس الروح الوطنية فيه، حتى يهب للدفاع عن حقوقه المهضومة من قبل الاستعمار الفرنسي، ورغم ذلك لم تسلم هذه الخطب من السجع والركاكة وضعف الأسلوب، ثم انتقل المؤلف إلى العوامل التي ساعدت على تطور الخطابة وتحررها من التقليد لتساير العصر بأسلوب بسيط بعيد عن الزخرفة اللفظية. ثم تحدث بإسهاب عن المقامة الأدبية التي استخدمها بعض الأدباء لمعالجة أفكارهم الجديدة، وفي هذا الباب وفق الباحث في تبني موقف نقدي سليم، مكّنه من إلقاء الضوء الكاشف على الجوانب الإيجابية في هذه الأشكال الأدبية، كما أنه زاوج بين الشكل والمضمون أثناء التقيم، لأنه كان يرى بأن العلاقة بينهما حية ووثيقة.

★ محمد العيد ★



وأمّا الباب الثالث، فقد خصصه لدراسة المقال الأدبي والرواية الجزائرية، والخصائص الفنية التي تميّز بها كلا من المقال الأدبي والرواية، وكانت أحكام الناقد محيطة بالنص الأدبي، ودراسته على ضوء العوامل والظروف التي أثرت على هذين النوعين من النثر الفني.

ويمكننا القول إن النقد الأدبي الجزائري قد عايش الحركة الأدبية معايشة كثيفة وواكبها منذ نشأتها وتطورها راصداً تياراتها واتجاهاتها الحديثة. كما أنه شخص سلبياتها وخصائصها بغية تقويمها وتسديد خطاها لتتضح معالمها ولتستوي على سوقها ملكات الناشئة من الأدباء المبدعين.

ولكن تبق بعض الدراسات النقدية منطلقة من رؤية شخصية وآراء حرة تتقارب أحياناً وتتباعد أحياناً أخرى، مما جعل العملية النقدية عندهم تطفو على السطح، بينما نحن نصبو إلى عملية نقدية أصيلة كفيلة بإنضاج الأدب والمضي به قدماً نحو التطور شكلاً ومضموناً.

هل تغني الذرة ؟!

شعر: شوقي محمود أبوناجي

اعـزفي يـا زوابـعَ الغضـب الجبـ ... ـار لحـنَ النهـاية المحتـومَهْ

واقلعـي الجـذرَ ليس فيـه حيـاةٌ ... تـورق الخـيرَ للربـى المحرومَهْ

وأميدي الجبـالَ تـرقص لحـنَ الـرَّ ... وْع للـكون تسـتثير أديمَهْ

واقصفي يـا رعـودُ مـا صَوَّرت للنـ ... ـاس يـوماً أوهـامَها المحمومَهْ

وانفـثي غيـظك المعـربدَ يـا أرْ ... ضُ مثـيراً وإن ظهـرتِ كتومَهْ

حُـمَماً تصـهر الـوجودَ بمـا فيـ ... ـه ومَـنْ فيـه وهـي غـيرُ رحيمَهْ

أو فكوني القـبرَ الـذي يئـد العـا ... صـين . . كوني على الغشـوم غشومَهْ

واتـركي النـاس يفـزعون ومنهـم ... مـن يرى الأرضَ أصـبحت ملغومَهْ

وخبـير الـثرى يُعيـد ويبـدي ... شَغَلَتْهُ أسرارُه المكتومَهْ

أعجـزت قبلَه المجـاهرَ والآ ... لاتِ حـتى غَدت لـديه عقيمَهْ

★ ★ ★

أنتِ يـا أرضُ . . أنـت زخْرفَك اللـ ... ـه وخَطَّ الإنسـان فيـك رسومَهْ

وظننـا ـ ونحـن منـك ـ غـروراً ... أن غَدَوْنا في قـوة وشكيمَهْ

فـإذا بـاطن البسـيطة سـهلٌ ... مستباح لنـا وفيـه غنيمَهْ

وغـزونا الفضـاءَ نـرسلُ فيـه ... من بني النـاس مـن يشـق غيومَهْ

سـابحاً يُخضـعُ الـظواهرَ للعقـ ... ـل . . وللعقـل لـو تـأمل قيمَهْ

كان أولى ألا يُـرَوِّعَ إنسـا ... ن أخـاه . . ولا يـكون غريمَهْ

كان أولى ألا يشـوِّهَ إنسـا ... ن على الأرض لـوحة مرسومَهْ

كان أولى أن يسـتجيبَ لـداعي الـ ... ـحب والخـير في دُنـى محرومَهْ

يـرسم البسـمة الـرقيقة تعلـو ... ثغـرَ طفـل لم يَـدْر بعـدُ هُمومَهْ

كان أولى بـالعلم يحمـلُ نفعـاً ... لا دَمـاراً في صـورة مشؤومَهْ

كان أولى بـالأفق يملـؤه البلـ ... ـبل شـدواً ولا تـولول بومَهْ

فإذا العقـم قـد تسـلل لـلإد ... راك إذ شَلَّهُ وراشَ صميمَهْ

وإذا نحـن مـا نـزال ـ كما كنـ ... ـا ـ أفـاع كلٌّ يشـيعُ سمومَهْ

وإذا بـالشرور تمـلأ دنيـا ... نـا فتغـدو كئيبـة ودميمَهْ

وأمنَّا مـن أن يحُل بَيَـاتاً ... بـأسُ ربِّي وقـد يصـبُّ جحيمَهْ

وتـوالى النـذيرُ تلْو نـذير ... والـبرايا على الضـلال مقيمَهْ

علَّنا نعـرف الـطريقَ إلى الحـق ... سـلوكاً . . وخـطة . . وعزيمَهْ (م)

ننشـد الأمـنَ والـكمال ونـرقى ... بحيـاة جميلـة وكريمَهْ

مـطلبُ المصـلحين لـو بلغـوه ... لم نفـزع مـن علـة وجريمَهْ

ويضيء السـلام . . يغـدق نـوراً ... ينهـلُ النـاسُ خـيرَه ونعيمَهْ

نشاط العرب الملاحي

بقلم: د. عبده العلي

بدأ العرب بصفة عامة، وسكان الجزيرة العربية الجنوبية بصفة خاصة، يرحلون بجسارة في الخليج العربي، والبحر الأحمر، والمحيط الهندي قبل ولادة المسيح (عليه السلام) بقرون عديدة، وتاجروا مع الشعوب الساكنة على شواطئ هذه البحار، برغم أن سفنهم كانت في تلك الأيام في مرحلتها البدائية يسيّرونها بمجاذيف صغيرة سمّوها «الـمُرْدِيّ»، واستعملوا شراعاً مثلثاً أيضاً.



ولـمّا دخلت سفنهم ، ذات **الشرع المثلثة** ، البحـر الأبيض بعـد الفتـح العربـي في صـدر الإسلام ، اقتبس عنهم ملاحو البحر الأبيض نفس الشرع ، بعـد أن كانـت شرعهـم **مـربعة الشكل**[1] .

ولـمّا كان العرب سياحاً مغامرين ، ومـلاحين حـاذقين **فقد أصبحوا روّاد الرحلات التجارية ، وتمكنوا بسفنهم عبور المحيط الهندي إلى المحيط الهادي ، حتى وصلوا إلى الصين ، وعملوا وسطاء تجاريين بين الشرق والغرب ، فكانت لهم مستوطنات دائمة على سواحل الهند ، وسيلان ، والهند الصينية ، وبلاد الصين . وقامت هذه المستوطنات فيما بعد بدور كبير في نشر دين الإسلام في نواحي العالم المختلفة .**

وكانت البلاد العربية الواقعة على البحر الأحمر ، وبحر الهند ، والخليج العربي ، مثل **البحرين ، وعمان ، وحضرموت ، واليمن ، والحجاز** ، ملائمة جداً للتجارة البحرية ، فكانت السفن العربية القادمة من الهند ترسو على ثغر اليمن . . فتنقل بضائعها على ظهور الجمال براً إلى الشام ، ومصر ، ومن ثم تنقل عبر البحر الأبيض المتوسط إلى أوروبا ، وكان هذا الطريق بيد العرب منذ أقدم العصور .

وتدل وثائق الصين التاريخية على دخول الحنّاء والياسمين إلى الصين ، عن طريق التجار العرب ، نحو عام ٣٠٠ للميلاد[2] .

شاطئ اليمن

ويشهد التاريخ أن شاطئ اليمن في جنوب الجزيرة العربية كان مركزاً كبيراً للتجارة البحرية في الزمن الجاهلي ، وكان يزدحم بالتجار العرب اليونان والروم ، وكان يسكن هذا الشاطئ قبيلة «**حمير**» التي امتاز أبناؤها في ذلك الزمن بنشاطهم البحري . كذلك **مدينة عدن** أيضاً كانت مركزاً هاماً لتبادل التجارة البحرية بين الهند ومصر . ووجود عدد كبير من التجار اليونان والروم في تلك المدينة أدّى إلى إقامة كنيسة للنصارى فيها ، وقد يكون هذا أحد الأسباب المسؤولة عن دخول المسيحية في الجزيرة العربية قبل الإسلام[3] .

عرب الشمال

ومن الثابت الأكيد أن عرب شمال الجزيرة



★ ابن خلدون ★



★ ابن بطوطة ★

أيضاً قاموا بدور فعال في النشاط البحري . وحسب قول «**الطبري**» كان في شمال الجزيرة العربية مركزان هامان للتجارة البحرية ، هما «**الأبلّة**» الواقعة على الشاطئ الشرقي في شمال الخليج العربي ، و «**البتراء**» ، الواقعة على الشاطئ الجنوبي الشرقي لسيناء قرب خليج العقبة على البحر الأحمر . وقد كثرت التجارة الهندية في ميناء «الأبلّة» قبل الإسلام إلى حد عدّها العرب بقعة من الهند ، وسمّوها «ثغر الهند»[4] ، وكذلك سكان «البتراء» أيضاً اشتهروا بمثل هذا النشاط البحري قبل الإسلام[5] .

ويحتوي الشعر الجاهلي الذي يعتبره المؤرخون «**ديوان العرب**» على العديد من الصور الدقيقة للبحر والسفن ومخورها . خذ ، على سبيل المثال ، الأبيات التالية **لطرفة** الذي عاش في الربع الثالث من القرن السادس الميلادي ، يقول فيها مقارناً بين سير الجمل ومخور السفن وتغيّر اتجاهها :

كأن حدوج المالكية غدوة
خلايا سفين بالنواصب من دد



عدولية أو من سفين ابن يامن
يجور بها الملاح طوراً ويهتدي
يشق حباب الماء حيزومها بها
كما قسّم الترب المفائل باليد[6]

هذه الأبيات ، توضح ، بصفة جلية ، أنه لو لم يكن الشاعر قد مارس الملاحة أو شاهدها بنفسه ، لما تمكن من تصوير دقيق مثل هذا للسفينة الماخرة في البحر .

وكذلك نرى الشاعر **عمرو بن كلثوم** يعتزّ بسيطرته على البر والبحر إذ يقول :

ملأنا البر حتى ضاق عنا
وظهر البحر نملأه سفينا[7]

ومعلوم أن الفرس لم يستطيعوا أن يكوّنوا أسطولا بحرياً إلا بمساعدة الملاحين العرب ، ويقول **العالم الفرنسي «رينو» :**

«إن العرب اشتركوا مع الفرس في تكوين بحرية فارسية جديرة بالإعجاب ، واستطاعت بمساعدة العرب أن تسيطر على التجارة في الخليج العربي وتنافس الأسطولين البيزنطي والحبشي»[8] .

بعد ظهور الإسلام

لقد أعطى الإسلام العرب المزيد من الحوافز لمتابعة الملاحة ، فاستعملوا السفينة أداة لنشر الرسالة الإسلامية . وقد ورد في القرآن الكريم ثمانية وعشرون آية في سور مختلفة حول البحر والفلك والملاحة[9] تحثهم على ركوب البحر لاستخدام مواهبه الغنيّة . وهذا واضح من الآيات التالية :

(١) ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾[10] .

(٢) ﴿ ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيماً ﴾[11] .

(٣) ﴿ ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾[12] .

(٤) ﴿ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾[13] .

ولعل صلات قريش ـ القبيلة العربية الشمالية ـ بالحبشة عن طريق التجارة البحرية قبل الإسلام أشهر من أن تذكر، وقد أفاد النبي عليه الصلاة والسلام من هذه الصلات إذ أمر المؤمنين بالهجرة إلى الحبشة عندما بدأ الكافرون من قريش يؤذونهم بشدة.

وبعد أن فتح العرب العراق والشام، وواجههم البيزنطيون بقوة بحرية كبيرة بالإسكندرية، شعر القواد العرب بضرورة تنظيم قوة بحرية إسلامية. وساعدهم على هذا ما كانوا يتمتعون به من الخبرة والبراعة في الملاحة، فسرعان ما أنشأوا أسطولهم، فأصبحوا قوة بحرية هائلة، على الرغم من أن الخلفاء الأولين لم يشجّعوا حملات بحرية؛ ومن المعلوم، على سبيل المثال، أن **الخليفة عمر بن الخطاب** كتب إلى قائده **سعد بن أبي وقاص** بعد فتح المسلمين **بالقادسية** يمنعه من الزحف إلى مكان يحول بينه وبينهم بحر[14].

وكذلك لما كتب **معاوية بن أبي سفيان** ـ الوالي في الشام إذ ذاك ـ إلى عمر يستأذنه في غزو **جزيرة قبرص**، نهاه الخليفة قائلاً: «إنا سمعنا أن بحر الشام يشرف على أطول شيء على الأرض... ! ويستأذن الله في كل يوم وليلة في أن يفيض على الأرض فيغرقها... فكيف أحمل المسلمين على هذا الكافر المستصعب؟! وتالله لمسلم أحب إليَّ مما حوت الروم، فإياك أن تعرض لي... وقد تقدمت إليك بألا تفعل... إلخ»[15].

وإنما حرصُ الخليفة على حياة المسلمين كان السبب الرئيسي لعدم سماحه لهم بركوب البحر غازين أو فاتحين ـ وربما كان قيامهم بغارات بحرية بمثابة انتحار لهم، إذ لم يكن عندهم أسطول منظم بعد ـ فليس من الإنصاف لأحد أن يتخذ حرص الخليفة على سلامة المسلمين دليلاً على أنه خوّف المسلمين من البحار. والمعروف عنه (رضي الله عنه) أنه عندما اجتاحت الجزيرة العربية مجاعة في عام ١٨ هـ، كتب الخليفة إلى واليه **عمرو بن العاص** يطلب النجدة لإطعام المسلمين من قمح مصر. ولغرض تسهيل نقل القمح من مصر إلى الجزيرة قام عمرو بن العاص بشق قناة طولها ٦٩ ميلاً تصل بين النيل والبحر الأحمر عند **بحيرة التمساح**. وكانت السفن المحملة بالقمح تفرغ في **ميناء الجار** قرب المدينة المنورة. ويقال إن القناة المذكورة بقيت صالحة للملاحة حتى عام ١١٠ هـ[16].

إقامة أول أسطول عربي

على أن المسلمين أخذوا يستعدون ـ بعد ذلك ـ لبناء وتنظيم أسطول قوي حتى **بُنيَ أول أسطول عربي في زمن الخليفة عثمان بن عفان**، والفضل في ذلك يعود إلى المساعي المشتركة **لعبد الله** والي مصر ومعاوية والي الشام، فأصبحا من ثمّ أول أميرالين في الإسلام، وتعاونا على بناء دار لصناعة السفن في مصر، وكانت الشام تزود مصر بما تحتاجه من الأخشاب، وفيما تم إنشاء دار لصناعة السفن في الشام أيضاً[17].

فتح جزيرتي «قبرص» و «أرواد»

أخفق **معاوية بن أبي سفيان** في إقناع عمر بن الخطاب بالسماح له بغزو قبرص، لكنه نجح في إقناع الخليفة **عثمان بن عفان**، فسمح له الخليفة بغزو قبرص على شرط أن يصحب زوجه معه ليتأكد من أن هذا الغزو لا يشكّل خطراً على الغزاة المسلمين كما زعم له واليه[18].

وفي سنة ٦٤٩م، غزا معاوية جزيرة قبرص، فكان الفائز بالنصر البحري الأول للإسلام، وفي السنة التالية استولى على **جزيرة «أرواد»**. وهذا دليل بيّن على «أن العرب بدأوا يستعملون الأسطول البحري في غزواتهم وفتوحاتهم بعد أقلّ من خمس عشرة سنة من استيلائهم على الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط»[19].

وصحيح أن انتصار العرب في غزو «قبرص»، قد رفع من روحهم المعنوية وأكسبهم تجارب بحرية واسعة، لكن الأسطول البيزنطي لم يزل أفضل من الأسطول العربي بعد، فكانت شواطئ الشام وفلسطين ومصر معرّضة لغزوات الروم البحرية، فشعر الولاة العرب بالحاجة إلى أسطول عظيم، وسرعان ما أصبح أسطولهم البسيط أسطولاً ضخماً، يجوب المتوسط دون خوف من الأسطول البيزنطي الذي ظلّ حتى ذلك الوقت سيد البحر المتوسط من شرقه إلى غربه[20]. وكانت **معركة «ذات الصواري»** الشهيرة في عام ٦٥٥م، التي انتصر فيها العرب على البيزنطيين الحدث الفاصل في تفوق الأسطول العربي على الأسطول البيزنطي.

فتح جزيرة إقريطش (كريت)

حاول العرب الاستيلاء على جزيرة إقريطش أولا في زمن الخليفة الأموي **الوليد بن عبد الملك**، وثانياً في زمن الخليفة العباسي **هارون الرشيد**، لكنهم فشلوا، ولم يُوَفَّقوا إلى فتحها إلا في محاولتهم الثالثة التي قام بها أسطول خاص للعرب الأندلسيين المغامرين تحت قيادة **«أبوحفص عمر الأندلسي»**.

واستقلّ هؤلاء الأندلسيون بالحكومة في هذه الجزيرة، واستعملوها قاعدة للانقضاض على الجزائر المجاورة، وأقاموا الحكم فيها نحو قرن وثلث قرن إلى أن أعاد اليونان استيلاءهم عليها في عام ٩٦١ للميلاد، في زمن **الإمبراطور رومانوس الثاني**[21]. وأثناء سيطرتهم على هذه الجزيرة كان العرب يكرّرون غزو الجزيّرات الواقعة في **البحر الإيجي**، كما كانوا يغيرون على سواحل اليونان، ومن المحتمل أن يكونوا قد أقاموا في بعضها، وقد تكشف النقوش الكوفية الثلاثة، التي عُثِرَ عليها حديثاً في أثينا، عن وجود مستوطن عربي فيها يمكن أن يكون قد بقي حتى الربع الأول من القرن العاشر الميلادي[22].

استيلاء العرب على صقلية

بلغ العرب أوج سيادتهم البحرية باستيلائهم على **صقلية، وسردينيا، وكورسيكا**، التي هي أضخم الجزائر الثلاث في وسط البحر الأبيض المتوسط. فبعد أن أتموا فتح الأندلس، واستقرّ لهم الأمر فيها، استعدّوا لغزو هذه الجزر لكي يتخذوها مواقع للانطلاق منها لغزو الأراضي الفرنسية من الجنوب، وغزو إيطاليا من الغرب، فأصبحت هذه الجزر، التي كانت تابعة لحكم الدولة البيزنطية في القسطنطينية، معرّضة لغزوات المسلمين.

ولئن بذلت محاولات من جانب بعض المغامرين والجنديين المستقلين لغزو هذه الجزر، إلا أنه لم يكن هناك خطة منظمة لغزوها إلا بعد إقامة الدولة القوية **للأغلبيين** في تونس[23]، وهم الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل نشر لواء الإسلام في هذه الجزر وفي وسط أوروبا في القرن التاسع الميلادي.

وحسب المصادر البيزنطية، قام شاب صقلي اسمه **يوفيميوس بخطف راهبة من ديرها، فلما حكم عليه الإمبراطور البيزنطي**

ميخائيل بقطع لسانه ، هرب إلى إفريقيا ، ودعا العرب الأغلبيين إلى غزو صقلية ، فأرسل الحاكم الأغلبي الثالث زيادة الله (٧٨٨ ــ ٨٣٨ م) ، أسطولا مكوناً من سبعين سفينة حاملة نحو عشرة آلاف جندي وسبعمائة فرس تحت قيادة وزيره المسن القاضي أسد بن فرات لغزو هذه الجزيرة . « فخرج معه أشراف إفريقيا من العرب والجند والبربر والأندلسيين وأهل العلم والبصائر ، فساروا إلى حصون الروم ومدنهم ، فأصابوا سبياً كثيراً وسائمة كثيرة وكراعاً ، وكثرت الغنائم عند المسلمين ، واحتلّ القاضي بمن معه **مدينة سرقوسة** وحاصرها براً وبحراً وأحرق مراكبها ، وجاءته الإمدادات من إفريقيا والأندلس وغيرهما »[٢٤] .

واستولى الجند بعد ذلك على عدة حصون ، ولكن لسوء الحظ وقع الطاعون في عسكر المسلمين في سنة ٢١٣ هـ ، فتوفي أسد بن الفرات وعدد كبير من الجنديين ، فاغتمّ الغزاة لذلك وولّوا على أنفسهم **ابن أبي الجواري** وما زالت الإمدادات العسكرية تصل إليهم ، حتى استولوا على **بلرم** في عام ٨٣١م . وفي سنة ٢٢٢ هـ ، كانت غزوة صقلية للمسلمين إلى ناحية **جبل النار** ، فأصابوا وغنموا كثيراً[٢٥] .

وفي سنة ٢٥١ هـ ، غزا **خفاجة** صاحب صقلية **قصريانة** ، ثم سار إلى **سرقوسة** ، فقاتل أهلها ، ثم رحل عنهم ، وأرسل ابنه محمد إليهم في سريّة ، فكمن لهم وقتل منهم ألف فارس ، فسمّيت تلك السريّة **سريّة ألف فارس**[٢٦] .

وفي سنة ٢٦٣ هـ ، فتحت **سرقوسة** المحصنة في عهد إبراهيم والي إفريقيا في منتصف شهر رمضان ، بعد أن حاصروها تسعة أشهر ، وقُتِلَ فيها أكثر من أربعة آلاف مشرك ، وأصيب فيها من الغنائم ما لم يُصَبْ بمدينة من مدائن الشرك ، ولم ينج من رجالهم أحد[٢٧] .

وهكذا لم يزالوا يستولون على مدن الجزيرة وحصونها واحدة بعد أخرى حتى تمّ فتح الجزيرة بسقوط **تورمينا** (Taormina) في سنة ٩٠٣ هـ[٢٨] .

... وعلى سردينيا

كذلك أول غزوة لجزيرة سردينيا كانت في عهد **موسى بن نصير** ، إذ أرسل طائفة من عسكره البحري في سنة ٩٢ هـ ــ ٧٢٢ م ، فدخلوها وغنموا فيها ما لا يحدّ ولا يوصف[٢٩] . وفي سنة ١٣٥ هـ ، غزاها **عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري** ، فقاتل فيها قتالا شديداً ، ثم صالحوه على الجزية ، فأخذت منهم وبقيت غير منضمّة إلى المملكة الإسلامية . وفي سنة ٢٠٦ هـ ، غزاها المسلمون من إفريقيا تحت قيادة **محمد بن عبد الله التميمي** ، فأصابوا وأصيب منهم وغنموا الأموال ، ثم رجعوا[٣٠] .

وهكذا لم يزل العرب يغزون هذه الجزيرة ويغنمون ما بها حتى سنة ٤٠٦ هـ ، إذ غزاها **مجاهد العامري** بأسطول مكوّن من مائة وعشرين سفينة ، فهزمهم الروم ، وأخرجوهم من الجزيرة ، ولم يغزها المسلمون بعد ذلك[٣١] .

وممّا يدلّ على خضوع هذه الجزيرة للنفوذ الإسلامي ، في فترة السيطرة البحرية الإسلامية في البحر المتوسط ، أنه عندما قرّر المسلمون فتح روما ، عاصمة المسيحية ، في عام ٢٣١ هـ ــ ٨٤٦ م ، اتفقت الوحدات الإسلامية البحرية المقاتلة من أمكنة مختلفة أن تتوحد تحت قيادة واحدة وأن تتخذ هذه الجزيرة محطة لتجمّع السفن الإسلامية وتموينها[٣٢] .

... ثم كورسيكا

الآن أصبحت جزيرة صقلية وجزيرة سردينيا القاعدتين البحريتين الرئيسيتين حيث أمكن الانقضاض عبرهما على جزيرة **كورسيكا** ، وعلى الموانئ الإيطالية والفرنسية . فقد هجم القواد الأغلبيون على جزيرة كورسيكا وعلى مدن إيطاليا الجنوبية واحتلّوها . وفي عام ٨٤٢ الميلادي ، استولوا على **ميناء « باري » الواقع في بحر الأدرياتيك أيضاً** . وفي نفس الوقت ظهر الغزاة المسلمون أمام « **بندقية** » . وفي عام ٨٤٦م ، نزلوا على **ميناء « أستيا »** وهدّدوا العاصمة « روما » بالغزو ، ولكن **بسبب النزاعات الداخلية في المملكة الإسلامية لم يقدر المسلمون على إتمام فتح إيطاليا وأوروبا** . وقد عبّر المؤرخ الغربي الشهير **إدوارد غبّون** عن هذه الحقيقة كما يلي :

« **لو ظل المسلمون متحدين لانضمت إيطاليا بسهولة إلى إمبراطورية النبي (عليه الصلاة والسلام) ؛ ولكن خلفاء بغداد كانوا قد فقدوا سلطانهم في الغرب ، واغتصب الأغلبيون والفاطميون أقاليم إفريقيا ، وطمح أمراؤهم في صقلية إلى الاستقلال ، وتحولت خطة الفتح المنظمة إلى إعادة غارات نهبية** »[٣٣] .



توسع الاستعمار في الشرق

ويظهر ممّا تقدّم أن العرب الذين تولّوا الغزوات البحرية الأولى بخوف ووجل في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي ، قد بزغوا كسادة البحار في فترة وجيزة من الزمن حتى بلغوا أوج سيادتهم البحرية في القرن التاسع الميلادي ، فأخذت سفنهم تجوب المتوسط من شرقه إلى غربه سالمين دون أن ينافسهم منافس .

على أن العرب الذين فقدوا بعض سيطرتهم على البحر الأبيض المتوسط مع بداية **الحروب الصليبية** ، قد حافظوا على سيطرتهم على البحار الشرقية حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، حين تمكّن **البرتغاليون** ، بقيادة **فاسكو دي غاما** ، من الوصول إلى الهند بحراً من طريق **رأس الرجاء الصالح** بمساعدة ملّاح عربي شهير يسمى **شهاب الدين أحمد بن ماجد** ، الذي قاد في عام ١٤٩٨ م ، مراكب بعثة فاسكو دي غاما من « **ملندي** » الواقعة على الساحل الشرقي لإفريقيا إلى « **كلكتا** » . وسرعان ما حلّوا محلّ العرب في القيام بالتجارة البحرية بين الشرق والغرب بعد أن بسطوا سيطرتهم على المياه الشرقية ، **ومن سخرية القدر ، أن يكون ملاح عربي قد قضى على زعامة العرب في المحيط الهندي** .

وبإمكاننا أن نقول إن الكشف عن هذا الطريق البحري المباشر بين الغرب والهند مهّد السبيل لتوسّع الاستعمار الغربي في الشرق. وعلى أن العرب، ولا سيما عرب عُمان جاهدوا كثيراً لإعادة سيطرتهم على المحيط الهندي والخليج العربي بمطاردة البرتغاليين من حصونهم ومستوطناتهم في هذه المياه، ومع هذا لم يقدروا على الإبقاء على سيادتهم البحرية إزاء قوات أوروبية ناهضة جديدة، ولا سيما الإنجليز والهولنديين[٣٤].

أهم اكتشافاتهم البحرية

وجدير بالملاحظة في هذا الصدد، أن العرب لم يقوموا بالمغامرات البحرية فحسب، بل أيضاً قاموا بإسهامات هامة في المعرفة البشرية بالبحار وبالأمور المتعلقة بالملاحة. ومن اختراعاتهم البحرية الهامة التي ساعدت على تسهيل الملاحة البحرية هي «الحك» أي الإبرة المغنطيسية، إذ يعتبر البحارة العرب هم أول من استعمل هذه الآلة في الأسفار البحرية، وكان ذلك في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، وكان البحارة الطليان هم أول من استعملها في أوروبا بعدهم[٣٥]، وكانوا قد رسموا خريطة بحرية دقيقة أيضاً تتضمن وصفاً مفصلاً للمسالك البحرية التي سلكوها[٣٦]، كما استعانوا في أسفارهم البحرية بدليل بحري سمّوه «رهماني» وهي كلمة فارسية تعني دفتر إرشادات الملاحة[٣٧].

وعرف العرب أن **الرياح الموسمية** تهبّ بانتظام في المحيط الهندي ستة أشهر في العام من الشمال الشرقي، وستة أشهر أخرى من الجنوب الغربي، فكانوا، استفادة من هبوب الرياح الموسمية على هذا النحو، يبدأون رحلاتهم البحرية في شهر يوليو (تموز) ويصلون الهند بعد ثلاثة أشهر بمساعدة الرياح الموسمية الجنوبية الغربية، ثم يعودون في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) حيث تساعدهم الرياح الموسمية الشمالية الشرقية، وتحمل سفنهم من خيرات ومحاصيل البلاد الهندية والصينية[٣٨].

وقد عرف العرب **الدوّارات المائية** أيضاً التي تنشأ في المضايق وتعوق الملاحة وتحطّم السفن. وقد وصف السيّاح العربي **أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بالإصطخري** بعض الدوّارات المائية وأسباب تكوّنها.

إنهم العرب الذين اكتشفوا الشرق الأقصى وبلغوا بلاد «كوريا» التي يسمّيها ابن خرداذبه «بلاد الشيلا». ومن المحتمل أن يكونوا قد سافروا إلى اليابان أيضاً. وعلاوة على هذا، اكتشفوا عدداً كبيراً من الجزر في المحيط الهندي وفي بحر الصين.

وفي القارة الإفريقية سافروا إلى غرب إفريقيا قبل الأوروبيين بقرون عديدة. ومن المحقق أن أول حملة عربية إلى غرب إفريقيا كانت في عام ٧٣٤م... وأن الأمويين قد بادروا إلى فتح الطريق عبر الصحراء من شمال إفريقيا إلى غرب إفريقيا عن طريق حفر الآبار بين جنوب **مراكش وأدرار** (شرق مالي)، وأنه منذ عام ٨٠٠م، أشار **الجغرافي العربي «الفزاري»** إلى **«غانا»** بلاد الذهب، كما أن **«الخوارزمي»** قد استطاع أن يبرز على خريطته التي وضعها عام ٨٣٣م، مدينة «غانا» التي عرفت فيما بعد باسم **«كومبي صالح»** في جنوب شرقي موريتانيا[٣٩].

وهم العرب الذين يعود الفضل إليهم في اكتشاف القارة الأميركية، قبل وصول رحّالتهم **«كولومبوس»** إليها بزمن طويل. وحسبما وصف **المؤرخ الفرنسي رونان** (Renan)، فقد اعترف «كريستوف كولومبوس» في رسالة تركها بعد موته، بأنه علم بوجود قارة جديدة عبر المحيط الأطلسي بواسطة **كتاب «الكليات» لابن رشد المغربي (المتوفى عام ١١٩٨م). وقد أكدت مجلة «نيوزويك» الأميركية في عددها الصادر بتاريخ العاشر من أبريل (نيسان) سنة ١٩٦١م، أن العرب انطلقوا من ميناء الدار البيضاء بالمغرب الأقصى، فرسوا في عدة مواضع على الساحل الأميركي قبل كولومبوس بنحو أربعة قرون[٤٠].**

الموانئ العربية الرئيسية

وكان هناك عدد كبير من القواعد البحرية ودور الصناعات التي كانت تزوّد القوات البحرية بما تحتاج إليه من سفن وعدّة وعتاد. **ومن أشهر الموانئ العربية في العصر الوسيط في كل من المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط هي:**

- **موانئ المحيط الهندي.**
- **موانئ البحر الأحمر.**
- **موانئ بحر الروم.**
- **موانئ الأندلس.**

وإن **أهم أنواع السفن الحربية المستخدمة في الأساطيل البحرية العربية هي:** الشواني، الحراريق، البطي، الحرابي، المسطحات، والشلنديات.

وأمّا أهم الأسلحة والآلات الحربية البحرية فهي: السيوف والرماح، الدبابيس، الأقواس والنشاب، الكلاليب، الدروع، والنفط البحري[٤١].

المشاهير من الرحالة والجغرافيين العرب

وعقب إقامة سيادة العرب البحرية، أصبحت الرحلات البحرية مقبولة جداً لدى المسلمين. وكانت رغبتهم في نشر الدين الإسلامي الحنيف، ورفع راية **لا إله إلا الله محمد رسول الله،** في جميع أنحاء العالم هي الباعث الرئيسي الذي جعلهم يسافرون إلى أقصى البلاد براً وبحراً، فضلاً عن الرغبة في الاستمتاع استمتاعاً بالغاً بمشاهد تلك الفتوحات وعرض مجد الإسلام للبلاد المفتوحة[٤٢]. ولقد أدت جميع هذه العوامل إلى ظهور عدد كبير من الرحالة والعلماء العرب الذين ألّفوا كتباً قيّمة في الملاحة، الجغرافيا والعلوم الشقيقة، تتضمن كمّاً هائلاً من المعرفة التاريخية والجغرافية لمختلف البلاد والشعوب والبحار والجزر والنباتات والحيوانات.

ومن أبرز الرحّالة العرب وعلمائهم المشاهير في الأوقيانوغرافيا والعلوم الشقيقة **علي بن حسين الشهير بالمسعودي** (ت ٩٥٠م)، وكتابه الشهير **(مروج الذهب ومعادن الجوهر)** في ثلاثين جزءاً الذي خصّص بعض فصوله للكلام عن المدّ والجزر. ولقّبه الأوروبيون **بهيرودوتوس العرب**، كما اعتبره **ابن خلدون** إماماً للمؤرخين[٤٣].

ولعل **الشريف الإدريسي** (المتوفى ١١٦٦م)، يعد أشهر الجغرافيين العرب. ويعتبر الغربيون كتابه الشهير **«نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»** أعظم وثيقة علمية جغرافية في القرون الوسطى.

ويقـول «**جـوستاف لـوبون**» في كتـابه (**حضارة العرب**): «لقد قضى الإدريسي شطراً من حياته في إعداد **أول خريطة عالمية صحيحة** مبنيّة على الأصول العلمية والحقائق الفنية الثابتة التي لا تختلف كثيراً عما هو معروف في عهدنا هذا»[٤٤].

والرحالة العربي العالمي الشهير **ابن بطوطة المغربي** في القرن الرابع عشر الميلادي، الذي وضع كتاب «**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**»، ويعتبر هذا الكتاب منجماً غنياً للمعرفة التاريخية والجغرافية. وترجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية والفرنسية، ونشر في أوروبا في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، ولا يزال مرجع كثير من العلماء والمحققين حتى في وقتنا الحاضر.

كما برز **شهاب الدين أحمد بن ماجد** الملاّح العربي الشهير في القرن الخامس عشر الميلادي. وهو ينتمي إلى أسرة ملاّحية شهيرة في عُمان. وقد ألّف ما يزيد على ثلاثين كتاباً في الملاحة وفنون البحر، أهمها «**كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد**»، وهو نفس الملاّح الذي أرشد فاسكو دي غاما في رحلته عبر المحيط الهندي من إفريقيا إلى الهند عام ١٤٩٨م[٤٥].

وأمّا العلماء العرب الآخرون الذين يستحقّون الذكر في مجال الرحلات، براً وبحراً فهم:

ابن خرداذبه صاحب كتاب «المسالك والممالك»، **والإصطخري** صاحب كتاب «مسالك الممالك»، **وأبو عبيد عبد الله البكري** صاحب كتاب «المسالك والممالك»، **وابن جبير** صاحب كتاب «الرحلة»، **وزكريا بن محمد القزويني** صاحب كتاب «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات»، **والمقدسي** صاحب كتاب «أحسن التقاسيم»، وهلُمّ جرًّا.

ومن المعترف به من قبل العلماء الغربيين أن الملاحين والرحالة والجغرافيين العرب، قد خلفوا تراثاً بحرياً عظيماً مكّنهم من تحقيق بحوث عصرية في الجغرافيا والأقيانوغرافيا، وكل ذلك يشهد بأن العالم مدين للعرب الأوائل في تقدم علوم البحار. وقد عبّر **ج. إيج. كراميرس** عمّا تدين به أوروبا للعلماء العرب في هذا الفرع من المعرفة كما يلي:

«ومما لا شك فيه أن أوروبا تطوّرت كثيراً بسبب اجتهاد نفسها، لكنها أيضاً قد استفادت كثيراً من علم وخبرة (العرب) الذين كانوا سادة العالم في العصور الوسطى، فينبغي لأوروبا أن تعتبرهم كأجدادها الثقافيين في مجال العلم الجغرافي، والاكتشاف، والتجارة العالمية، والتأثير الذي أثره الإسلام في حضارتنا الحديثة بشأن مجالات النشاط هذه، قد يظهر بصفة جلية من العدد الكبير من الاصطلاحات العربية الأصل التي توجد في معجم التجارة والملاحة»[٤٦].



الهوامش

(١) الدكتور رياض محمود رويحة: «العرب والملاحة»، في مجلة «العربي» ـ الكويت، أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧١م، ص ٤٦.
(٢) محمد الحسين: العرب روّاد الرحلات، في مجلة الكويت، العدد ٢٣٠، ص ٤٤٠.
(٣) الدكتور رياض محمود، نفس المصدر، ص ٤٧.
(٤) السيد سليمان الندوي، نفس المصدر، ص ١٠٥.
(٥) الدكتور رياض محمود، نفس المصدر، ص ٤٦.
(٦) المعلّقة لطرفة بن العبد.
(٧) المعلّقة لعمرو بن كلثوم.
(٨) نقلاً عن «اللسان العربي»، المجلد الثاني عشر، الجزء الأول، ص ٣٠٣.
(٩) هاشم رمضان الجزائري: دور العرب الأوائل في تقدم علوم البحار، في «آفاق عربية»، العدد ٦، ١٩٨٠م، ص ٨٦.
(١٠) سورة الرحمن، الآية ٢٤.
(١١) سورة الإسراء، الآية ٦٦.
(١٢) سورة لقمان، الآية ٣١.
(١٣) سورة النحل، الآية ١٤.
(١٤) ابن الطقطقي: الفخري، ص ٦٧.
(١٥) الدكتور رياض محمود، المصدر السابق، ص ٤٩.
(١٦) هاشم رمضان الجزائري، المصدر السابق، ص ٨٨.
(١٧) نفس المصدر، ص ٨٨.
(١٨) الدكتور رياض محمود، المصدر السابق، ص ٥٠.
(١٩) نفس المصدر، نفس الصفحة.
(٢٠) نفس المصدر، نفس الصفحة.
(٢١) M.A. Enan: Decisive Moments in the History of Islam, P. 77.
(٢٢) D.G. Kampouroglous: The sacacens in Athens, vol. II, No. 273, referred to by P.K. Hitti in his History of the Arabs, p. 451.
(٢٣) P.K. Hitti, op. cit., p. 602
(٢٤) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار المغرب، الجزء الأول، طبعة بريل، ليدن، ص ٩٥.
(٢٥) نفس المصدر، ص ٩٩.
(٢٦) نفس المصدر، ص ص ١٠٧ ـ ١٠٨.
(٢٧) نفس المصدر، ص ١١٠.
(٢٨) p.K. Hitti, op. cit. p. 604.
(٢٩) الجزء الرابع من تأريخ الكامل للعلامة ابن الأثير، ص ٣١٦.
(٣٠) ابن عذاري، المصدر السابق، ص ٨٩.
(٣١) ابن الأثير، المصدر السابق، ص ٣١٦.
(٣٢) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: «الإسلام والمسلمون في جزيرة سردانيا» في رابطة العالم الإسلامي، العدد العاشر، ١٩٧٧م، ص ٤٥.
(٣٣) J.W. Saunders, op. cit., p. 321.
(٣٤) راجع «الصراع بين البرتغاليين وعرب عُمان» للدكتور جمال زكريا قاسم، مجلة «العربي»، أغسطس (آب) ١٩٧٣م.
(٣٥) د. رياض محمود، المصدر السابق، ص ٤٨.
(٣٦) Legacy of Islam, ed. by T. Arnold, p. 96.
(٣٧) د. رياض محمود، المصدر المذكور، ص ٤٨.
(٣٨) محمد الحسين، المصدر المذكور، ص ٤٥.
(٣٩) نقلاً عن «الرحالة العرب في القرون الوسطى» للدكتور محمود كامل، في مجلة «العربي»، العدد ٣٠١، ص ١٤٦.
(٤٠) الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله: «التراث العربي»، المجلد الحادي عشر، الجزء الأول، ص ١٠٨.
(٤١) نقلاً عن هاشم رمضان الجزائري، المصدر المذكور، ص ٨٩.
(٤٢) M. Reinaud: Arab Geography, tr. by S.M. Ali, p. 62.
(٤٣) المصدر السابق.
(٤٤) نقلاً عن «آفاق إسلامية»، العدد السابع والسبعون، للدكتور عبد الحميد سند الجندي، ص ١٧٧.
(٤٥) Arabic By Radio, Book Three, part I, PP. 182 – 83.
(٤٦) The Legacy of Islam, P. 82.

هروب

تأليف:
دينيس فال بيكر
ترجمة:
فرج حكيم

دينيس فال بيكار

كان رئيس تحرير مجلة «أوباس» الأدبية قد كتب قصصاً قصيرة ممتازة في عديد من المجلات الأدبية، وألّف عدة كتب أخرى في المقال الأدبي. لمع اسمه في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية (١٩١٤ ـ ١٩٤٣م). في هذه القصة «هروب» يصور لنا في براعة فائقة وفي تحليل دقيق العوامل النفسية الداخلية لسجين حاول الهروب عن طريق اجتياز نفق ضيق مظلم أسفل السجن.

لثلاثة أسابيع متوالية ظل السجين رقم ١٣٨١ يعمل عدة ساعات كل ليلة، وهو قابع في أحد أركان زنزانته. ظل بأصابع (**مخدرة**) تكاد تكون قد فقدت الحس تماماً، ينبش في التربة اللينة التي تغطيها حجارة الأرضية الثقيلة.

استغرق قرابة أسبوع لكي يخلخل البلاطة الأولى. ربما لم يكن في مقدوره أن ينجح في ذلك، لو لم تكن التربة التي تحيط بها ندية لينة. فقد استطاع أن يصل إلى الشقوق الرفيعة المحيطة بالبلاطة الحجرية مستخدماً شظية رفيعة، اقتطعها من ظهر مقعده الوحيد الموجود في الزنزانة. كان يبدو في أول الأمر أنها مهمة صعبة مستحيل أن تتم. ولكن العزيمة ومعها حمية مجنونة، دفعته أن يستمر ويستمر، ومنحته قوة خارقة كي يستمر ينبش بحماس، وفي صبر عجيب يثير الشفقة والعطف.

عندما توقف بعد عدة ساعات في الليلة الأولى، اكتشف أنه لم ينجز شيئاً على الإطلاق، ما خلا إزالة طبقة سطحية من التربة. ولكن بعد الليلة الرابعة بدأ يلاحظ اتساع الشقوق الأربعة المحيطة بالحجر،

وفي الليلة الخامسة، كان في مقدوره أن يحرك الحجر قليلاً، وأن يقلقله بلطف من جانب لآخر، وتوقف عن عملية الكشط وإزالة التربة، وبدأ يستخدم قطعة الخشب كرافعة يحشرها داخل نقط مختلفة، ثم يهزها إلى الأمام وإلى الخلف. مرة أخرى، جعل يعزو التقدم الذي أحرزه بالتمام إلى ليونة التربة التي سمحت بقدر معين من الحركة بين المربعات الأخرى التي تحيط بالحجر. أخذ يعمل بصبر لا ينفد، حتى استطاع أن يوسع ما بين الشقوق، وأصبح هناك فراغ ملحوظ حول الحجر، وقبل أن يطلع عليه الفجر، تمكن من أن يغمس أطراف أصابعه في ذلك الفراغ حتى يبدأ المرحلة النهائية لقلقلة الحجر من مكانه.

واستمر الليلة التالية أيضاً في تلك العملية، يلوي أصابعه المعطوبة، ويزحف بها إلى داخل الشقوق، حتى تمكن أخيراً من البلاطة المربعة، وأحكم قبضته حولها مركزاً كل قوته في أطراف أصابعه، وبدفعة نهائية خلع البلاطة الحجرية من مكانها.

وصارت المهمة أسهل بعد ذلك، لأن الأرض كانت لينة، وكان في مقدوره أن يجرف التربة إلى الخارج بكميات كبيرة. وبدأ أول الأمر يحفر حفراً مضطرداً إلى الأسفل، إلى الحد الذي لم يمكنه اجتيازه بيديه. من ثم أخذ يحفر جانبياً أسفل البلاطات الأخرى الملاصقة، وهو يمزق الأساس الرخو للأرضية، حتى أمكنه خلع بلاطة أخرى، وهكذا أخذت دائرة عمله تتسع شيئاً فشيئاً، حتى أمكنه أن يكوّن حفرة تتسع لأن يقف بداخلها، وبعد ذلك قبع داخل الحفرة،



وجعل ينبش أكثر وأكثر ويغوص بجسده إلى أسفل كلما اتسعت الحفرة .

ولكن كانت هناك عقبة أخذت تضايقه ، فقد رأى أنه لا بد من إخفاء كل أثر لفعلته أثناء ساعات النهار ، **فما العمل ؟** كان عليه أن يتخلص من التراب الذي أخرجه من الحفرة بطريقة ما . لهذا كبس بعضاً منه داخل الشقوق التي تتخلل الحجارة الأرضية ، والبعض الآخر في الشقوق التي تتخلل الحوائط . ودفع بقدر آخر إلى أحد الأركان أسفل مضجعه حيث كان من العسير رؤيته حتى لو حرّك أحدهم السرير . وكان كل يوم أيضاً ينثر قليلاً من التربة داخل (**سطل**) الغسيل الخاص به . ثم يهزه قليلاً حتى يذوب مع بقية المحتويات داخل المغسل ، وأما ما تبقى من التراب فكان يعيده إلى الحفرة ، ويستخدمه كمادة مقوية لجوانب الحفرة . وبعد أن ينتهي من مهمته الليلية كان يعيد البلاطات الحجرية إلى أماكنها ويثبتها بتراب مندى ، لتبدو للناظر على حالتها العادية الصلبة .

ظل لمدة ثلاثة أسابيع يعيش في حالة قاسية من التوتر العصبي : يعمل ويعمل كل ليلة حتى يرتمي منهكاً تماماً ، ومع ذلك فلم يكن في مقدوره أن ينام لأكثر من ساعة أو ربما أقل ، خوفاً من أن ينكشف سرّه فجأة . وعندما كان يأتي الحارس ليناوله الطعام من خلال قضبان شباك الزنزانة ، كان حريصاً أن يجلس في وضع خاص ، بحيث يخفي بجسده كل أثر لما حدث من نبش وخلخلة في الأرضية ، حتى لا تلاحظ أي عين فاحصة أنه قد حدث شيء غير عادي .

وعندما كانت تحين نوبة التفتيش اليومية المعتادة على الزنزانات ، كان صاحبنا يقف انتباه بطريقة سليمة مشدودة وفي قدميه حذاءه العريض ، الذي كان لحسن الحظ كبيراً بكيفية تساعده على الوقوف وقفة عريضة ثابتة ، فوق تلك البلاطات الحجرية التي كانت تخفي تحتها آماله الخيالية المرتقبة ، ومع ذلك ، فقد آن الأوان أن تتحقق تلك الآمال الرائعة ، ولن تكون أبداً آمالا وهمية ، وإلا لما واتته تلك الحمية وتلك العزيمة ، وذلك الإصرار على الاستمرار في تلك المهمة ، ألا وهي عملية الحفر الشاقة المضنية . وقد تولدت هذه الآمال فجأة وعن غير قصد ، فمنذ ثلاثة أسابيع ، كان يكشط بعض الطين الملتصق بالحائط في أحد الأركان ، وكان يفعل هذا لمجرد التسلية وقتل الوقت ، ولكن فجأة أخذت أصابعه تتبع رسماً لا يمكن أن تخطئه العين ، لخريطة منحوتة غائرة في الحائط الحجري ، يبدو أن أحد الذين قطنوا هذا المكان من قبل ، حفرها خصّيصاً على الحجر ، آملاً أن تفيد نزيلاً آخر ، من نزلاء هذه الزنزانة ، إذا ما رغب في القيام بمغامرة في يوم من الأيام . وبمساعدة بضع كلمات غير واضحة الحروف ، مكتوبة بطريقة الحفر أمكنه أن يدرك أنه يوجد نفق أرضي ، يمتد إلى مسافة عشرين قدماً تحت زنزانته . أخذ يتتبع بأصابع مرتعشة الاتجاهات المنقوشة في الخريطة ، رأى أن النفق يسير تحت أبنية السجن ويمتد إلى الخارج ، نحو منطقة المستنقعات الموحشة ، خلف السجن إلى الحرية ! **الحرية المطلقة . . . !**

لقد حدث هذا في الليلة الثالثة والعشرين ، بعد أن استأنف عملية (الكشط) المعتادة ، أن يديه شعرتا أن التربة تحته تتحلل فجأة وتتفتت مؤدّية إلى فراغ مفاجئ عجيب ، فانحنى ودفع ذراعه في عمق الظلام الحالك ، لكي يشعر بالخواء المطلق . استولت عليه موجة فرح عارمة ، بدأ يقفز ويرقص ، ويضرب بقدميه الأرض من تحته ، بكل ثقله وبطريقة بوهيمية شملت كل كيانه ، وأخيراً غاصت قدماه خلال التربة الرخوة ، وسقط على مسافة ثلاثة أقدام أو أربعة إلى أرضية طينية رطبة . قبع هناك لبضع دقائق يتنفس بصعوبة الهواء الثقيل الجاثم هناك . ولم تشاهد عيناه هنا وهناك إلا سواداً حالكاً ، ظلمة بهيمية لفته في دوامة رهيبة ، كما لو كانت بحراً طامياً . ولكنه أخذ يتحرك في حذر شديد ، ويتلمس بيده ما حوله ، فاستطاع أن يترسم الشكل الدائري لأحد الأنفاق تبطنه طبقة لزجة من الطين المخضل وعلى ما يبدو كان اتساع النفق أربعة أقدام على وجه التقريب ، ويقل ارتفاعه عن ذلك قليلاً . كان بوسعه أن يمد ذراعيه في كلا الجانبين ، ولكن كان عليه أن ينحني على ركبتيه ، ليجنب رأسه الاحتكاك بسقف النفق . كانت الرطوبة تعم المكان كله . كان يشعر بقطرات ماء تنضح ببطء شديد من السقف الندي ، تتقاطر على ظهره قطرة ، قطرة ، وقد أطبق الهواء الرطب المندّى على رئتيه ، فأخذ يسعل بشدة وهو يكاد يختنق .

صعد ثانية عائداً إلى الزنزانة . لم يكن يعلم الوقت بالضبط ، ولكنه قدر أن أمامه ثلاث ساعات على الأقل ، قبل بزوغ الفجر . وجد نفسه في حيرة : **هل يقوم بالمغامرة**



الآن، أم ينتظر حتى الليلة القادمة، زيادة في الحيطة والحذر؟ اصطخبت في ذهنه الصور.. فمن المحتمل أن تكتشف في اليوم التالي، تلك المحاولة الجريئة، التي قام بها، في أرضية الزنزانة، فتضيع عليه تلك الفرصة المدهشة التي جاءته من السماء، لهذا قرر أن ينفّذ المغامرة في الحال، وليكن ما يكون. تحرك بسرعة في الظلام، وأخذ يرتب من شؤون الزنزانة، وكوّر الوسادة تحت أغطية الفراش، على شكل إنسان نائم في فراشه. ثم زحف على ركبتيه يكنس التراب المبعثر فوق الحجارة الباردة، لكي يخفي كل أثر، وأخيراً زحف عائداً إلى الحفرة. وقبل أن يجتازها إلى أسفل، أعاد المربعات الحجرية الثقيلة إلى مكانها فوق الحفرة كما كانت. وهكذا غطّى الحفرة تماماً، قبل أن يقفز إلى أسفل، إلى النفق.

أخذ يتذكر الاتجاهات التي شاهدها على الخريطة فاستدار إلى اليسار. وبدأ يزحف قدماً على يديه وركبتيه، وكان يشد كل ركبة إلى الأمام، في صعوبة تامة وفي منتهى البطء، وكأنه يجر جسده المنحني خلفه.. أحس بالطين اللين ينفذ من خلال مسام بذلة السجن التي التصقت بلحمه داخلها. كان ينسى نفسه أحياناً، ويرفع رأسه فتصطدم فروة الرأس بسقف النفق. فيتقاطر الطين المخضل بالماء على جانبي وجهه وعلى رقبته، طوال الوقت كان يتنفس بكل جهد، فقد أطبق الهواء الرطب ثقيلاً على رئتيه وحلقومه.

كان من أشق الأمور، بل من المستحيل في هذا الظلام المطبق تتبع الاتجاه الصحيح للنفق، **هل كان قائماً مستقيماً أو ملتوياً مقوّساً؟** على الخريطة كان النفق يبدو كخط مستقيم، أما الآن.. كل ما يستطيع أن يدركه أنه يدور في حلقة مفرغة لا نهاية لها.. ولكنه انطلق وهو يجر نفسه جراً بكل جهد ومشقة، ثبت فكره في المعلومة الواحدة والأمل البعيد، وهو يمني نفسه أن هناك — وبكيفية ما — سوف يؤدي به هذا النفق المظلم في النهاية إلى الحرية التي يحلم بها. في الظلام، يبدو العالم دائماً، وكأنه قد توقف عن الحركة تماماً.. كان يخال له أنه قد تسلل إلى عالم آخر مختلف تماماً، عالم مرهق، ينوء تحت ثقل الأرض بجملتها. كان إحساسه أنه هرب من بين جدران زنزانته ليجد نفسه في حبس آخر من الظلام المطبق، الحالك السواد. بدأ يتساءل في حيرة، إذا كان هناك آدميون آخرون، سبق وتلمسوا طريقهم مثله هكذا، عبر هذا النفق، **ومتى فعلوا ذلك ولماذا؟ وماذا يا ترى قد حدث لهم؟** مما لا شك فيه، أن الرجل الذي نقش تلك الخريطة، خريطة الخلاص هذه، على حائط الزنزانة، لا بد أنه اجتاز نفس الطريق الذي يسير فيه الآن. أخذ المسكين يبل شفتيه المتورمتين بطرف لسانه الجاف، وها هو يحاول أن يتصور الرجل الآخر أيضاً، وقد ظل هكذا وسط الظلام، وهو يزحف قدماً نحو المجهول: **حاول أن يرسم في ذهنه صورة ذلك الآخر وقد وصل إلى نهاية الرحلة...** ومضة الضوء الفجائية.. لحظة الفرح الغامرة، وهو ينسل إلى الحرية، ولكن هذه الرؤيا راغت منه وغرقت في بحر الظلام الذي يطويه...!

وسرح بفكره إلى الزنزانة خلفه، متسائلاً في قنوط عن مقدار الأدلة التي تركها خلفه هناك؟ آه لو كان معه شعلة ضوء من أي نوع، بطارية جيب، مثلاً أو حتى علبة



ثقاب . إن أي ضوء كان يمكن أن يجعل الأمور سهلة وبسيطة . والآن ، وقد ركز أفكاره على موعد وصول الحارس في الصباح إلى الزنزانة يحمل الإفطار كالمعتاد . تخيله وهو يطرق باب الزنزانة ، يلي ذلك سكون غريب ، على غير العادة ، تخيل الوجه المتسائل في دهشة ، يطل من النافذة الحديدية ، ونظرة الدهشة تتحول إلى موجة عارمة من الغضب الشديد ، تتبعها بسرعة صلصلة المفاتيح المشوشة ، ثم صوت قرقعة الأحذية الثقيلة المتتابعة في عصبية وغيظ على الأرض . ولا بد أن يكون مع الحارس مصباح ، فالعتمة لم تنقشع بعد من داخل الزنزانة . تخيل ضوء المصباح يغمر كل أرجاء الزنزانة ، يفحص ويكشف كل ما في الحجرة دون خجل أو رحمة ، ثم عثور الحارس على الفراش المرتب بطول ذلك الكسم المخادع الذي لا حياة فيه . وذلك المظهر الأنيق على غير العادة ، للزنزانة نفسها ، كان يدعو للريبة ، والأرضية نفسها ، كانت تحكي قصة غريبة غامضة ، عن التربة التي أصابها التشويش والخلل ، والتي تشير بإصبع الاتهام إلى الفجوات والزوايا غير المستوية ، بين المربعات الحجرية المقلقلة الآن . ورأى بعين الخيال ، الحارس وهو يتقدم مسرعاً إلى الأمام ، مقرفصاً بقامته القصيرة ، ثم علامات الدهشة على ملامح وجهه الغبية ، عندما يدرك حقيقة الأمر . وكأن صاحبنا يسمع صيحة التعجب الحادة تصدر من ذلك الحارس الغبي ، وصرخته المدوية ، وهو ينادي على الحرّاس الآخرين ، وكأنه يسمع من بعيد قرقعة الأحذية الثقيلة المتعاقبة ، تردد صداها الأحجار ، وهكذا سوف يتجمع الحرّاس ، في حلقة حول الوجوه الحجرية الباردة ، لاهثين متدافعين ، يشدون هذا ، ويدفعون ذاك . مهما يكن من أمر ، فلن يهمه صراخ أو نذير تهديد من الحراس ، فلسوف يأتي كل هذا من بعيد ، ولسوف يضيع صراخهم وتهديداتهم في ظلام النفق الدامس . أخذت هذه الأفكار بعد ذلك ، تبعث القشعريرة في نفسه ، وكان الهواء حوله رطباً ندياً ، ثقيلاً محملاً بأشياء فظيعة خفية تزيده ثقلاً وكثافة . وكذلك أصابه الرعب ، عندما فكّر أنه يزحف تحت أطنان هائلة من التربة التي يمكن أن تخنقه إذا ما انهارت فوقه ، والتي ترتفع بعض قممها لتلامس ليل السماء البعيدة . وقد روّعه إدراك هذه الحقيقة فجأة : إنه يزحف هكذا تحت الأرض ، مثل حيوانات ما قبل التاريخ .

صدمته هذه الحقيقة المخيفة ، حتى جعلت رأسه يهتز كمن مسّه تيار كهربي ، واستولت عليه رغبة ملحّة في أن يدفع ذلك الظلام الذي يزحف فوقه ، وأن يسارع إلى الأمام قدماً علّ معجزة تخرجه من هذا المأزق . ولكن كان من المستحيل عليه أن يسرع ، إذ لم يكن في مقدوره إلا أن يتحرك في خطوات طويلة شديدة البطء . فهو عندما كان يلامس الأرض الندية ، كان عليه أن يلامس شيئاً كريهاً تعافه النفس ، وعندما كانت يداه تتلمسان الطريق وتغوصان في أكوام الطين اللزج ، كان هذا كفيلاً بأن يبعث الغثيان إلى نفسه . مرة صرخ رعباً عندما أطبق بأصابعه على شيء هلامي يتحرك : **هل هو دودة أرضية تتحرك ، أو ثعبان صغير؟ لم يكن يدري؟** ارتفعت صرخته حادة أول الأمر ، ثم اختفت فجأة بطريقة غريبة ، وماتت في طيّات الرطوبة المطبقة على المكان . .

حاول جاهداً أن يدفع عنه هذا الشعور الذي ظل يضايقه ، ولكن في كل مرة كان يخمش الطين المبتل ، كان يخيل إليه أنه قد أمسك بثعبان ضخم ، وكان عليه أن يجاهد حتى لا يصرخ مرة ثانية .

كان يتوقف بين الحين والآخر ليطمئن إلى أن اتساع النفق لم يتغير ، فقد كان يخشى أن يضيق النفق شيئاً فشيئاً ، بطريقة خبيثة ، بل صار هذا الشعور المخيف يتوعده ويلحّ عليه ، أن النفق لا بد أن يطبق عليه في النهاية ، ولكنه وجد شيئاً من الطمأنينة المؤقتة عندما مد ذراعيه ، وتأكد أن اتساع النفق لم يتغير . تمنى لو كان في مقدوره ، وبنفس السهولة أن يحذر اتجاه النفق ، حتى يمكنه أن يواصل صعوده قدماً نحو سماء ترصعها نجوم الليل ، عندئذ يمكنه أن يتخلص من ذلك القلق الذي يحطم أعصابه ، خوفاً من انحدار النفق رويداً رويداً إلى جوف الأرض بدلا من صعوده صعوداً راسخاً إلى أعلى . رفع رأسه وأخذ يحدق في قلق ولهفة خلال الظلام الدامس ، علّه يرى معجزة أو أي شيء يدل على الحياة : ومضة خافتة لنجم صغير مثلاً ، أو إشعاع قمري آت من أحد العوالم الأخرى . . . !

بدأ يشعر بالإرهاق المتزايد . . **يا ترى كم ساعة مضت وهو يزحف هكذا؟ ربما أربع أو خمس . . .؟** صار كل جهد يبذله الآن ، يزيده تعباً وإرهاقاً ، وأصبح من المحتم زيادة عدد مرات الراحة . توقف مرّة أخرى وانبطح على بطنه ليخفف قليلاً من الألم المتزايد في ساقيه

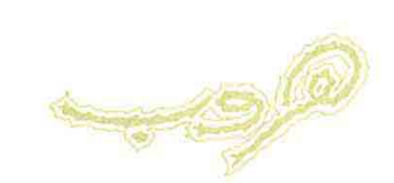
وعضلات الفخذين ، وليخفف أيضاً من الألم الذي ملك عليه كل ظهره .. تحسس في جيبه ليجد كسرة الخبز التي أحضرها معه ، وبدأ بمضغها في لهفة ، ولكنه أخذ يقاوم الجوع ، عندما تذكر أن هذه الكسرة هي كل ما لديه من طعام ، فبدأ يتناول منها قطعاً صغيرة جداً ليلوكها في بطء شديد ، وعندما أحس بمرور الفتات الخشنة في حلقه ، منحه ذلك الإحساس بعض الدفء ، وسرت في جسده قوة متجددة .

بعد أن أكل نصف الكسرة أعادها ثانية إلى جيبه ، وقد استولى عليه شعور فجائي بالعطش . جرف بيده بعضاً من ذلك الطين المبتل الذي يبطن طريق مسيرته ، ثم رفعه إلى فمه . ورغم فزعه من مذاق السائل المخاطي السميك اللزج ، تمكّن من أن يبتلع بضع قطرات من ذلك السائل الطيني . سعل مرة أو مرتين ، وفي كل مرة كان يبصق قطعاً لزجة من الأقذار . ورقد ثانية ، وقد أرخى جسده على راحته في الطين الرخو الناعم ، وهو يتسمع مفتوناً ، للموسيقى الخافتة ، موسيقى الماء وهو يتساقط من سقف النفق ، في قطرات متواصلة ، تتقاطر في بطء رتيب إلى أرضية النفق الطينية ، اشتهى حلاوة النوم اللانهائية ، وتمنى أن تحتويه كلية وتخلصه إلى الأبد من هذه الظلمة الحالكة التي تحتويه .

أخذ رأسه يهبط شيئاً فشيئاً ، وعيناه تطبقان ، وفجأة شعر بالطين السميك ينضح داخل منخاريه ، عالقاً بشفتيه ، فجفل واستيقظ وهو في رعب شديد .

بصق طعم الطين ، خارج فمه ، وعاود الزحف إلى الأمام . والآن ولكي يمكنه السيطرة على قواه العقلية ، بدأ في عد حركاته : **واحد ، اثنين ، واحد ، اثنين** ، في كل مرة يحرك فيها ركبتيه .. وجد أن هذا العد الإيقاعي المنظوم ، يساعد على تقدمه تقدماً منتظماً مطرداً . بعد ذلك ، جعله الجهد المضني الذي بذله ، جعله يجر جسده جراً ، كما لو كان يحمل ثقلاً متزايداً من سلاسل غليظة ، وشيئاً فشيئاً ورغم إرادته ، أحس بحركاته تتراخى ، وعملية العد تضطرب وتتلعثم . وبدأت أفكاره تشرد ثانية ، وهو يصارع أفكاراً شاذة مخيفة ... **ما العمل لو كان قد ضل الطريق ؟ ماذا لو كان قد اتخذ الدوران الخاطئ ؟ ماذا لو كانت حكاية الخريطة تلك ، أضحوكة للسخرية من أمثاله ؟** (ولكن كلّا ، فقد كانت في منتهى الدقة ، حتى أنها حددت موقع النفق أسفل زنزانته تماماً) ... على أية حال فكل هذه افتراضات .. مرة ، ألقى نظرة إلى الخلف من فوق كتفه ، وكان وقتئذ تحت تأثير موجة عاطفية مفاجئة ، فأعد نفسه كي يشاهد من بعيد ومضة ضوء مصنوعة ، وأن يتسمع التحركات البليدة المتلصصة ، لأشباح الحراس ، وهي تبحث في حذر هنا وهناك .. ! ولو أصاخ السمع جيداً ، لكان في مقدوره أن يتخيل سماع أصوات رجال





يزحفون ، **أم هو مجرد صوت تقاطر الماء..؟** إنه أمر محيّر..! لو كان هذا صوت الحراس ، فإنهم بدون شك ، سوف يكونون مزودين جيداً بالأسلحة النارية والمشاعل.. اقشعر بدنه واهتز ، فهو غالباً قد شاهد وخزة نور ساطع ، غالباً ومن المرجح أنه قد سمع الصوت المتقطع لطلقة ما ، وأحس على وجه التقريب بطعنة الألم اللافحة ، تنغرس في جسده...

هبطت حركته شيئاً فشيئاً إلى أقصى درجاتها ، وصار زحفه إلى الأمام مصحوباً بألم قاس. كان واضحاً أنه كلما ازداد تعباً ، ازداد الهواء ثقلاً ، وأصبح من العسير تنفسه ، ولكنه بكيفية ما ، استمر يزحف خلال الطين ، وهو محطّم تماماً ، كما تزحف عادة ، تلك المخلوقات الرخوية في تثاقل وبطء تحت ثقل أصدافها الثقيلة . كان عليه أن يقاوم بصفة مستمرة تلك الرغبة الملحة في الاستسلام للنوم ، والانهيار التام ، لهذا أخذ يهمهم ويتمتم لنفسه شيئاً ، حتى يحتفظ لنفسه بما تبقى له من ملامح صوابه ، في حالة تيقظ وحياة... لم يكن يبدو عليه أنه يستمد الحركة من مجهوداته الخاصة ، ولكن كان واضحاً أنه كان يطفو خلال الظلام فوق سطح الطبقة الطينية الناعمة المتحركة . وفي لحظة تيقظ فريدة في نوعها ، أكل ما تبقى من كسرة الخبز ، ثم أخذ يزدرد قدراً آخر من الماء المخلوط بالطين ، الذي كاد يكتم أنفاسه . لقد فقد كل حساب للزمن ، كل ما كان يحس به ، بصورة غامضة ، غير واضحة . إن ساعات بأكملها ، ربما الليل بطوله ، ربما يوم آخر أيضاً ، قد مضى من عمر الزمن.. واستمر هكذا يغوص في غمار رحلته الأبدية الخالدة التي لا تبدو لها نهاية ، بدأ يشعر أن أمامه سنين طويلة قد هربت من الزمن ، وعبرت إلى اللانهائية منذ أن تسلق خارج زنزانته ذات الحوائط الأربعة الصلبة .

كان قد بدأ يستسلم لأحضان الظلام الدامس ، بدأ يفقد نفسه تماماً في غمار هذا العالم الغامض ، عالم الفراغ والليل الدائم الذي لا حدود له . لهذا لم يصدق نفسه عندما بدأ هذا الظلام يتحول ، من خلال عينين نصف مغلقتين وملطختين بالطين نظر إلى الأمام . لم يدرك تماماً للوهلة الأولى ، ما شاهده من تحول عجيب . لم يدرك تماماً أن موجات الظلام الحالك بدأت تنحسر شيئاً فشيئاً ، وبدأ لون الظلام يتغير إلى شيء آخر . ولم يكن في مقدوره أن يستوعب المعنى الكامل لهذا اللون السنجابي الذي أخذ يتجمع ويتألق رويداً رويداً . كان من الصعب عليه أول الأمر أن يصدق أنه يشاهد تلك الحاشية المتوهجة من البياض التي أخذت تتضح شيئاً فشيئاً . لم يدرك هذا التحول العجيب إلا بعد أن زحف إلى الأمام مسافة أخرى مشوبة بآلام مبرّحة ، عندئذ ، وعندئذ فقط ، شاهد نقطة الضوء البعيدة قادمة إليه متواثبة متراقصة على جناحي سهم من اللون الأشهب ، مندفعة خلال موجات الظلام الغاضبة ، كي تبعث فيه الحياة من جديد . لهذا تمنى أن يروح في إغماءة من السعادة المنطلقة . واصطخب جسده المرهق الآن بقوة عارمة جديدة ، وأراد أن يصرخ من فرط السعادة ، ولكنه وجد الكلمات تتعثر بكيفية عجيبة في حلقه الجاف ، فأخذ يغمغم صلاة محمومة ، ثم واصل زحفه إلى الأمام ، وهو يضغط على ركبتيه ، وقد ملأته حمية انتصار ضارية ، جعلت تسوقه وتدفعه خلال الطين العالق بالنفق ، ليتشبث بالجدران الموحلة اللزجة في انفعال محموم .

وأخيراً شعر أن النفق آخذ في التسلق والصعود ، فجعل يزحف مسرعاً في الممر السنجابي ، وهو يقترب شيئاً فشيئاً من الضوء . والآن وقد أخذت نقطة الضوء الصغيرة تتسع وتتسع إلى أن صارت طاقة واسعة ، من خلالها ، وفجأة ، رأى الضوء الذهبي الباهر ليوم جديد ، شاهد اللون الأزرق اللازوردي لسماء الغد تزركشها السحب البيضاء الناصعة . دفعته سعادة مفاجئة مجنونة حتى كاد يتعثر في اجتياز القسم الأخير من النفق الشديد الانحدار ، فأخذ يخمش بأصابعه طريق الخروج والانطلاق إلى نضارة الهواء الطلق والريف الحلو...!

فجأة سمع صوتاً أجش يشوبه غيظ مكتوم يقول : « **أين كنت؟ لقد كنّا في انتظارك...!** » وأردف صوت ساخر آخر : « **لقد تأخرت علينا كثيراً يا صاح!** » .

لم تصدق أذناه ما سمع أول الأمر ، ولكنه نظر حوله فرأى الأشجار الغليظة تتوعده بظلالها العريضة ، وسمع قرقعة السلاح وهي تحذره من الهرب مرة أخرى..!

●● قصة من فلسطين ●●

خطأ البداية

بقلم: أحمد عودة

لم يستطع الجزم بعد أن أباه ذلك الرجل المتجهم على الدوام هو قاس فعلاً. كلما حاول أن يجزم أمره ويصفه بالفظاظة والقسوة، رفعت تلك الحادثة رأسها محذرة من مغبة الوقوع في خطأ كبير.

حدث ذلك بالضبط في **عام النكبة**، وقبل أن تنتقل الأسرة إلى **الغور** هرباً من البرد والزمهرير، يقتحم العظام بلا هوادة وينثرها مزقاً على حبال الريح. كان مقدراً له أن يودع ستة أعوام، وأن يذبح أبوه كبشاً سميناً يوزع لحمه على الحراثين كما فعل طوال خمسة أعوام. بالنسبة له لم يشاهد أباه يذبح كبشاً عدا مرة واحدة، عندما قيل له إن عمره الآن خمسة أعوام. لم يدر يومها كم تساوي هذه الخمسة، وحين قارنها بالكبش الذي يتمرغ في دمه، قال إنها مثله بقرنين معقوفين ورأس ينزف دماً أحمر. من يومها كره السنين، لذا لم يحزن لأن أباه لم يذبح كبشاً في عام النكبة. حزن فقط حين تذكر والده يوم مولده بأسى ضارباً كفاً بكف:

– كل شيء قد تغير.

ونظر إلى السماء التي توارت زرقتها تحت غيوم تتنادى وتتجمع تشايعها ريح باردة. إنه – على رأي أمه – **جبل الخليل**. ما فتئت تقول هذا منذ أن أخذت الريح الباردة تلعب بالخيام لعبة الند لغير الند. تصدى لها أبوه هذه المرة بعنف:

– مهما حدث فلن ننزل إلى الغور.

أقسمت أن البرد القارس هو السبب، أما لأن أخاها قد ذهب بعياله إلى **أريحا** الدافئة، فتلك مسألة أخرى. شعر أبوه أنه كان قاسياً عليها أكثر من اللازم، لذا قال بمودة يتمنى لو يناله جزء يسير منها:

– هنا يا بديعة أقرب إلى الرملة.

فرك يديه في لحظة نادرة من الصفاء:

– سنكون أول العائدين، أما أريحا فبعيدة.

نسي سريعاً حلمه بالعودة. تلبدت على وجهه غيوم أكثر كثافة من غيوم تشرين.

– أريحا جهنم. حرها لا يطاق في الصيف.

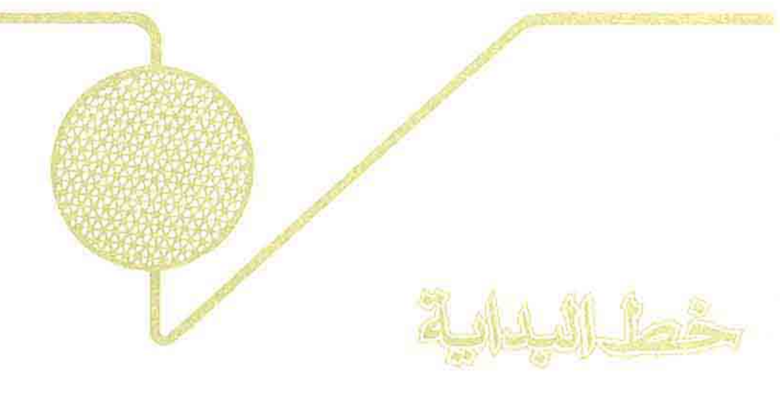
التفت إليه فجأة. اختلجت ملامحه واتسعت عيناه كأنما هي المرة الأولى التي يراه فيها. دمدم بكلام لم يفهمه، غير أن وجه أمه ترجم له أن الأب يقارن بين حالهم في المخيم المنسي وبين بلدتهم النائمة في تلك اللحظة، أو أنها تستعد للنوم.

لكزت موجة عاتية من الهواء الخيمة فتقوّس جلدها المهترئ وصر العمود بأنين موجع ظهرت آثاره على وجه أبيه المتجهم أصلاً. ولما اشتدت وطأة الريح وصارت الخيمة قارباً متصدعاً في كف بحر هائج، ضغط الأب على نواجذه وقصف بصوت كالرعد:

– البشر لم يرحمونا والجو لا يرحم.. إنه أكثر قسوة من البشر.

ودمدم بكلمات مبهمة طغت على صوت الأم وهي تبتهل أن





تمر الليلة على خير. زعق الأب وهو يفترسها بعينين تحولتا إلى جمرتين:

– خير! أين الخير؟ هـه! أين الخير؟!.

وشاءت المصادفة أو حظها النحس أن تنهمر شآبيب من المطر والبرد كالحصى، أخذت تعزف على أضلاع الخيمة لحناً جنائزياً مؤسياً. سدد الأب إلى زوجته نظرة من تلك النظرات التي يخص ابنه بها منذ تركوا البلدة والبيت:

– أرأيت؟ ها هو الخير قد جاء. ارفعي يديك إلى السماء وادعي لنا بالخير. ادعي.

ولما بدأت السماء تنثر على المخيم ريشاً أبيض ناعماً، أطلق ضحكة مجلجلة وصرخ هازاً قبضته إلى أعلى:

– مرحى بالخير. مرحى.

لم يفهم في البدء سبباً لغضبة الأب وقد شاهده من قبل في البلدة يبتهج ويخر على ركبتيه شكراً عندما ينزل الثلج. لم يفهم فتكوم في حجر أمه التي تكومت بدورها على نفسها ولاذت بالصمت. لم يستطع أن يعلن فرحه لمنظر الريش الناعم الأبيض وهو ينزل بدلال وهدوء. لو لم يقل أبوه ما قال لتحدى البرد وخرج يطارده. رسم ضوء السراج الباهت على جنبات الخيمة ظلالا شاحبة ترقص بتعب وإجهاد، فاكتملت المأساة في يوم كان مقدراً للأب أن يذبح كبشاً سميناً احتفاء بمولد ابنه الوحيد. رغم أن أمه كانت مثله ترتجف إلا أن حرارة اثنين بدأت تصب في جسده دفئاً لذيذاً فطوى النعاس جفنيه فنام.

صحا على أصوات جلبة وزعيق مبحوح من رجال ونساء وصراخ أطفال. انتفض مذعوراً. وجد نفسه وحيداً بينما أمه منتصبة في وسط الخيمة ممسكة بالعمود وهو يترنح يطوحها بقسوة وشراسة بينما الريح تصفر منذرة بالدمار. كان الأب يجاهد بإزاحة تلال الثلج وقد سدت باب الخيمة. يقوم بعمله صامتاً وقد بارحه الغضب. مد الأب رأسه من الباب فخاله الصغير يبتسم من تحت شاربه الكث. سمعه يقول بصوت وادع:

– لا تخرج يا بني. لا تخرج.

كان مشمراً قمبازه وقد سقطت الكوفية عن رأسه فبدا شعره الأبيض ينوس مع الريح ويلعب على جبهته العريضة. حاول الصغير أن يعرض مساعدته عليه لولا مغبة أن يكون ما بينهما من هدوء مجرد رضا المقهور المغلوب على أمره. صدق حدسه إذ رآه يطوح بالمعول بعيداً ويندفع إلى الداخل صارخاً:

– اتركيها. اتركيها تذهب إلى الجحيم.

ركل العمود بقرف فسقط على الجانب الآخر فيما سقطت الأم خشبة جامدة بين ذراعيه! جعل ينفخ على وجهها ويدلك يديها وصدرها حتى إذا دارت عيناها دورة كاملة، ابتسم بفرح. ألصقها إلى صدره وأنشأ يعتذر:

– معك حق. جحيم أريحا أفضل.

ثم نثر جسده حاملاً أشلاء الخيمة على رأسه وكتفيه:

– علينا الآن البحث عن مكان يحمي ابننا من البرد الشرس.

شعر لأول مرة مذ تركوا البلدة أنه موجود في مكان ما من جسد الأب وأن هذا لم ينسه كما توهم. حمله بين ذراعيه والتفت إلى الأم:

– اتركي كل شيء.

وراح يخوض في غبشة الصباح بين ركام الثلج وهو لا يفتأ يقبله ويطيب خاطره:

– لا تخف يا بني. لا تخف.

بدت له بوابة عريضة لبيت كان يسمع والده يطرح السلام على صاحبها بصوت عال وهذا يشرب الشاي ويدخن النارجيلة في الشرفة. أدرك أن بينهما ألفة ومحبة أكثر بكثير من طرح السلام. وقف الأب به أمام البوابة وتطلع إلى الأم وفي عينيه رجاء لا يخيب:

– سنأوي إلى بيت «أبو ماجد» يومين أو ثلاثة إلى أن يأتي الفرج.

افتر ثغرها عن ابتسامة شاحبة، أخذت تنسحب بالتدريج كلما قرع الباب، وجاوبه الصمت برنين بغيض. نكس أخيراً رأسه، وغمغم وهو يواصل السير إلى مغارة قريبة يتوافد إليها نهر الهاربين من الثلج والزمهرير:

– ما الفائدة إن كان الجو لا يرحم!!.

شده أبوه على كتفيه ومضى يغوص في الثلج حتى الركبتين إلى المغارة.

البعد الاستراتيجي عند صلاح الدين الأيوبي

بقلم: أحمد البرصان

مرت الأمة الإسلامية عبر تاريخها المجيد بثلاث حملات استهدفت كيانها الحملة الصليبية، وحملة المغول، والحركة الصهيونية في وقتها الحاضر.

ويرجع نجاح الحملات في بدايتها إلى التمزق والتفرق، كما أن نجاح الأمة في مقاومة هذه الهجمات يعود لارتباطها بالإسلام وتوحيد كلمتها على هذا الأساس.

يقول غوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب»، (ص ٣٢٩): «... وإن الرجل الذي يخاطب العرب باسم الله يطاع لا محالة، ما علموا أنه يتكلم باسم الله حقاً، فعلى الراصد المؤمن أو الملحد أن يحترم هذا الإيمان العميق الذي استطاع العرب أن يفتحوا العالم به فيما مضى».

★ صلاح الدين الأيوبي ★

وصلاح الدين واجه في سبيل **تحرير القدس** كثيراً من المعضلات، إلا أنه اتخذ خطة تنم عن دراسة وسياسة حكيمة وعبقرية واسعة، فالهدف أمامه واضح «**إن فتحه هو الغاية القصوى**». والتفرق هو البلاء فيقول: «طمع العدو فيها لاختلاف الآراء»، والطريقة التي سلكها:

(١) توحيد الجبهة الداخلية والقضاء على المنشقين والمتمردين.

(٢) تأمين حدوده ـ وصل إلى **تونس والسودان** مع انضمام **اليمن**.

(٣) توحيد **بلاد الشام** مع حدوده السابقة ـ أي مع **وادي النيل** ـ.

(٤) الاستفادة من الأوضاع السياسية المحيطة به وخاصة بين أعدائه.

النشأة والبداية

الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب كردي، من مواليد **مدينة تكريت بالعراق**، انتقل مع أبيه وأسرته إلى **بلاد الشام**، حيث التحق أبوه وعمه بخدمة **عماد الدين زنكي** أمير **الموصل وحلب**، اختاره **نور الدين محمود بن عماد الدين** ليشترك في الحملات الإسلامية إلى مصر لمواجهة الصليبيين الذين كانوا يعتزمون الاستيلاء عليها. وكانت هذه الحملات بقيادة عمه **أسد الدين شيركوه**، وقد شغل صلاح الدين منصب الوزارة لآخر الخلفاء الفاطميين.

فكرة التحرير

اقتضى هذا المشروع الديني القوي الضخم أن يؤمن ظهره في الداخل ومن جميع الجهات، قبل أن يبدأ حركته الكبرى ضد الصليبيين. فقد كانت أوروبا تساعد الصليبيين وتساندهم وتمدهم بالرجال والمال والسلاح عن طريق البحر، إذ كانت موانئ البحر المتوسط الشرقي في أيدي الصليبيين فضلاً عن **مملكة أرمينية** الصغرى النصرانية الواقعة في الجنوب الشرقي من آسيا الصغرى. فقد كانت تساعد الصليبيين من ناحية البحر، وكذلك **دولة الروم** تساعدهم في أول حركة الاستعمار الصليبي الغربي.

هذه هي الظروف التي كانت تحيط **بصلاح الدين**، إلا أنه عرف كيف يستفيد من الانقسامات التي وقعت بين صفوف أعدائه حتى صار له منهم بعض الحلفاء، كما استفاد من العداء الحاد الذي قام بين **الصليبيين بالشام** وبين **دولة الروم**، مما يدل على نظر ثاقب، ورأي حصيف، وقدرة نادرة، وذكاء وقّاد.

توحيد الأوضاع الداخلية

التفت **صلاح الدين** أول ما التفت إلى القضاء على الفتن

والمؤامرات الداخلية في مصر، وهو ما يزال وزيراً للخليفة **العاضد الفاطمي** (٥٦٤ ــ ٥٦٧ هـ) (١١٦٩ ــ ١١٧١ م)، لحماية ظهره وتأمين قاعدة النضال في بدء حياته الرسمية حتى أن المتآمرين لم يتورعوا عن الاستعانة بالعدو الأجنبي المغتصب، مما يوضح ثقل الواجب الملقى على كاهل **صلاح الدين**. ونعرض هنا جانباً من المؤامرات التي تعرّض لها:

١ ــ تزعم **جوهر الخصي** الملقب بمؤتمن الخلافة، مؤامرة وهو المتولي شؤون القصر الفاطمي، وذلك بعد ولاية **صلاح الدين للوزارة بنحو أربعة شهور فقط، وهدف المؤامرة التخلص من صلاح الدين** ورفاقه. وقد كاتب المتآمرون الصليبيين واعتزموا اقتسام البلاد فيما بينهم وبين الصليبيين بعد اغتيال **صلاح الدين**، إلا أن هذه المؤامرة فشلت، وتم قتل جوهر الخصي وعيّن مكانه **بهاء الدين قراقوش**.

٢ ــ قام أتباع مؤتمن الخلافة بثورة في القاهرة فأنفذ إليهم **صلاح الدين** أحد قادته المشهورين وهو **أبو الهيجاء السمين** فقاتلهم يومين وأحرق محلتهم، وكانت هذه الوقعة في أواخر ذي القعدة عام ٥٦٤ هـ.

٣ ــ تدبير أنصار الفاطميين وحواشيهم مؤامرة عام ٥٦٩ هـ ــ ١١٧٣ م، تزعمها **الشاعر عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان اليمني** الملقب بنجم الدين الشاعر، وكان هدفها القضاء على **صلاح الدين** ورجاله، وإعادة الخلافة الفاطمية. واستعان هؤلاء بالصليبيين **بالشام، وبالنورمان في جزيرة صقلية**. إلا أن هذه المؤامرة قد كشفت على يد الفقيه الواعظ **ابن نجا الدمشقي** في رمضان ٥٦٩ هـ، (أبريل) نيسان ١١٧٤ م، وتظهر في هذه الحادثة سياسة **صلاح الدين** الحكيمة في معاملة جنده «... أما الذين نافقوا من جند صلاح الدين فلم يعرض لهم ولا أعلمهم أنه علم بحالهم».

وهذا أروع مثل ونموذج **للحكمة والكياسة وبعد النظر** وفي نفس الوقت **أقسى درس رادع**.

٤ ــ وفي عام ٥٦٩ هـ ــ ١١٧٤ م، ثار **كنز الدولة** والي **أسوان** وجمع حوله من تجمع من المطرودين والهاربين من حاشية الفاطميين وطوائف الإسماعيلية وأوهمهم أنه يستطيع إعادة الدولة الفاطمية، إلا أن صلاح الدين أرسل جيشاً بقيادة أخيه **العادل سيف الدين أبي بكر**، فقضى على الثورة وزعيمها كنز الدولة في صفر عام ٥٧٠ هـ.

تدعيم الحدود

خلال الأحداث السابقة وفي مدى سنتين ٥٦٨ ــ ٥٦٩ هـ، ١١٧٢ ــ ١١٧٣ م، قام **صلاح الدين** بثلاثة مشروعات عملية كبيرة نظراً لاستمرار حالة الحرب بين المسلمين والصليبيين وفي سبيل تأمين حدوده وهي ما يلي:

١ ــ بعث حملة حربية إلى **بلاد النوبة** عام ١١٧٢ م، لأن الحدود الجنوبية لمصر كانت مثار قلاقل بسبب وصول فلول الهاربين والمطرودين من أتباع العهد الفاطمي، فأرسل أخاه **شمس الدولة تورانشاه** على رأس حملة حربية إلى **إبريم** وفتحها بعد ثلاثة أيام.

٢ ــ أمّن **صلاح الدين** حدود مصر الغربية وذلك بالاستيلاء على معظم بلاد المغرب في نفس العام الذي تم فيه غزو بلاد النوبة، فأرسل جيشاً بقيادة **الأمير قراقوش** فاستولى على **طرابلس الغرب**، وكثير من بلاد إفريقية (**تونس**)، وعاونه في هذا الفتح أحد رجال **المغرب** الخارجين على سلطة **عبد المؤمن بن علي الموحدي** واسمه **مسعود بن زمام**، وكما وصفه **ابن الأثير** من أعيان الأمراء هناك.

٣ ــ فتح **اليمن** عام ٥٦٩ هـ ــ ١١٧٣ م، وكان بتكليف من الخليفة العباسي **المستضيء بنور الله**، وذلك عندما قطع صاحب اليمن **أمير زبيد عبد النبي بن مهدي** الخطبة للخليفة العباسي واعتدى على الناس، فاستغاثوا بالخليفة فأحالهم على **صلاح الدين**، فبعث بجيش على رأسه أخوه **شمس الدولة تورانشاه**، وكان امتثال **صلاح الدين** لأمر الخليفة ذا مغزى سياسي وذلك لكسب الصفة الشرعية فيما يقوم به.

توحيد الشام

بعد أن اطمأن **صلاح الدين** إلى تدعيم مركزه في الداخل، وتأمين حدوده وحماية ظهره وأجنحته من ناحية **الجنوب والغرب**، اتجه إلى **الشام** لجمع كلمة المسلمين وجعل الجبهة الإسلامية حقيقة واقعة. وكان **صلاح الدين** يرى في توحيد **الشام** أمراً ضرورياً لمنازلة الصليبيين لموقعها الجغرافي من العدو.

فهو يقول: «وأنا لا نتمكن بمصر منه مع بعد المسافة وانقطاع العمارة وكلال الدواب، التي بها على الجهاد قوة، وإذ جاوزناه، كانت المصلحة بادية، والمنفعة جامعة، واليد قادرة، والبلاد قريبة، والغزوة ممكنة، والمسيرة متسعة، والخيل مستريحة، والعساكر كثيرة الجموع».

وقد كان موقف الأمراء النورية بعد وفاة **نور الدين** ١١٧٤ م، في **دمشق وحلب** متخاذلا ضد الصليبيين بسبب مطامعهم وصراعهم فيما بينهم، ومن ذلك الصراع على الوصاية على **الملك الصالح إسماعيل**، فنقل من **دمشق** إلى **حلب** في أواخر ذي الحجة ٥٦٩ هـ. وقد **استنكر صلاح الدين** هذا الانقسام والصراع من الأمراء. كما قبّح موقفهم المتخاذل وأعلن عزمه على تولي الأمر بنفسه، فقام برحلته الأولى التي استغرقت سنتين صفر ٥٧٠ هـ ــ ربيع الأول ٥٧٢ هـ، أيلول (سبتمبر) ١١٧٤ م ــ آب (أغسطس) ١١٧٦ م، وترك أخاه **العادل أبا بكر** نائباً عنه في مصر، ووصل إلى **العقبة** وكان قد انتزعها من الصليبيين عام ٥٦٦ هـ ــ ١١٧٠ م، عندما كان وزيراً للعاضد الفاطمي «وأصبحت معقلاً لجهاد المسلمين وموئلاً للمسافرين»، ثم إلى **بصرى ودمشق** التي دخلها في أواخر ربيع الأول ٥٧٠ هـ، وعيّن على قلعتها

أخاه **ظهير الدين سيف الإسلام طغتكين** ثم استولى على **حمص وحماه** وحاصر **حلب**، وقد استعان أمراؤها بالملاحدة وبفرقة من **الحشاشين** لقتل **صلاح الدين** ولكنهم فشلوا ولم يتورع الحلبيون من الاستنجاد بالصليبيين فاستنجدوا بأمير **طرابلس كونت ريموند الثالث**.

البعد السياسي

رأى **صلاح الدين** أن يستند في حركته لتجميع القوة الإسلامية المتنافرة إلى تأييد الخلافة، وذلك بأخذ تفويض من الخليفة العباسي المعاصر وهو **المستضيء بنور الله** وهذا مما يجعل له سند شرعي في الذب عن البلاد التي آلت إليه بمقتضى هذا التفويض. وقد بيّن **صلاح الدين** تفرقة الحكام في **الشام** فأدى إلى ضعف موقفهم من الصليبيين ودفعوا لهم الجزية وأطلقوا الأسرى والأعداء، واتبع أسلوباً سياسياً بارعاً، ونجد أنه بعد أن صالح أهل **حلب** فوضه الخليفة العباسي، وخلع عليه وعلى أهل بيته.

ودليل نجاح خطته في توحيد الجبهة الإسلامية أن الصليبيين طلبوا الصلح معه. وخرج إثر ذلك ورابط في **مرج الصفر** (حول **دمشق**) في أواخر ٥٧٠ هـ، وذلك على حدود الصليبيين، وبعث له الصليبيون وعقد هدنة بينه وبينهم، وذلك لكسب الوقت لإتمام توحيد الجبهة الإسلامية وذلك في أوائل ٥٧١ هـ ــ ١١٧٥ م، وبالشروط التي أملاها **صلاح الدين** على الصليبيين.

استغل صلاح الدين هذه الهدنة في تثبيت أركان الجبهة الإسلامية فرتب أمور **الشام** واختار الأكفاء لإدارته فعيَّن أخاه **شمس الدولة تورانشاه** على **دمشق**، وعلى **بعلبك** الأمير **شمس الدين محمد بن عبد الملك** ابن المقدم كبير أمراء **دمشق**، وعلى **حماه** خاله **شهاب الدين الخارجي**، وعلى **منبج** ابن أخيه **تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب** وغيرهم.

ولأهمية موقع **الشام** واستراتيجيتها بالنسبة لتحرير شواطئها من الصليبيين، نجد أن **صلاح الدين** لم يقم **بمصر** قاعدة النضال ومركز دولته سوى خمس سنوات تقريباً طوال حكمه وبقية سني حكمه قضاها في ربوع **الشام** محارباً ومجاهداً ومكافحاً ضد المنشقين وضد العدو الأساسي وهم الصليبيون. وفي عام ٥٨١ هـ ــ ١١٨٦ م، خطب له في جميع بلاد إمارة **الموصل**، وفي **ديار بكر** وجميع البلاد الشرقية، كما ضربت السكة باسمه، أي أصبحت **مصر وجزيرة العرب والعراق** تحت قبضته ــ كما يقول غوستاف لوبون ــ حطين ٢٥ ربيع الآخرة ٥٨٣ هـ ــ ٤ يوليو (تموز) ١١٨٧ م.

معركة حطين

التقى **صلاح الدين** بجيوش الصليبيين غربي **طبرية** في موضع يعرف باسم «**اللوبيا**» وحال بجيشه دون وصول الصليبيين إلى ماء بحيرة **طبرية**، وطاف **الناصر** على جيوش الإسلام يحرضهم على القتال، وكلما توجه فريق من الصليبيين نحو البحيرة كان مصيره القتل أو الأسر. ثم اشتبك المسلمون مع الصليبيين واشتد الطعن والضرب، وكان النصر للمسلمين وأسر ملك القدس الصليبي **جي لوزينان وأرناط** صاحب **الكرك** وصاحب **جبيل**، وتسلم بعد ذلك قلعة **طبرية**، وبسقوط **طبرية** دانت البلاد التي حولها من **بلاد السلط والبلقاء والجولان**. وبعد **حطين** أيضاً تم الاستيلاء على **عكا والرملة والناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف ـ الغولة ـ نابلس وعسقلان**.

ونزل بقواته على **القدس** في رجب عام ٥٨٣ هـ، وطاف حول المدينة خمسة أيام، ونظر من أين يقاتل، ونصب المنجنيقات، واشتبك الفريقان وكل من المجاهدين المسلمين يرى الجهاد والقتال فرضاً واجباً في دينه لا يحتاج إلى باعث. وحمل المسلمون حملة عنيفة حتى أدخلوا الصليبيين إلى المدينة، وحين أحس الصليبيون بقرب ساعتهم طلبوا المفاوضة في الصلح. وأخيراً سلمت المدينة.. ودخل المسلمون **بيت المقدس** في يوم الجمعة ٢٧ رجب عام ٥٨٣ هـ ــ ٢ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١١٨٧ م، وقد وافقت ليلة ذلك **ليلة المعراج**.

ونقف مع **ابن واصل** في «مفرج الكروب في أخبار بني أيوب» يصف صلاة الجمعة: «وفي الجمعة التالية ٤ شعبان ٥٨٣ هـ ــ ٩ أكتوبر (تشرين الأول) ١١٨٧ م، أقيمت الخطبة وغص الحرم الشريف بالزحام، فقد توافد المسلمون من شتى البقاع لحضور صلاة أول جمعة به بعد تطهيره، وحضر **الناصر** الجمعة وجلس **بقبة الصخرة** وهو في غاية السرور والفرح، إذ جعله الله تعالى في هذا الفتح ثانياً **لعمر بن الخطاب** رضي الله عنه الفاتح الأول وميزه بهذه المنقبة دون سائر الملوك من ملوك الإسلام، وتولى الخطبة الأولى **القاضي محيي الدين بن زكي الدين** قاضي **دمشق**، وبدأها بالآيات الكريمة من سورة الأنعام ﴿ **فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** ﴾، وأورد تحميدات القرآن الكريم كلها من سورة الإسراء والكهف والنمل وسبأ وفاطر إلى أن قال: «أيها الناس أبشروا برضوان الله تعالى الذي هو الغاية القصوى لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة وردها إلى مقرها من الإسلام بعد ابتذالها في أيدي المشركين وهو موطن أبيكم إبراهيم ومعراج نبيكم محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهو مقر الأنبياء وهو في أرض المحشر وصعيد المنشر، الله أكبر فتح ونصر وغلب الله وقهر وأذل الله من كفر».

ثم دعا للخليفة العباسي **الناصر وللناصر صلاح الدين** بقوله: «اللهم وادم سلطان عبدك الخاضع لهيبتك السيد الأجل الملك الناصر صلاح الدين سلطان الإسلام والمسلمين ومطهر البيت المقدس ابن المظفر **يوسف صلاح الدين بن أيوب**».

نسأل الله فتحاً ثالثاً للإسلام والمسلمين.



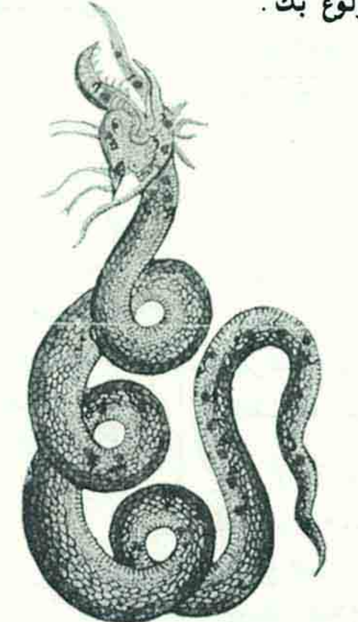


«صور الكواكب للصوفي الرازي»

بقلم: إحسان جعفر

لعل من أشهر مصنفات الفلك المصورة عند العرب، كتاب «**معرفة الكواكب الثوابت ورسمها في السماء والكرة وموقعها من الفلك**» **لعبد الرحمن الصوفي الرازي** (ت: ٣٧٦ هـ = ٩٨٦ م)، وهذا الكتاب يرد اسمه باختلافات يسيرة في بعض المصادر والمراجع، فعلى حين جاء اسمه في **تاريخ ابن العبري** (الصور السمائية)، نجد عنوانه في **كشف الظنون لحاجي خليفة** (صور الكواكب)، وفي **تراث العرب العلمي لقدري طوقان** (الكواكب الثابتة)، وفي (تراث الإسلام) **لشاخت وبوزورث** (صور الكواكب الثابتة)... غير أن اسمه كما في **النسخة المخطوطة المحفوظة في الخزانة التيمورية بمصر** جاء، كما ألمعنا إليه أولا، وقد **طبع هذا الكتاب في حيدر آباد بالهند باسم: «صور الكواكب الثمانية والأربعين»** سنة ١٩٥٤ م.

اعتبر هذا الكتاب من أحسن الكتب التي وضعت في علم الفلك عند العرب، فعده **سارطون** في كتابه «مقدمة لتاريخ العلم»: «أحد الكتب الرئيسية الثلاثة التي اشتهرت في علم الفلك عند المسلمين»، أما الكتابان الآخران، فأحدهما **لابن يونس** والآخر **لأولوغ بك**.



★ صورة التنين من نسخة خطية من كتاب الصوفي ★

وقال عنه (**ألاردغور**) في إحدى المجلات الإنكليزية: «**إن كتاب «الصوفي» أصح من كتاب بطليموس، وزيجه أصح من أي زيج وصل إلينا من كتب القدماء**».

وقال مصنفا كتاب (تراث الإسلام): «**منذ أن وضع الصوفي كتابه في (صور الكواكب الثابتة)، أصبح مرجعاً لمعظم الدراسات التالية**».

وكان هذا المصنف الفريد **قد ترجم إلى الإسبانية في عهد الملك ألفونسو العاشر** بعنوان «كتب المعرفة الفلكية»، وتركت هذه الترجمة تأثيراً قوياً في أسماء النجوم والمصطلحات الفلكية المستعملة في اللغات الأوروبية الحديثة.

وفي سنة ١٨٧٤ م، **نشر شيلُرب، الفلكي الدنمركي، ترجمة فرنسية** لكتابين عربيين من كتب الصوفي، كان صور الكواكب أحدهما. وفي **مكتبات أوروبا، الأسكوريال، باريس، أكسفور،**





★ بطليموس ★



★ الأسطرلاب ★

كوبنهاغن، بطرسبورغ، نسخ من هذا الكتاب.

ولصور الكواكب **ترجمة فارسية** متقنة التصوير، نقلها من العربية سنة ١٠٤٣ هـ، **حسن بن سعد القايني**، وتعرض **دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة** نسخة من هذه الترجمة.

بنى الصوفي كتابه (صور الكواكب) على كتاب بطليموس المسمى بالمجسطي، غير أنه لم يكتف بمتابعته، بل رصد النجوم جميعاً نجماً نجماً، وعين أماكنها وأقدارها بدقة تثير الإعجاب، وقد اكتفى عند البحث في أماكنها بإصلاحها بالنسبة إلى مبادرة الاعتدالين، واعتمد في الأقدار على أعمال الرصد التي قام بها، وهو يذكر قدر الكواكب بحسب بطليموس، إذا كان مخالفاً للقدر الذي توصل إليه، ومن هنا فإن لكتابه أهمية فائقة في الاستدلال على تفسير أقدار النجوم من عصر بطليموس أو **أبرخس**، إلى عصر الصوفي، ثم إلى العصر الحاضر، ويقول (الاردغور): وأكثر الأقدار التي أوردها الصوفي، مثل أقدارها المعتمد عليها في أزياج **(أرجلندر)** و **(هيس)**، ولو خالفت أقدار المجسطي.

ومما تمتاز به أرصاد الصوفي، أنه لم يذكر لون الشعرى مع أن بطليموس وأبرخس قالا: إن لونها ضارب إلى الحمرة، فكأن احمرارها كان قد زال في أيامه، وصار لونها كما هو الآن، والمعروف أن الفلكيين يعتقدون أن لون الشعرى في الأزمنة الغابرة كان أشد حمرة من المريخ.

وفي الكتاب تحدث الصوفي عن مبادرة الاعتدالين فقال: إن بطليموس وأسلافه راقبوا **حركة دائرة البروج**، فوجدوها درجة كل مائة سنة، أما هو فوجدها درجة كل ٦٦ سنة، وهي اليوم درجة كل ٧١ سنة ونصف السنة.

ويمتاز كتاب (صور الكواكب) برسومه الملونة للأبراج وبقية الصور السماوية أجاد المصور رسمها وتزويقها وأفرغ فيها دقيق الصنعة، ورسم الكواكب فيها بالذهب، ومثل بصور الرجال والنساء هيئات الفرس، وضمن الصوفي كتابه صوراً ورسوماً لنحو ألف وأربعمائة وعشرين نجماً وكوكباً، رسمها على صور الأناسيّ والحيوان، وشرح أشكالها وخصائصها واستدرك على العلماء السابقين عليه عدداً منها، ولم ينس أن يجمع أسماءها العربية، وما زال أسماء بعضها مستعملاً حتى الوقت الحاضر مثل الدب الأكبر والدب الأصغر والحوت والعقرب والعذراء.. وعن طريقه انتقلت أسماء النجوم والكواكب إلى اللغات الأوروبية، فخمسون بالمائة من أسماء النجوم مما هو مستخدم في اللغات الأوروبية من أصل عربي.

ومن الصور التي جاءت في فهرس طويل ما هو بصورة كهل في يده اليسرى قضيب أو صولجان، وعلى رأسه قلنسوة أو عمامة فوقها تاج، ومنها ما هو على صورة رجل في يده اليمنى عصا، أو رجل مادأ يديه؛ إحداهما إلى مجموعة في الجمع، والثانية إلى مجموعة أخرى، ومنها أيضاً ما هو على صورة امرأة جالسة على كرسي له قائمة كقائمة المنبر، وكذلك منها ما هو على صورة دب صغير قائم الذنب، أو صورة الأسد، أو الظباء، أو التنين وغير ذلك.

وإذ نتحدث عن **مجاميع النجوم عند الصوفي** لا نملك إلا أن نتعجب من أنه كيف اتفق للبشر من كلدان ويونان وعرب وأوروبيين... في كل زمان ومكان على تسمية الكواكب ومجاميعها بأسماء الحيوان، لا بل إن علماءهم صنعوا كرات رسموا على سطحها مجاميع الكواكب التي ترى في مقعر السماء، وفرقوا بعضها عن بعضها الآخر، وخصوا كل فريق منها بصورة إنسان أو حيوان أو شيء آخر من الأشياء الأرضية، فسموا هذا المجموع جباراً وذاك دباً وذلك إكليلاً وهلم جرًّا، وإن لم يتفقوا على تسمية المجموع الواحد باسم واحد.

والرسوم الفلكية عرفت عند العرب قبل الصوفي، ولعل أقدم تلك التصاوير جميعاً هي تلك التي تمثل دائرة البروج والتي وجدت في مبنى أثري أموي يعرف باسم **(قصير عمرة)** (حوالي ٩٣ ـ ٩٧ هـ/ ٧١١ ـ ٧١٥ م)، **ومن كتب الفلك المصورة عند العرب (عجائب المخلوقات) للقزويني، و (تقويم الكواكب السبعة السيارة) لأحد علماء اليمن، و (نزهة الأبصار في ذكر الأقاليم وملوك الأمصار) لحسن بن أحمد المشهور بحاكم البقاع، و (نهاية الإدراك في علم الهيئة في دراية الأفلاك) لقطب الدين الشيرازي.**

ويمكننا أن نستنتج من التصاوير الموجودة في هذه الكتب أن النموذج الذي خططت وفقاً له قد اتبعت فيه طريقة الإسقاط المجسم.

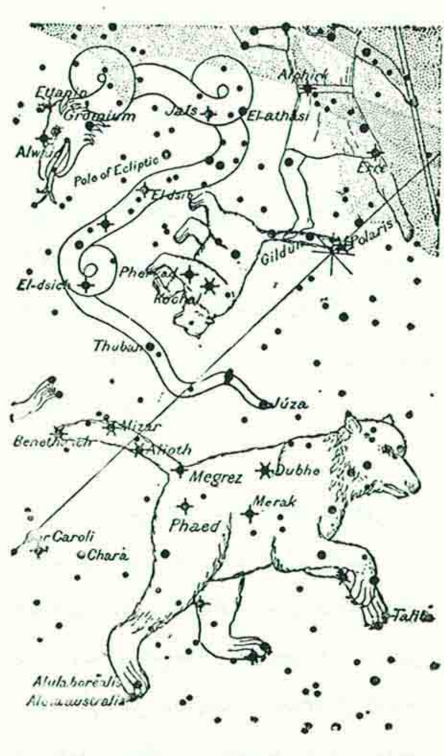
صور الكواكب للصوفي الرازي

أما الصوفي الرازي مؤلف (صور الكواكب)، فهو، **عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سهل الصوفي، أبو الحسين** (٢٩١ ـ ٣٧٦ هـ = ٩٠٣ ـ ٩٨٦ م) عالم بالفلك **من أهل الري**، اتصل **بعضد الدولة البويهي**، وكان محل تقديره، فقد جاء في إخبار العلماء بأخبار الحكماء **للقفطي**، على لسان عضد الدولة: «معلمي في الكواكب الثابتة وسيرها الصوفي»، واعترف للصوفي بعلو كعبه **ابن النديم**، وقال عنه ابن العبري: «كان فاضلاً نبيهاً نبيلاً»، وقال **سارطون**: «إنه من أعظم فلكيي الإسلام»، وله عدا كتاب (صور الكواكب) كتاب (**الأرجوزة في الكواكب الثابتة**) وهو مصور أيضاً، به (٢٧) صورة، وكتاب (التذكرة)، وكتاب (**مطارحات الشعاع**)، وكتاب (**العمل بالأسطرلاب**)، والأخير طبع في حيدر آباد بالهند ضمن مطبوعات **دائرة المعارف العثمانية** سنة ١٩٦٢ م.

وفيما يلي نقتبس وصفاً لإحدى تلك الكوكبات التي ذكرها الصوفي في (صور الكواكب): «كوكبة الدب الأصغر سبعة كواكب، منها ثلاثة على ذنبه، وهو الأول، والثاني، والثالث، وأولها الأنور، وهو على طرف الذنب من القدر الثالث والباقيان من القدر الرابع والأربعة الباقية على مربع مستطيل على بدنه، اثنان منها يليان الذنب أخفى وهما الرابع والخامس والاثنان التاليان لهما أنور وهما السادس والسابع... ويسمي **النيرين** من المربع **بالفرقدين** والنير الذي على طرف الذنب الجدي وهو الذي يتوخى به القبلة...».

ثم يلي ذلك الوصف جدول مسجل فيه أرقام نجوم تلك المجموعة ومواقعها في السماء مقاسة إلى درجة كبيرة من الدقة.

ونختم هذا الإلماع بأهمية هذا المصنف الفلكي الذي وصلنا عن العرب بعقد مقارنة بين أقوال وردت للصوفي فيه وبين أقوال أخرى لعلماء عرب ويونان، **ففي الكلام على (برج الدلو)**، وهو البرج الحادي عشر، وعلامته الفلكية هي علامة الماء عند **قدماء المصريين** لأن الشمس تغيب فيه في زمن المطر، قال الصوفي إن كواكبه ٤٢ في الصورة و ٣ خارجها، وإن العرب تسمي اللذين على منكبه الأيمن سعد الملك، واللذين على منكبه الأيسر مع الذي على طرف ذنب الجدي سعد السعود، والثلاثة التي على يده اليسرى سعد بلع، والذي على ساعده الأيمن مع الثلاثة التي على يده اليمنى سعد الأخبية، وإنما سمي بذلك لأنه إذا طلع طاب الهواء وخرج ما كان مختبئاً من الهوام تحت الأرض من البرد. وتسمى النيّر الذي على فم الحوت الجنوبي **الضفدع** الأول، والنيّر الذي في آخر النهر **الظليم**، وقد تابع الصوفي في هذا الكلام القزويني في عجائب المخلوقات، وهما بذلك يؤيدان بطليموس الذي ذكر في المجسطي أن في برج الدلو ٤٥ نجماً.



★ صورة التنين والدب الأصغر والدب الأكبر وقسم من قيفاوس نقلاً عن القاموس الأنسكلوبيدي ★



من مصادر البحث

١ ـ بسائط علم الفلك: يعقوب صروف.
٢ ـ تراث العرب العلمي: قدري طوقان.
٣ ـ تاريخ العلوم عند العرب: عمر فروخ.
٤ ـ تاريخ الفلك عند العرب: إمام أحمد.
٥ ـ تاريخ ابن العبري.
٦ ـ كشف الظنون لحاجي خليفة.
٧ ـ الفهرست لابن النديم.
٨ ـ تراث الإسلام: شاخت وبوزورث.
٩ ـ مقدمة لتاريخ العلم: سارطون.
١٠ ـ كارنامه بزرگان إيران (بالفارسية).



الجبال



أنديز (سلسلة جبال):

تمتد أكثر من ١٠,٤٠٠ كم، بموازاة **الساحل الباسفيكي** من تييراديل **فويجر** شمالا إلى **فنزويلا**، وتكون الأنديز سلسلة من أعظم سلاسل العالم الجبلية، ولا تفوقها في الارتفاع سوى **سلسلة جبال هملايا**، وتوجد فوق القمم بين **الأرجنتين وشيلي** بحيرات تستمد مياهها من جبال الثلوج، وفي الشمال منها توجد أعلى سلسلة بالأنديز.



برانس (سلسلة جبال):

ج.غ. أوروبا، تفصل **شبه جزيرة إيبيريا** عن سائر أوروبا، وتفصل **فرنسا** عن **إسبانيا**، تمتد حوالي **٤٣٥** كم، من خليج بسكاي في الغرب إلى **البحر المتوسط** في الشرق، وتصل إلى ارتفاع ٣٧٢٠م، في **قمة بيكو دي أنيتو بإسبانيا**، وفي السفوح الفرنسية وهي أشد انحداراً من السفوح الإسبانية أماكن سياحية عديدة.



تيبل (جبل):

ارتفاعه حوالي ١٠٦٥م، **غرب مقاطعة الكاب باتحاد جنوب إفريقيا**، يشرف على **كيب تون** وخليج تيبل بالمحيط الأطلنطي.



ثرنجيا:

جبل بولاية ثرنجيا، الواقعة وسط **ألمانيا**، تتاخمها **بافاريا** جنوباً **وهس** غرباً، **وسكسونيا** شرقاً، الجبل متوسط الارتفاع، توجد حوله **غابات ثرنجيا، ويستخرج منه البوتاس والحديد.**



الجبال البيض:

جزء من مجموعة **جبال أبالاش** الواقعة شمال ولاية نيوهمبشير، تبلغ قمتها ١٩١٨م، في جبل واشنطن، و ١٦٠٠م، في جبل لافايت، وتتألف هذه المناطق الجبلية من صخور الجرانيت، وفيها بقاع واسعة مكسوة بالحراج، وتمتاز بمشاهدها الطبيعية الجميلة.



حوران:

هضبة جبلية **تقع جنوب دمشق وشرق نهر الأردن**، وهي غنية بالحمم البركانية، غالبية سكانها من **الدروز**، كان **اسمها عند الرومان** أورنيتس، **سكنها الدروز اليمنيون، وبنو حمدان، وآل الأطرش.**



الخام:

اسمها باللغة التشيكية أرتز جبرجة، وهي **سلسلة جبلية ببوهيميا (تشيكوسلوفاكيا) وسكسونيا (ألمانيا)** تمتد نحو ١٦ كم إلى الجنوب الشرقي من **نهر الألب**، تقع أعلى قممها (جبل كلينوفك بالألمانية كايلبرج) في تشيكوسلوفاكيا، وارتفاعها ١٢٤٤م. وتشكل هذه السلسلة الجبلية مواد صناعية على درجة عالية من الأهمية.



دولوميت :

مجموعة جبلية **تقع شمال إيطاليا** ، بين نهري أزاركوه وبيافا ، تشتهر بتضاريسها الرائعة ، وبألوان صخر الدولوميت الزاهية الذي تتألف منه هذه الجبال ، **أعلى قممها مارمولادا ٣٣٤٤م** .



روكي (سلسلة جبال) :

أطول وأعلى سلسلة جبلية **بأميريكا الشمالية** ، تتألف من قطاعات جبلية مختلفة ، وهي تمتد من الجنوب ٤,٠٠٠ ميل حتى تبلغ **شبه جزيرة ألاسكا** ، وأعلى قمة في سلسلة جبال روكي هي **قمة ماكنلي** في ألاسكا ، ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ٢٠,٣٠٠ قدم .



زجروس :

سلسلة جبال **غرب إيران** ، ترتفع إلى ٤٥٧٥ متراً ، يفصل بين سلاسلها وديان خصبة عميقة ، كانت تشكل حداً بين مملكتي آشور وميديا في العصور القديمة .



ستانوفوي :

سلسلة جبلية **بالاتحاد السوفييتي** ، في جنوب شرقي سيبيريا ، تمتد حوالي ٧٢٠ كم نحو الشرق من نهر أوليكما ، وترتفع إلى ٢٤٥٥ م ، تكون خط تقسيم المياه بين نهري لينا وآمور .



شمر :

منطقة بشمال نجد بالمملكة العربية السعودية ، تتكون من سلسلتين متوازيتين من الجبال هما **أجأ وسلمى (جبلا طي)** ، تأخذان اتجاهاً من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي ، وتحصران بينهما منطقة من الأراضي السهلية المنخفضة تشتهر بخصوبتها ووفرة مياهها ، وفي سفح جبل أجأ وعلى بعد ٣ كم منه ، تقوم مدينة حائل ، أهم مدن المنطقة .



صبر (جبل) :

تقع **مدينة تعز** (اليمن) في سفح منحدره الشمالي ، وتغطي جوانبه الزراعات المختلفة ، وبخاصة أشجار **القات والبن والحبوب والفواكه** ، يبلغ ارتفاع قمته ٣,٠٠٠م ، وفيه بقايا كثير من الحصون القديمة التي تشرف على مدينة تعز اليمنية .



طارق (جبل) :

هي صخرة جبل طارق ، بجنوبي إسبانيا ، وتصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلنطي ، وطول الصخرة حوالي ٤,٥ كم ، وعرضها ١,٢ كم ، وارتفاعها حوالي ٤٢٩ م ، وتتألف من كلس جوراسي به كهوف عثر فيها على آثار قيمة ، وترجع التسمية إلى القائد العربي **طارق بن زياد** الذي استولى على شبه الجزيرة في عام ٧١١م .



عرفات ، أو عرفة :

جبل جرانيتي بالحجاز **في المملكة العربية السعودية** ، يقع غرب مكة المكرمة بحوالي ١٠ كم ، لا يتم حج المسلمين إلا بالوقوف به ، بحيث من فاته هذا الوقوف ولو لحظة ، بين زوال اليوم التاسع من ذي الحجة إلى فجر العاشر ، فاته الحج ، ووجب عليه قضاؤه في العام التالي ، وتحلل من الإحرام ، وفي الجهة الشمالية من هذا الجبل صخرة مرتفعة تسمى جبل الرحمة ، وفي سفحها الجنوبي خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ، خطبة الوداع المشهورة .



الغات :

سلسلتان جبليتان **تقعان جنوب الهند** ، حيث تمتد الغات الشرقية حوالي ١٤٠٠ كم ، بموازاة الساحل الشرقي ، ويلتقي في الجنوب بالغات الغربية التي تسير بمحاذاة الساحل الغربي مسافة ١٦٠٠ كم .

أكبر مثالجها مير ـ دي ـ جلاس (**بحر الثلج**) التي تنحدر إلى وادي شاموني، تسلقت القمة لأول مرة ١٧٨٦م.



نوبا (جبال):

جبال بالركن الجنوبي الشرقي من **مديرية كردفان بجمهورية السودان**، وهي جبال جرانيتية، تحيط بها تكوينات رملية حمراء، أعلى قممها **أم غزية** ويبلغ ارتفاعها ١٤٨٠م، **وهيبان** ١٣٩٨م، **وتالوري** ١٠٧٥م، ينحدر منها عدد كبير من الأدوية يتجه معظمها جنوباً، **تسكنها جماعات النوبا الزراعية**.



همالايا (سلسلة جبال):

سلسلة جبال آسيوية تمتد حوالي ٢٤١٤ كم، **في باكستان، وكشمير، والهند، والتبت، والصين، ونيبال، وسكيم، وبهوتان**، تحتوي على ثلاث سلاسل متوازية، الهمالايا الكبرى وبها جبل **أفرست أعلى قمم العالم**، وكنشنجنجا، همالايا الصغرى التي تحتضن وادي كشمير، وهمالايا الخارجية، **ينبع فيها عدة أنهار كبرى** كالسند، والجانج، والبرهمابترا.



واشنطي (جبل):

أعلى قمة في سلسلة جبال بريزيدنشيال، وهي **قسم من سلاسل الجبال البيضاء الواقعة في شمال ولاية نيوهامبشير**، يبلغ ارتفاع القمة حوالي ١٩١٨م، كان **داربي فيلد** هو أول من ارتقى القمة في عام ١٦٤٢م، وفي عام ١٨٤٠م، شقت طرق تسلكها الخيول للوصول إلى هذه القمة.



يابلنوفي:

سلسلة جبلية **بجمهورية روسيا الاتحادية**، جنوب شرقي **سيبيريا**، جزء من خط تقسيم المياه بين المحيطين القطبي والهادي، تمتد نحو الشمال الشرقي من حدود **منغوليا** حتى **نهر أوليكما** ارتفاعها حوالي ١٥٩٠م، عن سطح البحر.



ڤالداي (تلال):

سلسلة جبلية ركامية، تقع **شمال غربي روسيا الأوربية**، تمتد في سلاسل متوازية نحو ٤٨٠ كم، من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، وتبلغ أقصى ارتفاعها في **جبل كمانيك** ٣١٧م.



قوقاز:

مجموعة سلاسل جبلية **بالاتحاد السوفييتي**، تقع بين أوروبا وآسيا، تمتد لمسافة ١٢٠٦ كم، من **البحر الأسود** إلى **بحر قزوين**، أكبر سلاسلها القوقاز العظمى التي تغطيها الثلوج، **وأعلى قممها جبل البروس** وارتفاعه حوالي ٥٦٣٦م. وتمتد سلسلة جبال القوقاز الصغرى جنوبي نهر كورا، وهي امتداد للهضبة الإيرانية.



كليمنجارو:

يقع **شمال شرقي تنجانيقا**، وهو **يعد أعلى جبال إفريقيا بوجه عام**، وهو **عبارة عن بركان خامد**، أعلى قممه **جبل كيبو**، الذي يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ٥٩٦٧م، وجبل ماونزي البالغ من الارتفاع ٥٢٧٦م.



لوجان (جبل):

ارتفاعه عن سطح البحر حوالي ٦٠٥٤م، يقع أقصى جنوب غربي يوكي شرقي **ألاسكا** مباشرة، أعلى قمم **كندا**، وثاني قمم **أمريكا الشمالية**.

مون بلان:

قمة **بجبال الألب**، تقع **على الحدود الفرنسية الإيطالية**، ترتفع إلى حوالي ٤٧٥٨م، في فرنسا، وهي أعلى قمم جبال الألب،

مناقشات و تعليقات

حول صيغة أفعلْ به التعجبية

قرأت ما كتبه **الشيخ عبد اللطيف محمد حشاد** في العدد (٩١) من مجلة «**الفيصل**» الغراء تعليقاً على مقال سابق لي عن «**أفعلْ به» التعجبية** نشر في العدد (٨٣) من مجلة «**الفيصل**». ولا يسعني إلا أن أسوق بدءً الملاحظات التالية:

١ ـ لم يصنع الشيخ حشاد أكثر من أنه أعاد عرض آراء **البصريين** وبراهينهم على أن «أفعلْ به» فعل ماض جاء على صورة الأمر. وكنت في مقالي المشار إليه قد أسقطت تلك البراهين جملة. ومن المعروف في علم الجدل أنه لا يصح أن يدافع إنسان عن صحة شيء بالشيء نفسه، بل هو ملزم بالإتيان ببراهين من عنده.

٢ ـ ليس في خلافي مع النحاة شيء غريب فقد كان بعضهم يخالف بعضاً. وكان لكل مكانه واحترامه.

٣ ـ ليس غاية العالم أو المتعلم أن يقف عند ما قاله النحاة دون جدال أو مناقشة أو تحليل أو تعليل. فذلك هو العلم التقليدي الذي لا يُسمن ولا يغني من جوع.

٤ ـ مع شدة محبتي للنحو أقول: **ليست النصوص النحوية مقدسة**. وكيف تكون كذلك وبعضها ينقض بعضاً؟ وللنحاة في كل مسألة عدة آراء وتخريجات ووجهات نظر؟.

٥ ـ علاوة على هذا كله، جئت بآرائي موثقة، وسلكت في جدلي المنهج العلمي، وكنت حريصاً ألا أدلي برأي لا يسنده برهان، فما وجه الاعتراض؟.

٦ ـ هل يريد سماحة الشيخ حشاد أن يعلن كما أعلن كثيرون أن النحو قد توفي إلى غير رجعة؟ إني أجلّهُ عن ذلك.

٧ ـ وإذا كان الرأي الذي قلت به ودعوت إليه هو رأي **الكوفيين** وجمهور كبير من البصريين، فما الداعي للدعاء بالثبور وعظائم الأمور؟.

وسماحة الشيخ حشاد لا يعتمد المنطق الصحيح في المناقشة والحوار، بل هو يلجأ إلى الافتراضات والتقديرات الواهية الواهنة. وأسوق برهاني على ذلك فيما يلي:

أ ـ قلت: إن الأمر لا يجيء بمعنى الماضي؛ فناقض ذلك بقوله لقد جاء الأمر بمعنى الماضي في قوله تعالى: **فليَمدُدْ** له الرحمن مدًا. وهو يعلم أن الفعل الذي أشار إليه مضارع وإن اقترن بلام الأمر. وأنا إنما أتحدث عن الأمر بالصيغة لا بالمعنى. ومن المعروف أن النحاة لهم الصيغ أما المعاني فهي من مطالب البلاغيين والفقهاء والأصوليين والمفسرين، لأن النحو صناعة لفظية بحتة. هذا على افتراض أن ما رآه صاحب **الكشاف** صحيح. فكيف إذا علم شيخنا أن رأي صاحب الكشاف في أن المضارع في قوله تعالى ﴿ **فليمدد له الرحمن مدًا** ﴾ يفيد الماضي، هو رأي لا يقول به كثير من المفسرين؟.

ب ـ قلت: إن ماضوية «**ما أفعلَ**» تغني عن ماضوية أفعلْ به. فقال إذا كان الأمر كذلك فبوسعنا أن نلغي «ما أفعلَه» اعتماداً على ماضوية «أفعلْ به». فهذا تمحل في القياس والبرهان. إن ماضوية «ما أفعلَه» ثابتة في مقياس البصريين على الأقل وليس عليها خلاف. فكيف نلغيها لأن «أفعل به» ماضٍ عند بعض النحاة؟ أي قياس هذا؟ أيُلغى شيء ثابت استغناء عنه بشيء غير ثابت؟.

ج ـ يصرُّ سماحة الشيخ أن زيادة الباء في «أفعلْ به» قياسية. ونحن لا نناقش إن كانت قياسية أم لا؟ ولكن نناقش التناقض الحاصل من قولهم إنها زائدة ولازمة في الوقت نفسه. إن من أبسط البديهيات أن الزيادة واللزوم لا يجتمعان، ولو حشد شيخنا لنقض ذلك ألف خزانة أدب وألف كتاب نحو. والعقل يقول إن حرف الجر الزائد يستغنى عنه فهو إذن غير لازم.

د ـ إن ما توهمه سماحة الشيخ تناقضاً في قولي: إن التعجب نمط من الكلام فريد لا يحمل على غيره، وقولي بحمل التعجب على المصدر بريء من التناقض. فالتعجب لا يحمل على غيره من الكلام من حيث صيغته ومعناه. وأما في الإعراب فمن الجائز حمل شيء من الكلام على شيء لأننا أمام قواعد وأصول نطبقها على جميع أنماط الكلام. فأنا لم أحمل التعجب على المصدر بل حملت فعل الأمر على المصدر. ولا شك أن شيخنا يعلم أن الأمر ينوب عن المصدر، والمصدر ينوب عن الأمر في مثل قولنا تمهل ومهلاً واصبر وصبراً واحلم وحلماً إلخ... فأي تناقض يبقى؟.

هـ ـ يأخذ عليَّ سماحة الشيخ ما توهمه تناقضاً في قولي: إن أفعل به ندّ «ما أفعله» ونظيره. وقولي إن «أفعل به» لا فاعل لها، فيقول: وليس مقبولا أن نجرد صيغة من الفاعل بينما (وكان على سماحة الشيخ أن يقول في حين) يكون للأخرى فاعلها وهما ندّان ونظيران. لا أتفق مع فهم الشيخ للند والنظير **فالفرزدق** ند **جرير** ونظيره، ولكنهما مختلفان في أشياء كثيرة. **ومطران** ند **شوقي** ونظيره ولكنهما مختلفان أيضاً. فأن يكون شيء نداً لشيء آخر لا يعني أنهما لا يختلفان وإلا كانا شيئاً واحداً،

مناقشات وتعليقات

وهما في الواقع شيئان مستقلان ، إنهما ندّان ونظيران في تأدية معنى التعجب وفي أنهما الصيغتان القياسيتان الوحيدتان للتعجب . وإلا فإن التخريج الإعرابي لكل منهما مختلف عن الآخر .

و ـ قول الشيخ إن ثمرة الخلاف قليلة شيء عجيب غريب . فإذا كان سماحة الشيخ يرى أنه لا فرق بين الماضي والأمر في الإعراب فهذا شأنه لأنهما شيئان مختلفان . كما أن الإغضاء عن الخلط بين الماضي والأمر هو إغضاء عن النحو كلّه . فإذا كان هذا هيناً في نظر الشيخ فما المهم والخطير في قضايا النحو؟ .

وأحب أن أؤكد لسماحة الشيخ أن قول النحاة إن « أفعل به » فعل ماض جاء على صورة الأمر هو من الأمور غير المقبولة حتى لو أوردت هذا الرأي كل كتب النحو فليس هناك فعل يجيء على صورة فعل آخر ، **والنحو علم عقلي لا نقلي** حتى نتمسك بكل ما أورده النحاة في كتبهم . والقول إن « أفعل به » فعل ماض جاء على صورة الأمر تسقطه الأدلة التالية :

١ ـ إن هذه الصيغة التعجبية لا تجيء في مجال الخبر بل هي إنشاء . فلا تقع خبراً للمبتدأ ، ولا خبراً لكان وأخواتها ، ولا خبراً لأن وأخواتها ، فلم نسمع أحداً يقول : زيد أكرم به ، أو كان زيداً أكرم به أو إن زيداً أكرم به . وعدم ورودها في هذه المواضع يدل على أنها إنشاء لا خبر .

٢ ـ إذا كانت فعلاً ماضياً في المضارع ، والأمر منها ؟ وإذا قيل إنها فعل جامد قلنا لم يذكر أحد ذلك بل قالوا إنها جاءت على صورة المثل .

٣ ـ إذا كانت فعلاً ماضياً فلماذا لا تقع مقرونة بقد في خبر كان الناقصة وفي صور الجملة الحالية ؟ هل يجوز أن نقول كان زيد قد أكرم به ، وجاء زيد وقد أكرم به ؟ .

٤ ـ إذا كانت فعلاً ماضياً فكيف يحذف فاعلها دون بديل في مثل قول الشاعر :

فذلك إن يلقَ المنية يلقها
حميداً وإن يستغن يوماً فأجدر

أين فاعل « أجدر » هنا ؟ ومن المعروف أن الفاعل إذا حذف ينوب عنه ضمير . أما هنا فقد حذف الفاعل دون أن يعقبه ضمير . فهل يجوز حذف الفاعل في النحو؟ أم هل يكفي أن نعتبر ذلك من قبيل الشذوذ؟ فلو لم يكن المتعجب منه مجروراً بالحرف الأصلي لما جاز حذفه لأن الفاعل لا يحذف كما قلنا . أما قوله تعالى ﴿ أسمع بهم وأبصر ﴾ فهو من قبيل « أبطش بهم ونكّل » . أي نكّل ، بهم فمن المعروف أن العائد يحذف إذا كان مجروراً بالحرف .

٥ ـ يقدم لنا البيت السابق وهو **لعروة بن الورد** حجة أخرى على أن « أفعل به » فعل أمر وهي أن الفاء تدخل في جواب الشرط إذا كان جملة إنشائية . وقد دخلت هنا على « أجدرْ » ولولا أن « أجدرْ » فعل أمر لما جاز دخول الفاء عليها .

أما قول الشيخ إن الباء حرف جر زائد فينفيه ما يلي :

(أ) إن حرف الجر الزائد لا يقع إلا قبل اسم ظاهر ولا يقع قبل ضمير . ووقوع الباء في هذا التركيب قبل ضمير في مثل قولنا : « أكرم به » يدل على أنه حرف جر أصيل لا زائد . وكذلك وقوعه قبل أن المصدرية في مثل قولنا : أخلق بأن يكون حاضراً ، فالباء الزائدة لا تقع قبل أن المصدرية .

(ب) وقوعه محذوفاً قبل أن المصدرية في مثل قول علي بن أبي طالب : أعزز علي أبا اليقظان أن أراك مجدلا . فقد حذف حرف الجر هنا قياساً على غيره من أحرف الجر التي تحذف قبل أن وأن المصدريتين على النحو الذي أشار إليه ابن مالك في قوله :

وعدّ لازماً بحرف جر
وإن حذف فالنصب للمنجر
نقلاً وفي أن وأن يطرد
مع أمن لبس كعجبت أن يدوا

فحرف الجر في قول **علي بن أبي طالب** هو حرف الجر الأصيل الذي يحذف قبل أن المصدرية وليس هو الحرف الزائد .

أما احتجاج الشيخ بما قاله شارح المفصّل ، فالرد عليه يجيء من صاحب المفصّل نفسه ، إذ قال تعليقاً على هذا التخريج : وفي هذا ضرب من التعسف . هذا التعسف الذي رفضه الفراء والزجاج وابن كيسان وابن خروف .

وليسَع الشيخ في ما وسعه من **الزمخشري** الذي استشهد بقوله في تفسير الآية الكريمة ﴿ **فليمدد له الرحمن مدًا** ﴾ ، الذي عدّ تخريج البصريين « لأفعل به » تعسفاً ، وما إخال سماحة الشيخ يجهل أن في النحاة حذاقاً وأن فيهم حفظة ونقلة لا يعرفون من النحو إلا الحفظ والتقليد .

مناقشات

و تعليقات

ولا أريد أن أنهي هذا الرد قبل التوقف عند نقطة مهمة أظن أن التوقف عندها ربما أدى إلى فض الإشكال بيني وبين سماحة الشيخ . وهي أن الخلاف لم ينشأ عن قول البصريين إن « أفعلْ به » لفظه الأمر ومعناه الخبر . فليس المعنى من اختصاص النحو والنحاة حتى ينشأ عن ذلك مشكلة ، بل هو من اختصاص البلاغيين والأصوليين والفقهاء والمفسرين . أما الخلاف فقد نشأ عن سببين لفظيين :

★ **الأول :** قول البصريين في إعراب « أفعلْ به » إنه فعل ماض جاء على صورة الأمر .

★ **الثاني :** قولهم إن المتعجب منه مجرور لفظاً مرفوع محلاً على الفاعلية .

ولا تعنيني هنا الدلالة الزمانية للفعل فقد وردت في العربية أفعال ماضية تفيد المستقبل وأفعال مضارعة تفيد الماضي وليس في هذا كله أي إشكال . إن الإشكال يكمن هنا في الإعراب والإعراب من صلب مهمة النحوي .

هنا لب الخلاف ، وهنا صلب القضية . فهل يوافق شيخنا أن نسمي الماضي مضارعاً والمضارع ماضياً لمجرد أن أحدهما يفيد غير دلالته الزمانية الأصلية ؟ أظن أن هذا كثير خطير بل هو يدعو إلى الفوضى والبلبلة . . وشكراً .

د . جميل علوش

العالم .. في أرقام

اسمحوا لي هنا أن أسطر ملاحظاتي بشأن ما ورد في العدد (٩٥) ، جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ ، شباط (فبراير) ١٩٨٥ م ، من مجلة « **الفيصل** » ، في باب « **العالم في أرقام** » . لقد ذكرتم أن **ارتفاع قمة أفرست** هو ٧٧٠١٦ متراً ، والصواب هو ٨٨٨٢ متراً كما ورد في **المنجد** ، و ٨٨٨٨ كما ذكر في **الموسوعة العربية الميسرة** ، كما أنني قرأت في كثير من مصادر المعلومات هذه الأرقام المتفاوتة : ٨٨٤٨ ـ ٨٨٨٠ ـ ٨٨٣٣ .

كما وردت أخطاء ضمن الحقائق والأرقام المنشورة عن الأنهار ، وقد بحثت عن الصواب فكان هذا الجدول المرفق برسالتي هذه .

إنه شيء مؤسف أن نجد موسوعاتنا وكتبنا العربية تعطي معلومات وأرقاماً مغلوطة ومتناقضة عن شيء واحد ، مما يجعل القارئ المسكين في حيرة من أمره ، فهو لا يدري أيها أصح وأوثق ، مثلاً على ذلك هذا التناقض بين الموسوعة والمنجد في سرد المعلومات .

وما جعلني أكتب لكم بهذا الخصوص هو حبي وإعجابي بإحدى مجلاتي المفضلات وهي « **الفيصل** » وحرصي على أن تكون هي الحد الفاصل بمعلوماتها وصحتها بين الصح والغلط . . وفقكم الله لخدمة الثقافة والعلم .

رشيدة القيلي

تعز ـ اليمن

جميع الأرقام بالكيلومتر

النهر	الرقم في المجلة	الرقم في الموسوعة	الرقم في المنجد
المسيسيبي	٦٣٥٦	٣٧٨١	٧٢٠٠
ماكينزي	٤٠٢٢	٤٠٤٥	٤٦٠٠
يوكن	٣٢٠٠	٣٢١٨	٣٢٩٠
كولومبيا	١٩٢٠	١٩٤٦	٢٢٥٠
الكولورادو		٢٢٥٠	١٢٠٠
نلسون		٦٤٣	
سانت لورنس		١٢٤٥	
الرايوجراند	٢٨٨٠	٢٨٩٦	٢٨٠٠
الميسوري		٤٣٦٧	٤٣٧٠
رُوب	٥٣٠٠	٣٣٨٠	
ينيسي	٤٣٠٠	٣٧٨٣	٣٨٠٠
لينا	٦٤٠٠	٤٢٣٧	٤٢٦٠
آمور	٤٤٨٠	٢٨٢٧	٤٣٧٧
هوانج هو	٤٢٠٠		
يانج تسي كيانج	٥٥٥٢	٥٥١٩	٥٥٠٠
ميكونج	٤٥٠٠	٤١٨٦	٤٢٠٠
براهما بوترا	٢٩٠٠	٢٨٩٦	٢٩٠٠
جانج	٢٧٠٠	٢٥١٠	
السند	٣١٨٠	٣٠٥٧	
الفرات	٢٧٦٠	٢٣٣٠	٢٣٧٥
الدجلة	٢٠٠٠	١٧١٨	

محنة الشعر

شعر : نافع خليل يوسف

ذروني أُلْقِمُ النيرانَ شِعْري
فإني ناقِمٌ ، قد ضاق صَدْري
أرى الشُّعَراءَ تخذِلُهم حُظوظٌ
فتخفِضُهُمْ ، وتُوكِلهم لِغمْر
أراهُم دُونَ خَلْقِ اللهِ طرًّا
يُعانُونَ الضَّيَاعَ بكُلِّ عصْر
فذاك مُشرَّدٌ دَوْماً طريدٌ
وذاك مُحاصَرٌ في كُلِّ سَطْر
وذاك مُعذَّبٌ يَبْكي بِلَيْلٍ
وذاك مُصادَرٌ في كُلِّ قُطْر
ولسْتَ بواجدٍ فيهم سعيداً
تُوافيهِ الحياةُ ببَعْضِ يُسْر
ولسْتَ بغابطٍ منْهم مُعافَى
مِنَ العثَراتِ ، أو غَمٍّ وَقهْر
فحالُ الشِّعْر يا هذا عجيبٌ
كحال البَحْر في مدٍّ وجزْر
أصارَ الشِّعْرُ – يا هذا – وَباءً ؟!
فبَيْتُ الشِّعْر كالطاعُونِ يَسْري !
أصارَ الشِّعْرُ – يا هذا – جِراباً ؟
تُخيفُ القَوْمَ ، تُنْذِرهم بِشَرّ

وإلا كيف تَفْهَم ما يُعاني
بُناةُ الشِّعْر مِنْ وَيْلٍ وخُسْر ؟
أليس الشِّعْرُ فنًّا لا يُجارَى ؟
بذا « طاليس » أخبرنا بسِفْر
أليس الشعر للأرواح نجوى ؟
به ترقَى ، فيغسلها بعطْر
فما للشِّعْر يُخْذَلُ في زمانٍ ؟
وما للشِّعْر لم يَظْفَرْ بنَصْر ؟
وما للشِّعْر يذْبل في سُكونٍ ؟
وما للشِّعْر لم يُنْدَبْ لأمْر
أمِنْ عَيْبٍ به يُقْلَى ويُنْسَى ؟
ويَسْلِبُهُ الجُفاةُ مقامَ فَخْر
فروحُ الشِّعْر تَصْرُخ : أدركوني !
لِمَا تَلْقَاهُ مِنْ صَدٍّ وغَدْر
دُرُوبُ الشِّعْر قد فُرِشَتْ بشَوْك
ورُوحُ الشِّعْر قد صُلِيَتْ بجَمْر
أرى الشُّعراءَ إنْ ماتُوا استراحوا
إذا ما الموتُ أسْعَفَهم بذِكْر
جمالُ الشِّعْر يُعْرَفُ بعْدَ مَوْتٍ
وَسِفْرُ الشِّعْر يُقْرأُ بعْدَ دَهْر



بسم الله الرحمن الرحيم



إعلان هام

بناءً على توجيهات حضرة صاحب الجلالة الملك المفدى وصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمين بتطوير المهرجان الوطني للتراث والثقافة والذي نظمه الحرس الوطني في الفترة من ١٤٠٥/٧/٢هـ إلى ١٤٠٥/٧/١٣هـ وذلك بإنشاء قرية متكاملة للتراث تهدف إلى تجسيد البيئة السعودية التي كانت سائدة منذ ما يزيد على خمسين عاماً وذلك بإنشاء مجمع يمثل كل منطقة من مناطق المملكة يشتمل على بيت وسوق تجاري وطريق وتحتوي هذه الثلاثة على ما كان يوجد بها من أدوات ومعدات وبضائع وصناعات ومقتنيات.

وإيماناً من حضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني بأهمية مشاركة المواطنين والهيئات المعنية في ذلك رغبة من سموه بإخراج هذه القرية على أعلى المستويات وأن تكون ممثلة بصدق لماضي المملكة العريق.

لذلك فإن الحرس الوطني يتشرف بتنفيذ التوجيه الكريم بالإعلان لجميع المواطنين وغيرهم أفراداً وهيئات للمساهمة في ذلك بكل ما لديهم من آراء ومعلومات ومقتنيات أو الإرشاد إلى المعنيين والمهتمين في ذلك. خاصةً فيما يتعلق بالتراث الشعبي لأي منطقة من مناطق المملكة من حيث الطراز المعماري القديم للمباني المميز لكل منطقة، والأثاث والأدوات والمعدات المستخدمة في ذلك الوقت. ونأمل منهم الاتصال مشكورين بسكرتارية "مشروع قرية التراث الشعبي" لتقديم ما لديهم من آراء وأفكار ومعلومات ومقترحات والعرض عن ما لديهم من مقتنيات أثرية تعكس الصورة الحقيقية للتراث الشعبي للمملكة العربية السعودية على العنوان التالي:

الرياض - رئاسة الحرس الوطني - وكالة الشئون الفنية

الدور الرابع - غرفة رقم ٤٠٥٣ - تليفون ٤٩١٢٤٠٠

داخلي (٢٠٢٥) - ٤٩١١٢٥٦ - سواء حضورياً أو

بريدياً أو تلفونياً.

شاكرين للجميع التعاون .. والله الموفق



بسم الله الرحمن الرحيم

نتيجة مسابقة أرامكو السنوية السادسة للأطفال في الرسم

وقع اختيار لجنة التحكيم على مائة لوحة بزيادة خمس وعشرين لوحة عمّا أعلن سابقا، وذلك من بين ما يزيد على أربعة آلاف لوحة من الرسوم الجيدة التي تنم عن كثير من الأصالة والاتقان. لقد زيد عدد اللوحات المختارة نتيجة لتقارب المستويات الفنية للوحات واتسامها بالجودة والجمال، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على المستوى الطيب الذي وصل إليه أطفال مملكتنا الحبيبة في هذا المضمار.

لقد تم الاتصال برقيا بأصحاب اللوحات المختارة، كما تم تسليم معظم الجوائز، وإن إدارة العلاقات العامة بأرامكو ليطيب لها أن تنتهز هذه الفرصة لتعرب عن بالغ شكرها لجميع الذين شاركوا في المسابقة وللأساتذة والمسؤولين في المدارس في جميع أنحاء المملكة لمساهمتهم في إنجاح هذه المسابقة وإظهارها بهذا المظهر الجيد، كما تجدد الدعوة لجميع الأطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيعلن عنها في بداية العام الدراسي القادم إن شاء الله. والله ولي التوفيق.

وفيما يلي أسماء أصحاب اللوحات التي اختارتها اللجنة

ابتسام عبد الله العيدروس
المدرسة الثالثة الابتدائية للبنات - الرياض

أبشر محجوب أبشر
مدرسة الدوحة السعودية - الرياض

أحلام عبد الرؤوف الرمضان
المدرسة المتوسطة الأولى للبنات - العضيلية

أحمد أسعد أحمد سوسق
الرياض

أحمد شاهين إبراهيم عمر شاهين
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

أحمد شربيني المهدي
مدارس جامعة البترول - الظهران

أحمد عبد الله الخليفة
مدرسة الفرس الابتدائية - الجوف

أحمد فريح معيقل
متوسطة صلاح الدين الأيوبي - الجوف

أحمد كريم محمد الجوهري
منارة أبها للبنين

أحمد مفرح نهار المطرود
مدرسة الملك عبد العزيز الابتدائية - الجوف

أحمد نور الدين حسين شرف الدين
مدرسة الرميث الابتدائية - الخبر

إلفت إحسان علي خليل حسان
مدارس المستقبل الأهلية - الرياض

أمجد طلال السلمان
مدرسة عبد الله بن عمرو بن العاص - المدينة المنورة

أمل محمد السابق
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

أميرة أحمد عيسى المعقل
مدرسة حسان بن ثابت الابتدائية - الأحساء

أيمن سامي علي حلواني
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

بدر الدين الخير إسماعيل علام
الرياض

بدرية السلمان
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

بندر عبد العزيز الجنوبي
المدرسة المتوسطة الأولى - المجمعة

تريسي بيرل . آن بيل
مدارس الظهران الأكاديمية

ثامر محمد أشي
مدرسة الثغر - جدة

جاي . ولك تشانغ
مدرسة الظهران الأكاديمية

جنيدي عبد العزيز شمس فلمبان
مدرسة عرفات المتوسطة - مكة المكرمة

حسينة أمير حسين محمد روشن
المدرسة السابعة للبنات - المدينة المنورة

حمود منصور محمد
مدرسة بدر الابتدائية - الجوف

حنان أحيان إدريس
المتوسطة التاسعة - مكة المكرمة

خالد أبو القاسم عبد العزيز
مدرسة الكرامة الابتدائية - جدة

خالد سامي الصقير
مدارس جامعة البترول - الظهران

خالد صالح البطي
المدرسة المتوسطة الأولى - الدوادمي

خالد صالح الجعفر
مدرسة ابن القيم - الجوف

خلود سعود محمد الحوطي
مدرسة النقية المتوسطة الأولى للبنات

داليا صالح القدهي
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

دينا فرعون
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

رائد الحاج حسن
المدرسة المتوسطة الأولى - الدوادمي

رشا أحمد بيتمه
مدرسة الأبناء للبنات - الرياض

رغدان فخري رباح
مدرسة الثغر النموذجية - جدة

رنا صوان
الفيصلية الإسلامية - الخبر

روميسا عبد الفتاح طه دنيور
الأحساء

ريان الكباري
مدرسة أبي الطيب المتنبي الابتدائية - المدينة المنورة

ريان فؤاد أبو شقراء
مدارس نجد للبنين - الرياض

ريم عبد العزيز صالح الجربوع
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

ريم يوسف الديحان
المدرسة الثالثة عشرة للبنات - الرياض

زكي حيدر
مدرسة الظهران الأكاديمية

سارة عبد العزيز السلوم
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

سديم منير القاضي
مدارس جامعة البترول - الظهران

سعيد عبد الملك
متوسطة الملك فيصل بقرية الزور - الطائف

سلطان فهد محمد الجريسي
مدرسة العمارية - الرياض

سمير معتوق الطريفي
مدرسة مدينة الجبيل الصناعية

شروق صلاح الدين محمد السعيد عيد
روضة الأطفال - جيزان

صافي مهدي طاشكندي
منارة جدة الأولى - جدة

صالح محمد عبد المحسن الفايز
مدرسة العلاء بن الحضرمي الابتدائية - رحيمة

صلاح صالح سعيد نتو
مدرسة الملك فهد المتوسطة - جدة

ضحى الصيني
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

طارق حمزة الفطيري
منارة الشرقية - الدمام

عادل عبد الله عوض الثقفي
مدرسة الإمام محمد بن سعود الابتدائية - الطائف

عبد الرحمن عبد الحكيم بريسالي
مدرسة عرفات المتوسطة - مكة المكرمة

عبد العزيز فرحان السلطان
مدرسة متوسطة دومة الجندل - الجوف

عبد الله عبد الرحمن إدريس فطاني
مدرسة عرفات المتوسطة - مكة المكرمة

عبد الهادي شرف آل طه
مدرسة الرميلة الابتدائية - الأحساء

عبير حمود دبيان حمود الشملاني
المدرسة العاشرة للبنات - عرعر

عدنان عبد الوهاب العبد الهادي
مدرسة القادسية - الدمام

عزام لعيان سحيمان الرويلي
مدرسة متوسطة الفاروق - سكاكا

عزة قباز
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

علا فؤاد نايته
المدرسة الحادية والعشرون الابتدائية - مكة المكرمة

علي أحمد أبو لوز
مدرسة عرفات المتوسطة - مكة المكرمة

عمر فاروق قاوقجي
مدارس جامعة البترول - الظهران

عمرو سيد حسن حمادة
مدرسة حلة محيش الابتدائية - القطيف

عمرو محمد السعيد أحمد
جدة

غادة صالح عبد الله العمرو
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

فاطمة محمد عبد القادر هندي
مدرسة البنات الخامسة والأربعون - مكة المكرمة

فوزية حسن النجراني
المدرسة الثانية الابتدائية للبنات - رحيمة

كارمن عبد العزيز عبد الملك صابري
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

كريمة طاهر
مدرسة الظهران - أرامكو

لينا فهد الصميت
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

ماجد محمد علي بن صالح
مدارس الرياض الأهلية للبنين - الرياض

مازن محمد علي الرمال
المدرسة المتوسطة النموذجية بالملز - الرياض

مايدة مصطفى بليلة
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

محمد إسماعيل نقي
مدرسة حمزة بن عبد المطلب - رحيمة

محمد جمال الدين السيسي
مدرسة صفوى الثانوية

محمد جنيد حسن بنجر
مدرسة دار العلوم - مكة المكرمة

محمد زكريا محمد الياس
مدرسة عرفات المتوسطة - مكة المكرمة

محمد سليمان نعيم مويفع الدهام
مدرسة القراني المتوسطة بالقريات - الجوف

محمد صالح عبد الله قفة
مدرسة متوسطة عكاظ للبنين - الطائف

محمد مبشر سويلم
مدرسة طيبة الابتدائية - الجوف

مفرح صالح عوض الصيعري
مدرسة مدينة الجبيل الصناعية

منى أحمد نظيم عبد الرحمن
مدرسة البنات الابتدائية السابعة والسبعون - مكة المكرمة

منى عثمان الجلعود
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

مها أحمد السيد محمد البطراوي
المدرسة التاسعة عشر للبنات - الطائف

مونيكا لوندي
مدرسة الظهران الأكاديمية

نسرين محمد بن سليمان الطجل
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

نمير غازي قاسم حمادة
مدارس جامعة البترول - الظهران

نهال عصام عبد الله أبو زنادة
دار الحنان - جدة

نهى أحمد نظيم عبد الرحمن سليمان
مدرسة البنات الابتدائية السابعة والسبعون - مكة المكرمة

هاني سالم صالح باصلوح
المدرسة التذكارية - الرياض

هدى سعد الزوري
المدرسة الرابعة الابتدائية - رحيمة

هديل الشدي
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

وائل عيسى علي الملا
مدارس جامعة البترول - الظهران

ياسر عبد الغني الطباع
مدارس الرياض الأهلية للبنين - الرياض

ياسر محمد فتحي
مدرسة الصديق الابتدائية - الجوف

ياسمين محمود نديم
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض



المصنع السعودي لعصير الفواكه والمرطبات ـ جدة ـ محمود سعيد

RAUCH
راوخ
Apple Drink

RAUCH
راوخ
Peach Nectar
شراب الخوخ

RAUCH
راوخ
Apricot Nectar
شراب المشمش

RAUCH
راوخ
Orange Drink

راوخ

قمة التذوق.. ونكهة الطبيعة
وسحرها الخلاب

عصيرات طبيعية ١٠٠٪

الاسراء